نخبة البيان

فی تفضیل سیدة النسوان

(الکلمات الدراری فی خصائص فاطمة الزهراء سلام الله علیها)

المحقق السید عبد الرسول الشرقاوی البحرینی

نخبة البيان

نخبة البيان

في تفضيل سيدة النسوان

(الكلمات الغراء في خصائص فاطمة الزهراء سلام الله عليها)

المحقق السيد عبد الرسول الشيرعتمداري الجهرمي

الشريعتمداري الجهرمي، السيّد عبدالرسول، ١٣٠٨ -
نخبة البيان في تفضيل سيدة النسوان / عبدالرسول الشريعتمداري الجهرمي. - قم: مكتب الإعلام الإسلامي، مركز النشر، ١٣٧٥.
[٤]، ٢٦٨ص. -(دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميّهٔ قم، مركز انتشارات؛ ٣٧٤)
كتابنامه به صورت زيرنويس.
١. فاطمه زهرا(س)، ١٣ قبل از هجرت - ١١ ق الف. دفتر تبليغات اسلامى حوزهٔ علميّهٔ قم، مركز انتشارات. ب. عنوان.
BP ٢٧/٢/ ٣ن ٤ ش ٢٩٧/٩٧٣

ISBN 964 - 424 - 126 - 6
شابك ٦ - ١٢٦ - ٤٢٤ - ٩٦٤

مكتب الإعلام الإسلامي
مركز النّشر

الكتاب: نخبة البيان في تفضيل سيدة النسوان
المؤلف: المحقق السيّد عبدالرسول الشريعتمداري الجهرمي
الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي
المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي
الطبعة: الأولى / ١٤١٧ق، ١٣٧٥ش
الكمية: ٢٥٠٠ نسخة
السعر المجلد: ٦٥٠ تومان
السعر غير المجلد: ٥٠٠ تومان

حقوق الطبع محفوظة للناشر

قم، شارع شهداء (صفائية)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ص ب: ٩١٧،
هاتف: ٧- ٧٤٢١٥٥، فاكس: ٧٤٢١٥٤، توزيع: ٧٣٩٢٠٠ و ٧٤٣٤٢٦

Printed in the Islamic Republic of Iran

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد للّه بارىء الذرّ والنسم، وجاعل النور والظلم، وفاطر الخلق والامم، وكرّم فيهم بني آدم وفضّلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، والصّلاة والسّلام على نور خلقه، وصفوة بريّته، وسيّد رسله أبي القاسم محمّد بن عبداللّه صلّى اللّه عليه وعلى آله وعترته مصابيح الدّجى، ومنار الهدى، وكهف الورى، وورثة الانبياءِ، وسادة الأوصياء، لاسيّما على بضعته الطّاهرة اُمّ الأئمة النقباءِ النجباءِ فاطمة الزّهراءِ (سلام اللّه عليها) ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين الى يوم الدّين.

أقول: وأنا الملتجى إلى اللّه تعالى بولاءِ نبيّه وأهل بيته الكرام (عليهم السّلام) عبدالرّسول الشريعتمداري الجهرمي ابن السيّد العالم محمّد علي الحسيني عفى اللّه عنهما بفضله، ان من أسباب البركة والمغفرة من اللّه هو التوسّل اليه بأوليائه الأطيبين وقد كنت في السالف اذا صعب عليّ أمر توسّلت اليه تعالى بفاطمة الزّهراءِ، وسلّمت عليها من بعيد، فكان يسهل لي الأمر، فبدا لي بذلك أن أكتب شيئاً في فضائلها، أجمع فيه الأخبار المعتبرة من طرق أصحابنا وغيرهم طلباً لبركة اللّه ورجاءاً لفضله ومغفرته، كما وردت في فضل التوسّل بها اخبار كثيرة.

فقد روى شيخنا الطوسي في التهذيب في فضل زيارتها باسناده عن يزيد بن عبدالملك[١] عن ابيه عن جدّه، قال: دخلت على فاطمة (عليها السّلام) فبدأتني بالسّلام ثم قالت: ما غدابك؟ قلت: طلب البركة قالت: اخبرني أبي وهو هوذا انّه من سلّم عليه وعليّ ثلاثة أيّام أوجب اللّه له الجنّة قلت لها: أفي حياته وحياتك؟ قالت: نعم وبعد موتنا. وفي خبر آخر[٢] عن امير المؤمنين (عليه السّلام) عن فاطمة قالت: قال لي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): يا فاطمة! من صلّى عليك غفر اللّه له وألحقه بي حيث كنت من الجنة. وروى الكليني (عليه الرحمة) في روضة الكافي الحديث السابع والثمانون باسناده عن علي بن أبي حمزة البطائني، قال: قلت لأبي ابراهيم (عليه السّلام): ان اذنت لي حدّثتك بحديث عن أبي بصير عن جدّك يعني الباقر (عليه السّلام) انّه اذا وعك[٣] استعان بالماءِ البارد، ثمّ ينادي حتى يسمع صوته على. باب الدار يا فاطمة بنت محمّد (صلى اللّه عليه وآله) فقال: صدق قلت: فما وجدتم للحمّى عندكم دواءاً، فقال: ما وجدنا لها دواءاً إلاّ الدعاء والماء البارد.

أقول: لعل ندائه (عليه السّلام) كان لاجل الاستشفاءِ والتوسّل الى

---

(١) كانه عبدالملك بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب فالراوي للخبر وهو المغيرة حفيد عم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وكان في حياته غلاما لم يبلغ الحلم ذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى في باب مناقب أولاد أعمامه (صلى اللّه عليه وآله و سلّم) وهو الذي تزوج بامامة بنت اخت فاطمة زوجة أمير المؤمنين عليه السّلام) بعد شهادته كما يأتي شرحه في باب اسماء فاطمة (عليها السّلام).

(٢) رواه في البحار باب مناقب فاطمة من مجلد تاريخها عن كشف الغمة وفي مزاره عن مصباح الأنوار.

(٣) بصيغة المجهول أي اشتدّت عليه الحمّى وآذته.

اللّه تعالى بها، فيكون هذا هو الدعاء الّذي ذكره في آخر الخبر دواءاً للحمّى وليس ذلك بعجب، فان اللّه تعالى قد اصطفى فاطمة (عليها السّلام) على سائر خلقه، وخصّها من أوليائه بفضائل عظيمة نوّه ببعضها في مواضع من الذكر الحكيم كآيات: التطهير، والمباهلة، وهل أتى، فلذلك جعل التوسّل اليه سبحانه بروحها الطيّبة المكرّمة عنده[1] في عالم البرزخ دعاءاً منه وسببا لبركته وشفائه ووسيلة الى مغفرته ورضوانه.

وكان بنائي أوّلاً على الاختصار والاكتفاءِ بجملة من الاخبار، لكن جرّنا البحث والتتبع الى التوسّع والتحقيق في كثير من مطالبها، فجاءِ بحمد اللّه رسالة كاملة لما تتضمنه من اصول الفضائل، وتعرضنا تعليقاً في ذيل الصفحات لفوائد ترتبط بالاصل توضيحا أو استطرادا كما هو دأب المؤلفين، وقد أوردنا المطالب حسبما اقتضى الترتيب في عشرة ابواب مستعينا باللّه سبحانه فنسأله تعالى ان يجعلها خالصة لوجهه الكريم ويزيدنا التوفيق لما يرضاه انه الرؤوف الرحيم.

---

(١) كما قال اللّه تعالى: «بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم اللّه من فضله».

الباب الاول: في بدء خلقها

انّ اللّه تعالى اختص الزّهراءِ (سلام اللّه عليها) من سائر النساءِ بان خلقها من الطينة الطيبة العالية، والانوار الزاهرة الالهيّة، لتكون نسلة طاهرة ميمونة يتولّد منها أئمّة الهدى، وأنوار التقى؛ الذين هم خلفاء الحقّ وشهداءِ الحقّ، وقد وردت بذلك من طرق أصحابنا وغيرهم نصوص مستفيضة نذكر عدّة منها:

الأوّل: روي في البحار[1] عن الامام الرضا (عليه السّلام) قال: قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): لمّا عرج بي الى السماءِ أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة، فناولني من رطبها فأكلته، فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلمّا هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء انسيّة، فكلمّا اشتقت الى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة.

الثّاني: في البحار[2] أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال:

---

(١) رواه في باب ولادتها من المجلّد العاشر عن أمالي الصدوق وعيونه عن أحمد بن زياد الهمداني عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن أبي الصّلت الهروي عن الرضا (عليه السّلام) وهذا السند حسن.

(٢) في الباب المذكور عن تفسير علي بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن أبي عبيدة الحذّاءِ عنه (عليه السّلام) وهذا السند أحسن من الأوّل.

كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يكثر تقبيل فاطمة، فأنكرت ذلك عائشة، فقال: يا عائشة انّي لمّا اُسرى بي الى السّماءِ دخلت الجنّة، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها، فحوّل اللّه ذلك ماءاً في ظهري، فلمّا هبطت الى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فما قبلتها الآ وجدت رائحة شجرة طوبى.

الثالث: روى الصدوق عليه الرّحمة في معاني الأخبار[1] باسناده عن الامام الصادق (عليه السّلام) عن أبيه عن جدّه، قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): خلق نور فاطمة قبل أن يخلق الارض والسماءِ، فقال بعض الناس: يا نبيّ اللّه فليست هي انسيّة، فقال: فاطمة حوراءُ انسية، فقالوا: يا نبيّ اللّه كيف هي حوراء انسيّة، فقال: خلقها اللّه (عزّوجلّ) من نوره قبل أن يخلق آدم اذ كانت الارواح، فلمّا خلق اللّه آدم عرضت عليه، قيل: يا نبيّ اللّه وأين كانت فاطمة؟ قال كانت في حقّة تحت ساق العرش، قيل: يا نبيّ اللّه فما كان طعامها، قال: التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد، فلمّا خلق اللّه (عزّوجلّ) آدم وأخرجني من صلبه وأحبّ اللّه (عزّوجلّ) أن يخرجها من صلبي جعلها تفّاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل، فقال لي: السّلام عليك ورحمة اللّه وبركاته يا محمّد، قلت: وعليك السّلام ورحمة اللّه وبركاته حبيبي يا جبرئيل، فقال: يا محمّد انّ ربك يقرؤك السلام، قلت: منه السلام واليه يعود السلام، قال: يا محمّد هذه تفّاحة أهداها اللّه

---

(١) رواه في آخره باب النوادر عن محمّد بن موسى بن المتوكّل عن الحميري عن يعقوب بن يزيد عن ابن فضّال عن عبدالرحمن بن الحجاج عن سدير الصيرفي ورواه عنه في البحار في الباب المذكور، وهذا السند أيضاً حسن، غير أنه ورد في شأن سدير الصيرفي مايشعر بذمّه، لكنّه معارض بما ورد فيه من المدح وهو أقوى وأصحّ، كما ذكره البهبهاني في تعليقته على منهج المقال.

اليك من الجنّة، فأخذتها وضممتها الى صدري، قال: يا محمّد يقول اللّه (عزّوجلّ): كلها، ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً وفزعت منه، فقال: يا محمّد مالك لاتأكل؟ كلها ولاتخف، فانّ ذلك للمنصورة في السماءِ وهي في الأرض فاطمة.

أقول: يستفاد من هذا الخبر المعتبر أنّ بدو خلق الزهراء (سلام اللّه عليها) كان من نور اللّه (عزّوجلّ) وكأنّ المراد به النور الذي خلقه اللّه لعظمته لما ورد في سائر الأخبار عن النبي والأئمة الأطهار أن خلقهم (عليهم السّلام) كان من نور عظمة اللّه، كما يأتي في هذا الباب والباب التالي وباب أسماء الزهراء، فاضافة النور اليه سبحانه في هذا الخبر لأجل أن اللّه تعالى اصطفاه على سائر الانوار، كاضافة الروح اليه في قوله «ونفخت فيه من روحي» حيث ورد عن الامام الباقر والصادق (عليهما السّلام)[1] في تفسيره أنّه إنّما أضاف هذا الروح الى نفسه، لأنّه اصطفاه على ساير الأرواح، كما اصطفى بيتاً من البيوت، فقال: بيتي، وقال لرسول من الرسل: خليلي. الخبر.

كما يستفاد من الخبر أيضاً أنّ خلق الزّهراءِ كذلك كان قبل خلق الأرض والسّماءِ وقبل خلق آدم، وانّه كان حينما كانت الارواح، وقد ورد كما يأتي في الباب التالي أنّ خلق الارواح كان قبل خلق آدم بالفي عام، وانّه بعد ما خلق بدوها جعلها في حقّة تحت ساق العرش مشغولة بالتسبيح والتحميد والتقديس للّه (عزّوجلّ) كما هو شأن الملائكة المقرّبين، وليس المراد بالخبر أنّ ذلك كان لخلق روحها (عليها السّلام) لأنّ النبيّ (صلّى اللّه

(١) رواه في الكافي باب الروح من كتاب التوحيد باسناد قوي عن الامام الصادق (عليه السّلام) وفي توحيد الصدوق (عليه الرحمة) باب معنى ونفخت فيه من روحي عن الامام الباقر (عليه السّلام) وبمعناه فيهما أخبار اُخر.

عليه وآله) قال: فلمّا أراد اللّه (عزّوجلّ) أن يخرجها من صلبي جعلها تفّاحة، ومن المعلوم أنّ الّذي يؤكل ويدخل في الصلب هو مبدء خلق الجسم، ومقتضاه أن يكون النور الّذي خلق منه روح الزهراءِ (سلام اللّه عليها) أعلى من النور الّذي خلق منه جسمها لما يأتي في الاخبار التالية في خلق أرواح الأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام) من أنّها فوق ما خلقت منه أجسامهم، واللّه العالم باسرار حججه وأوليائه.

ثمّ انّ الأخبار الواردة في هذا الباب من طرق الاماميّة أكثر من ذلك، كما في البحار وغيره، ولكن نكتفي بما ذكر روماً للاختصار وكفايتها في الاثبات، وأمّا من طرق اهل السنّة، فحسبنا ما رواه الحاكم في مستدركه[1] باسناده عن سعد بن مالك، قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): أتاني جبرئيل بسفرجلة من الجنّة، فأكلتها ليلة اُسرى بي، فعلقت خديجة بفاطمة، فكنت اذا اشتقت الى رائحة الجنّة شممت رقبة فاطمة ورواه الحافظ ابن المغازلي الشافعي في مناقبه.

وروي في مجمع الزوائد الجزء ٩ ص٢٠٢ عن الطبراني باسناده عن

---

(١) ج٣ ص١٥٦ طبعة حيدرآباد والحاكم هو أبو عبداللّه محمد بن عبداللّه النيسابوري المتوفى سنة خمس وأربعمائة، كان من حفّاظ العامّة، و محدّثيهم الكبار، وقد أورد في هذا الكتاب وصحّح على شرط البخاري ومسلم كثيراً من الأحاديث التي وردت في فضل أمير المؤمنين (عليه السّلام) وخلافته، كحديث الغدير، والطير المشوي، ولأجله نسبه بعضهم الى الرفض والتشّيع، لكنّه خلاف ما هو الظاهر المعلوم من كتابه المذكور، وكتابه في معرفة علوم الحديث. وسعد بن مالك في هذا الخبر إمّا سعد بن أبي وقّاص، أو أبو سعيد الخدري فانّه يروي سعيد بن المسيب الموجود في سنده عن كلّ منهما، كما في الإصابة، واُسد الغابة، وقد روى ابن شهرآشوب في مناقبه نحو ذلك عن ابن المسيّب عن سعد بن أبي وقّاص، واللّه العالم.

عائشة، قالت: كنت أرى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقبّل فاطمة، فقلت: يا رسول اللّه انّي كنت أراك تفعل شيئاً ما كنت أراك تفعله من قبل قال لي: يا حميراء انّه لمّا كان ليلة اسرى بي الى السماءِ ادخلت الجنّة، فوقفت على شجرة من شجر الجنّة، لم أر في الجنّة شجرة أحسن منها ولاأبيض منها ورقة ولا أطيب منها ثمرة، فتناولت ثمرة من ثمرها فأكلتها، فصارت ماءاً في صلبي، فلمّا هبطت الى الارض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فاذا أنا اشتقت الى رائحة الجنّة شممت ريح فاطمة، يا حميراء انّ فاطمة ليست كنساءِ الآدميين، ولاتعتلّ كما يعتللنّ.

ورواه الخوارزمي أيضاً في مقتله في فصله الخامس وقد ذكر في مقدّمة المقتل انّي توخّيت أن اودع هذا الكتاب مالا يمجّه سمع السماع، وقصدت أن احلّيه بما لايردّه جمع الاجماع، وأردت ان يرتفع مستطير الشعاع مكشوف القناع، ولم ألمظه[1] ما يرويه الغلاة، ولم أحبّره بما يستلذّه الغواة.

وروى محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى عن عائشة قالت قلت: يا رسول اللّه مالك اذا قبّلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كانّك تريد أن تلعقها عسلاً؟ فقال: انّه لمّا اسرى بي أدخلني جبرئيل الجنّة، فناولني تفّاحة فاكلتها، فصارت نطفة في ظهري، فلمّا نزلت من السماءِ واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، فكلّما اشتقت الى تلك التفّاحة قبّلتها.

وروي أيضاً عن ابن عبّاس أنّه قال: كان النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) يكثر تقبيل فاطمة، فقالت عائشة: انك تكثر تقبيل فاطمة فقال: انّ جبرئيل

---

(١) لَمّظَه لماظة بالتشديد أي ذوّقه شيئاً قليلاً كما يستفاد من «لسان العرب» وفيه أيضاً حبرت الشعر والكلام بالتشديد أي حسّنته.

ليلة اسرى بي أدخلني الجنّة، فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءاً في صلبي، فحملت خديجة بفاطمة فاذا اشتقت لتلك الثمار قبّلت فاطمة فاصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها ورواه ابن المغازلي.

فظهر بحمد اللّه ثبوت الحديث، واستفاضته من طرق الشيعة والسنّة، فلامجال لارتياب فيه إلاّ أنّ المعروف بين أهل السنّة أنّ ولادة الزهراء (سلام اللّه عليها) قبل بعث النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) والاسراء إنّما كان بعده، فلذا أنكر بعضهم هذا الحديث، ورماه الذهبي في تلخيص المستدرك[1] بالكذب الجلي، لكن يرده أنّ الصحيح كما عليه الاماميّة وسيأتي الكلام فيه انشاء اللّه في هذه الرسالة أنّ ولادتها بعد البعثة، للنصوص الصحيحة الآتية.

على أنّ في النصوص المذكورة هنا كفاية لذلك، فانّها أقوى وأصحّ ممّا رووه في خلافه. ولايقال انّ هذه النصوص بينها تناف يدفع بعضها بعضاً، حيث ذكر في بعضها أنّ الثمرة التي تناولها النبي (صلى اللّه عليه وآله) كانت تفّاحة، وفي آخر أنّها كانت رطباً، وفي ثالث كانت سفرجلة، فانّ هذا أيضاً مردود.

أوّلاً: بانّه اختلاف في نواحي الحديث، ولايقدح في صحّة أصله، كما عليه بناء الناس في مثله، فلو حكى جماعة أنّ سلطاناً قدم بلدة لكن ذكر بعضهم أنّه عند قدومه فعل كذا وذكر آخر أنّه فعل غيره، لايقدح هذا عند العقلاء في اثبات أصل قدومه.

وثانياً: أنّه يمكن الجمع بينها بأنّه (صلى اللّه عليه وآله) تناول من جميع

---

(١) في تذييل الحديث المتقدّم، وذكر نحوه في ميزان الاعتدال في ترجمة عبداللّه بن واقد ويظهر من كلامه فيهما أنّ دعواه ناشئة عن المبنى دون التحقيق.

تلك الثمار، وانّ جميعها تحوّلت نطفة، لكن لمّا لم يكن التفصيل لخصوصيّات القضيّة في مثل هذا الحديث لازماً اقتصر في الأخبار المذكورة على ذكر بعضها ، ويدلّ على ذلك ما تقدّم آنفاً في حديث ابن عبّاس على أنّ كيفيّة ثمار الجنّة غير معلومة لنا، فلعلّ ثمرة منها تتشكّل بأشكال مختلفة في طعوم متعدّدة، كما روي في بعض أخبار الاماميّة عن الامام الرضا (عليه السّلام) انّ الشجرة التي أكل منها آدم في الجنّة كانت تحمل أنواعاً من الثمارو ليست كشجرة الدنيا(١).

ثم انه روى المجلسي (عليه الرحمة) في البحار(٢) خبراً آخر طويلا عن كتاب الدرّ النظيم وحاصله: انّ اللّه تعالى أمر النّبي (صلى اللّه عليه وآله) بان يعتزل خديجة في مكان آخر، فاعتزلها واشتغل بالعبادة من الصلاة والصيام، فلمّا كمل اربعون يوماً هبط جبرئيل وأمره بالتأهّب لتحفة اللّه، ثمّ هبط ميكائيل بطبق فيه عنب ورطب وأمره بالافطار منه، ثمّ يخرج الى بيت خديجة قبل أن يأتي بنوافل ليلته، ففي تلك الليلة حملت خديجة منه بفاطمة وأحسّت بهذا الحمل.

وروي نحوه في مقتل الخوارزمي باسناده عن عمر بن الخطاب وذكر فيه انّ ذلك كان في شهر رمضان ليلة الجمعة لاربع وعشرين منه. وظاهرهما أنّ القضيّة انّما كانت في الارض لافي الاسراءِ، لكنهما من حيث السند ضعيف، لارسال الأوّل، وجهالة الثاني. وعلى تقدير الصحّة يمكن تنزيلهما على ليلة الاسراءِ، فلعلّه بعد ما أفطر النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) في تلك الليلة من رطب الجنّة في الارض اسرى به الى السماءِ، فتناول

---

(١) رواه الصدوق (عليه الرحمة) في كتاب «العيون» ج١، ص٣٠٦، طبعة قم.

(٢) الجزء ١٦ من الطبعة الجديدة باب تزوّجه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بخديجة.

فيها أيضاً من ثمار الجنّة، ثم امر بالخروج الى بيت خديجة، أو كان الاسراء في الليلة السابقة على تلك الليلة، وكان خروجه الى بيت خديجة بعد ليلة الاسراءِ، واللّه العالم.

تذييل: قد ورد من طرق الامامية أخبار كثيرة في أنّ خلق الانبياءِ والائمّة الطاهرين من آل النبيّ (صلّى اللّه عليهم أجمعين» كان ايضاً من الاشياءِ العالية النوريّة، والموادّ القدسيّة الغيبيّة. فروى شيخنا «الصدوق» عليه الرحمة في كتاب الفقيه باب النوادر من آخره باسناده عن جابر بن عبداللّه الانصاري عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) حديث كيفيّة ولادة الانسان وأحواله في الرحم، ثمّ قال جابر فقلت: يا رسول اللّه هذه حالنا فكيف حالك وحال الاوصياءِ بعدك في الولادة، فسكت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) مليّا، ثمّ قال: ياجابر لقد سألت عن امر جسيم لايحتمله الا ذو حظّ عظيم انّ الانبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة اللّه جلّ ثناؤه يودع اللّه أنوارهم أصلاباً طيّبة وأرحاماً طاهرة، يحفظها بملائكته ويربّيها بحكمته ويغذوها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن ان يوصف وأحوالهم تدقّ عن ان تعلم لأنّهم نجوم اللّه في أرضه وأعلامه في بريّته وخلفائه على عباده وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه هذا من مكنون العلم ومخزونه، فاكتمه إلاّ من أهله.

وروى في كتاب العلل[1] باسناده عن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: انّ اللّه (عزّوجلّ) خلقنا من عليّين وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من عليّين وخلق أجسادهم من دون ذلك فمن ذلك،

---

(١) الباب ٩٦، علّه الطبائع والشهوات، وفي الكافي باب خلق أبدان الائمة (عليهم السّلام) من كتاب الحجة وفي البصائر في هذا الباب من اوائله.

كانت القرابة بيننا وبينهم، ومن ثمّ تحنّ قلوبهم الينا. ورواه الكليني نحوه في الكافي والصفّار في بصائر الدرجات.

ورووا فيها باسنادهم(١) عن أبي حمزة الثمالي، قال :سمعت أبا جعفر الباقر (عليه السّلام) يقول: إن اللّه (عزّوجلّ) خلقنا من أعلى علّيين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي الينا، لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه، ثمّ تلى هذه الآية: «كلاّ انّ كتاب الأبرار لفي علّيين..» ونحوه في محاسن البرقي وتفسير القمّي.

وورد أيضاً في عدّة أخبار في الكافي(٢) والبصائر وغيرهما باسانيد عن الامام الصادق (عليه السّلام) انّ اللّه تعالى اذا أراد أن يخلق الامام أمر ملكاً فاخذ شربة من ماءِ تحت العرش فيسقيها أباه، فمن ذلك يخلق الامام. وفي بعضها أنزل قطرة من تحت عرشه على بقلة من بقل الارض، أو ثمرة فاكلها الامام الذي يكون منه الامام، فكانت نطفته من تلك القطرة الى غير ذلك من النصوص الواردة في هذا المقام وهي كثيرة جداً، وقد رواها المجلسي (عليه الرحمة) في البحار عن الكتب المذكورة وغيرها من اصول الشيعة، فاوردها في باب الطينة والميثاق من المجلّد الثالث من الطبعة القديمة، وباب بدو أرواح الائمّة وأنوارهم وطينتهم وباب احوال ولادتهم وانعقاد نطفهم (عليهم السّلام) من المجلّد السابع، وهو مجلّد الامامة، وباب طينة المؤمن من المجلد الخامس عشر وغير ذلك، واختلاف التعبيرات اللفظية في

---

(١) في الأبواب المشار اليها وفي المحاسن الباب ٢ من كتاب الصفوة وفي تفسير القمي عند قوله تعالى: «كلاّ انّ كتاب الابرار لفي علّيين».

(٢) رواها في الكافي في باب مواليد الائمّة (عليهم السّلام) من كتاب الحجّة وفي البصائر في باب فصل الأحاديث من الجزء التاسع ورواه القمّي في تفسيره عند قوله تعالى: «وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً».

هذه الاخبار مثل نور عظمة ا للّه وعلّيين وطينة الجنّة وماءِ تحت العرش ونحو ذلك ليس اختلافاً في المعنى، فانّها اشارة الى أمر غيبيّ لايدركه أفهام البشر المأنوسة بالامور الدنيويّة.

والمراد بعلّيين الأشياءِ العاليّة فوق العاليّة، فانّها جمع علّيّ بكسر العين واللام وتشديد اللام والياءِ مشتقّ من العلو بمعنى الرفعة[١] وهي من صيغ المبالغة، كالصدّيق والزّهيد أي: كثير الصدق والزهد، كما في آخر المصباح المنير للفيّومي. والظاهر أنّ هذا هو المراد بها في الآية المذكورة أيضاً، يعني انّ صحائف أعمال الابرار موضوعة في أمكنة عالية، أو في مراتب عالية بحيث يشهدها وينظر فيها المقرّبون من ملائكة اللّه اعجابا منها وتحسينا لها. وما قيل في تفسيرها بالسماءِ السابعة أو نحوها على تقدير صحّته، فهو من قبيل تعيين المراد لامفهوم الكلمة. وذكر الامام (عليه السّلام) للآية في الخبر المتقدم لاجل التقريب ظاهراً لا أنّ المراد بما ذكره عين ماهوالمراد بما في الآية وبهذا المعنى يظهر أيضاً أنّ لعلّيين درجات ومراتب، كما ذكره الفيض الكاشاني (عليه الرحمة) في الوافي في بيان بعض هذه الاخبار، ويدلّ عليه ما في الخبر المتقدّم هنا من قوله (عليه السّلام) أعلى علّيين، فبذلك يجمع بين ما ورد في بعض تلك الاخبار من أنّ قلوبهم وأرواحهم خلقت من علّيين، وبين ما دلّ منها على أنّها خلقت من فوقها، وذلك لأنّ ما فوقها أيضاً يكون من الاشياءِ العالية فوق العالية.

ولايخفى أنّ أعلى من جميعها ما كان لخلق خاتم الانبياءِ (صلّى اللّه عليه وآله) لافضليّته وأشرفيّته على جميع خلق اللّه.وقدروى علي بن ابراهيم

---

(١) وقد راقني ان بعض اساتيدنا ترجمها في الآية بالفارسية ببالا بالاها.

القمّي في تفسيره[١]باسناده الصحيح عن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: أوّل من سبق من الرسل الى «بلى» رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وذلك أنّه كان أقرب الخلق الى اللّه، وكان بالمكان الّذي قال له جبرئيل وقد اسرى به الى السماءِ: تقدّم يا محمّد فقد وطأت موطئاً لم يطأه أحد ملك ولانبيّ مرسل، ولولا أنّ روحه ونفسه كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من اللّه كما قال (عزّوجلّ): «قاب قوسين أو أدنى» أي: بل أدنى.

ثمّ انّه لاينافي ذلك ما هو المعلوم من عادتهم من أنّ ولادتهم (عليهم السّلام) كانت مثل سائر البشر بالتناسل والاختلاط البشري، فانّه كما تقدّم في حديث خلق الزهراءِ وحديث خلق الائمّة (عليهم السّلام) جعل اللّه تعالى تلك الاشياءِ العالية بما لها من القدس والكمال في الاشياءِ المادّية الارضيّة، أو بصورتها فصيّرها في الاصلاب الشامخة والارحام المطهّرة، ثمّ أخرجهم منها بالولادة البشريّة على نحو غيرهم، لكن مع الاحتفاظ على كرامتهم وقدسيّتهم باظهار الآيات والمعجزات لهم حينما كانوا في الاصلاب، وحينما كانوا في الارحام وحين ولادتهم، كما ورد في الاخبار الكثيرة لاسيّما في شأن خاتم الانبياءِ (صلي اللّه عليه وآله) فانّه كان يعرف نوره من وجه أبيه حينما كان في صلبه، فشاقت نسوة كثيرة للتزوّج به ابتغاءِ ذاك النور،بل كان يعرف نوره في وجوه آبائه الى آدم (عليهم السّلام) حينما كان في أصلابهم، وغير ذلك من معجزاته كما في باب ولادته من البحار وهكذا ما ورد في سائر الائمّة (عليهم السّلام) كولادة أمير المؤمنين في البيت الحرام بصورة خارقة ، ويأتي هنا بعض ما كان من ذلك للزهراء (عليها السّلام).

---

(١) عندقوله تعالى:«واذ أخذ ربّك من بني آدم»آه وحكاه في البحار عنه في باب الطينة والميثاق.

الباب الثاني في الارواح والاشباح والميثاق

ان للّه تعالى قبل هذا العالم الجسماني عوالم غيبيّة لايعلم كنهها وعددها غيره منها عالم الارواح قال اللّه سبحانه «ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي وما اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً» وورد في أخبار مستفيضة من طرق الشيعة والسنّة[1] عن النبي والائمّة المعصومين (عليهم السّلام) انّ الارواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. وقد اختلف الكلمات في تفسيره، فقيل: انّه اشارة الى تقدّم خلق الارواح على الاجساد وان ما تعارف منها في عالمها قبل دخولها في الاجساد امّا بالتواصل أو بالحالات والصفات، أو بالموادّ تأتلف في هذا العالم، ولذا قد يرى الانسان أحداً فيحبّه أو يبغضه من دون خير أو شرّ سبق منه اليه، ويدلّ على هذا المعنى ما في بعض هذه الاخبار مثل ما في البحار باب خلق الارواح قبل الاجساد عن كتاب العلل لشيخنا الصدوق (عليه الرحمة)

---

(١) رواها في البحار باب حقيقة النفس والروح وباب خلق الأرواح قبل الأجساد من المجلّد الرابع عشر وهما في الجزء ٦١ من الطبعة الطهرانيّة بدار الكتب الاسلاميّة بعدّة أسانيد، وفي صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق باسناده عن عائشة، وفي صحيح مسلم في كتاب البرّ والصلة عن أبي هريرة، وفي كنز العمّال الجزء التاسع في الباب الأول من كتاب الصحبة عن ابن مسعود وسلمان، وفي شرح القسطلاني على البخاري نقل عن بعضهم.

انّ القلوب لاجناد مجنّدة ... قول الرسول ومن ذا فيه يختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

باسناده القوى عن الامام الصادق (عليه السّلام) انّ الارواح جنود مجنّدة فما تعارف منها في الميثاق ائتلف هاهنا، وما تناكر منها في الميثاق اختلف هاهنا. وعنه (عليه السّلام) انّ اللّه تعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّة قبل الميلاد، فما تعارف من الارواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف. ولكن روى أيضاً في أمالي الصدوق[١] باسناده عن الامام الباقر (عليه السّلام) انّ العباد اذا ناموا خرجت أرواحهم الى السماءِ، فما رأت الروح في السماءِ فهو الحقّ، ومارأت في الهواءِ فهو الاضغاث، ألا وانّ الارواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فاذا كانت الروح في السماءِ تعارفت وتباغضت، فاذا تعارفت في السماءِ تعارفت في الارض، واذا تباغضت في السماءِ تباغضت في الارض.

وروى الصفّار في البصائر[٢] باسناده القوي عن الاصبغ بن نباتة، قال: كنت مع أميرِ المؤمنين (عليه السّلام) فأتاه رجل فسلّم عليه وقال: انّي واللّه لاحبّك في اللّه واحبّك في السرّ، كما احبّك في العلانية، وأدين اللّه بولايتك في السرّ، كما أدين بها في العلانية، وبيده (عليه السّلام) عود فطأطأ به رأسه، ثمّ نكت بعوده في الارض ساعة، ثمّ رفع رأسه اليه، وقال: انّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حدّثني بألف حديث لكلّ حديث ألف باب، وانّ أرواح المؤمنين تلتقى في الهواء فتشامّ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ويحك لقد كذبت فما أعرف وجهك في الوجوه، ولا اسمك في الاسماء الحديث. ونحوه في كتاب الاختصاص المنسوب الى شيخنا المفيد (عليه الرحمة) بالاسناد عن الاصبغ،

---

(١) في المجلس التاسع والعشرين وعنه في البحار باب حقيقة النفس والروح.

(٢) في جزئه الثامن باب أنّ الامام يعرف شيعته من عدوّه ورواه عنه في البحار الجزء ٢٥ باب بدو أرواح الائمّة (عليهم السّلام).

كما في البحار باب خلق الارواح قبل الاجساد. وروى المتّقي الهندي في كنز العمّال الجزء التاسع باب فضل الصحبة من الافعال عن شقيق بن سلمة[١] نحو ذلك باختصار وقد ذكر (عليه السّلام) فيه انّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: انّ الارواح كانت تلاقي في الهواء فتشامّ ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وورد فيه بعد ذلك انّه لمّا كان من أمرعلي (عليه السّلام) ما كان، كان الرجل ممّن خرج عليه، ثمّ ذكر في الكنز أنّ رجاله ثقات. والمستفاد من هذه الاخبار سيّما أوّلها أنّ تعارف الأرواح يكون في هذا العالم بنوم أو نحوه، لكنّه لامنافاة بين ذلك وبين المعنى الاوّل، لجواز تحقّق كلا الامرين، وكون المراد بالحديث السابق كليهما، أو في كلّ خبر ما يخصّه، واللّه العالم.

هذا وقدصرح أيضاً في أخبار مستفيضة بأنّ الأرواح خلقت قبل الاجساد، فعن الامام الصادق (عليه السّلام)[٢] أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: خلق اللّه الارواح قبل الاجساد بألفي عام، ثم أسكنها الهواء فما تعارف منها ائتلف هاهنا وما تناكر منها ثمّ اختلف هاهنا. وعنه (عليه السّلام)[٣] انّ رجلاً جاء الى أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقال: أنا

---

(١) من كبار التابعين ذكره ابن حجر في القسم الثاني من اصابته وكان مع علي (عليه السّلام) بصفين ووثقه جماعة كما في تهذيب التهذيب.

(٢) رواه في رجال الكشي في ترجمة سفيان الثوري باسناده عنه (عليه السّلام) في حديث طويل نقل منه في البحار هذه الجملة في أخبار المقام وبطوله في تاريخ الامام الصادق (عليه السّلام) باب احوال اصحابه.

(٣) كما في الكافي كتاب الحجّة باب معرفة الائمة (عليهم السّلام) أوليائهم باسناد قوي، ورواه في البصائر باب أنّ أمير المؤمنين عرف ما رأى في الميثاق من جزئه الثاني بهذا الاسناد وأسانيد اخر عن الامام الصادق (عليه السّلام) بألفاظ مختلفة لايتفاوت فيما ذكر من المعنى وهو العرض.

واللّه احبّك وأتولاّك، فقال له: كذبت، فقال: بلى واللّه فكرّر ثلاثاً، فقال له الامام (عليه السّلام): كذبت ما أنت كما قلت انّ اللّه خلق الارواح قبل الأبدان بألفي عام، ثم عرض علينا المحبّ لنا، فواللّه ما رأيت روحك فيمن عرض فسكت الرجل ولم يراجعه. وفي خبر آخر(١) قال له امير المؤمنين (عليه السّلام): انّ الارواح خلقت قبل الابدان بألفي عام ثمّ أسكنت الهواء، فما تعارف منها ثَمّ ائتلف هاهنا، وما تناكر منها ثَمّ اختلف هاهنا وانّ روحي أنكر روحك. وقد يستفاد منهما أنّ التعارف بالنسبة اليه (عليه السّلام) كان بعرض المحبّ عليه، ويحتمل فيهما تعدّد القضيّة، وكون المراد بالتعارف في هذا ما هو لسائر الأرواح من تواصل ونحوه، كما أنّ الظاهر تغاير القضيّة فيهما مع ما في خبر الاصبغ المتقدّم لاختلافه عنهما في عالم التعارف، وقد مرّ فيما ذكرنا أنّه يمكن تحقّق كلا الامرين، فمقتضى الجميع أنّه (عليه السّلام) أجاب كلّ أحد بما يناسبه، وعلى كلّ فالظاهر من هذه الاخبار أنّ الأرواح انّما هي أرواح آحاد الناس لا النفوس الكليّة أو الملائكة كما قيل(٢).

---

(١) رواه في البصائر الباب المذكور باسنادين عن بعض أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) وذكر في أحدهما أن القائل ابن ملجم المرادي (لعنه اللّه تعالى) وان الامام (عليه السّلام) قال لأصحابه هذا قاتلي.

(٢) ان قيل: فما وجه اختصاص أمير المؤمنين (عليه السّلام) عن غيره بمعرفة محبّه من عدوّه بسبب تعارف الأرواح كما هو صريح هذه الأخبار؟ قلت: يظهر وجهه ممّا ورد أيضاً في بعض أخبار الباب من أنّه (عليه السّلام) كان متوسّماً أي متفرّساً، وقد قال اللّه تعالى «انّ في ذلك لآيات للمتوسمين» وانّه قد عرض عليه المحبّ بعد خلق الأرواح، كما مرّ في خبر الكافي ويأتي نحوه، وانّه روى في البصائر والاختصاص قبل حديث الأصبغ المذكور في حديث آخر عن الأصبغ أيضاً عنه (عليه السّلام) ←

والحاصل أنّ النصوص بتقدّم خلق الأرواح على الاجساد كثيرة جدّاً، وعقد المجلسي (رحمه اللّه تعالى) في بحار الانوار باباً خاصّاً بذلك[1] وذكر فيه أنّها قريبة من التواتر وهو كذلك قطعا، فقد أورد في هذا الباب خمسة عشر حديثاً أو أكثر مصرّحة بذلك بهذا اللفظ أو نحوه، وأسانيد جملة منها قويّة، كما أشرنا الى بعضها عند ذكره، وبعضها صحيح أو حسن كالصحيح، مثل ما رواه عن الكافي، وهو موجود فيه في باب نتف وجوامع من الرواية في الولاية من كتاب الحجّة عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن بكير بن أعين كان أبو جعفر (عليه السّلام) يقول: انّ اللّه تعالى أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالاقرار له بالربوبيّة ولمحمّد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالنبوّة، وعرض اللّه (عزّوجلّ) على محمّد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) امّته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق اللّه أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام وعرضهم عليه وعرّفهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعرفهم علياً ونحن نعرفهم في لحن

← قال على المنبر: انّ شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق اللّه آدم بألفي عام وانّي لاعرفهم لأنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لمّا تفل في عيني وكنت أرمد قال: اللهم اذهب عنه الحرّ والبرد وبصّره صديقه من عدوّه. الحديث.

وأمّا سائر الناس فقد حصل لهم بذاك التعارف شيء من الحبّ والبغض المرموزين كما ورد عنه(عليه السّلام) في الباب المذكور من البحار انّه لما احتضر قال فيما اوصى لبنيه: إن القلوب جنود مجنّدة تتلاحظ بالمودّة وتتناجى بها، وكذلك هي في البغض فاذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه اليكم فارجوه، واذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه اليكم فاحذروه.

(١) في المجلد الرابع عشر وهو في الجزء ٦١ من الطبعة الحديثة.

القول. ونحوه في البصائر باب أنّ الأئمة (عليهم السّلام) يعرفون ما رأوا في الميثاق من جزئه الثاني، وفي محاسن البرقي باب الميثاق من كتاب الصفوة، وذكر في المحاسن بعده أنّه رواه أيضاً عثمان بن عيسى عن أبي الجراح عن أبي جعفر (عليه السّلام) وزاد فيه: وكل قلب يحنّ الى بدنه. وأيضاً في البحار في باب حقيقة النفس والروح قبل الباب المذكور ما هو صريح في ذلك، كما أورد في باب خلق النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من الجزء ١٥ وباب بدو أرواح الائمّة (عليهم السّلام) من الجزء ٢٥ وباب تاريخ ولادة أمير المؤمنين (عليه السّلام) من الجزء ٣٥ وباب حدوث العالم وبدو خلقه من الجزء ٥٧ نصوصاً كثيرة في الغاية تدلّ على تقدّم خلق أرواحهم وأنوارهم (عليهم السّلام)(١) فالحق أنّ دعوى التواتر المعنوي بل فوقه في أخبار تقدّم خلق الأرواح على الاجساد قريبة جداً.

ومع ذلك أنكر شيخنا المفيد (رحمه اللّه تعالى) وهو من أجلّ الفقهاء ومحقّقي الفرقة الاماميّة هذا القول، وذكر في رسالته أجوبة المسائل السروية(٢) أنّ الخبر بذلك من الآحاد، قال: وقد روته العامّة كما روته

---

(١) فمن امثالها ما أورده في الجزء ١٥ عن كتاب العلل باسناده عن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: يا مفضّل أما علمت أنّ اللّه تبارك وتعالى بعث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهو روح الى الانبياء (عليهم السّلام) وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام. الحديث أورده بتمامه في الجزء ٣٩ باب أنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) قسيم الجنّة و النار. وروى فيما ذكر من الجزء ٥٧ عن كتاب العيون عن الامام الرضا (عليه السّلام) قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ان أول ما خلق اللّه (عزّوجلّ) أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ثم خلق الملائكة الخبر.

ويأتي تمامه عند تعرضنا لبعض أخبار الباب.

(٢) هذه الرسالة طبعت أولاً في النجف الأشرف ثم في مدينة قم مع عدة رسائل له وكلامه في المقام نقله عنه في البحار باب الطينة والميثاق من الجزء ٥ وباب خلق ←

الخاصة وليس ممّا يقطع بصحّته، وان ثبت فالمعنى أنّ اللّه تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الاجساد، فخلق الأرواح قبلها خلق تقدير في العلم وليس بخلق لذواتها والخلق لها بالاحداث يكون بعد خلق الاجسام والصور، وإلاّ لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ولاتحتاج الى آلات تحتملها، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الاحوال قبل الاجساد، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الاجساد، وهذا محال لاخفاء بفساده. وذكر نحو ذلك أيضاً في رسالته[1] في شرح عقائد الصدوق إلاّ أنّه ذكر فيها أنّ الوجه للخبر على تقدير صحّته ان اللّه تعالى خلق الملائكة قبل البشر بألفي عام، فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر، وما لم يتعارف منه اذ ذاك اختلف بعد خلق البشر، وليس الأمر كما ظنّه أصحاب التناسخ ودخلت الشبهة فيه على حشويّة الشيعة، فتوهّموا أنّ الذوات الفعّالة المأمورة والمنهيّة كانت مخلوقة في الذرّ تتعارف وتعقل وتفهم وتنطق، ثمّ خلق اللّه لها أجساداً من بعد ذلك فركبها فيها الى آخر كلامه في الردّ على ما قاله شيخنا الصدوق (عليه الرحمة) في باب الاعتقاد في النفوس والأرواح من رسالة الاعتقادات، وفيه الطعن على أصحابنا المتعلقين بالأخبار ببعد الذهن

← الأرواح قبل الاجساد المذكور ويستفاد من كلامه ان هذا الخبر موجود في أخبار العامة أيضاً لكني لم أعثر على ذلك مسنداً في كتبهم نعم أشار اليه الفخر الرازي في آخر تفسيره لقوله تعالى «ويسئلونك عن الروح» والآلوسي في تفسير قوله تعالى «ونفخت فيه من روحي» من سورة الحجر ورواه السيوطي في الدر المنثور في قوله تعالى «واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم» عن محمد بن كعب القرظي وأبي بن كعب موقوفاً.

(١) هذه الرسالة أيضاً مطبوعة مع رسالته اوائل المقالات وحكى كلامه فيها في البحار باب حقيقة النفس والروح من الجزء ٦١.

وقلّة فطنة وترك النظر في اسنادها وعدم الفرق بين حقّها وباطلها والتحصيل لمعانيها.

ولكن يرد عليه أوّلاً أنّ ما ذكره من كون الأخبار المذكورة آحاداً ممنوع، كما بيّناه اجمالاً مع الاشارة الى تفصيله، وقد أورد هو بعض ما ورد في ذلك في كتابه الامالي والاختصاص المنسوب اليه، ففي الأوّل(١) باسناده عن الصحابي الجليل أبي الهيثم بن التيهان قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): انّ اللّه (عزّوجلّ) خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام وعلّقها بالعرش وأمرها بالتسليم عليّ والطاعة لي، وكان أوّل من سلّم عليّ وأطاعني من الرجال روح علي بن أبي طالب (عليه السّلام). ومن الثاني ما رواه عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) في حديث لأمير المؤمنين (عليه السّلام) مع امرأة لم ترض بقضائه لزوجها، فنسبها الى هنات، فقال له عمرو بن الحريث: ما أعرفك بالكهانة، فقال (عليه السّلام): انّها ليست بالكهانة ولكنّ اللّه خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، فلمّا ركّبها في أبدانهم كتب بين أعينهم كافر ومؤمن، الى أن قال: ثمّ أنزل بذلك قرآناً، فقال: «انّ في ذلك لآيات للمتوسّمين» فكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) المتوسّم ثمّ أنا من بعده الحديث.

وثانياً لادليل عقلاً على استحالة تقوّم الروح بنفسها، أو تعلّقها بشيء آخر غير البدن كالهواء، كما مرّ في عدّة نصوص، وصرّح بنحوه في غيرها، فانّ حقيقة الروح غير معلومة لنا، ومعرفتها بالكنه والصفات خارجة عن امكان البشر، كما قال اللّه تعالى «قل الروح من أمر ربّي وما

---

(١) في المجلس الثالث عشر ورواه عنه في البحار باب جوامع مناقب أمير المؤمنين (عليه السّلام) من الجزء ٤٠ الحديث ٧٧.

اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً» فكما أنّه بعد موت الجسد حيّ باق بمقتضى آيات القرآن والنصوص الكثيرة الواردة في أحوال النوم والموت يمكن أن يكون قبل خلقه كذلك، وعدم معرفتنا لما سلف منها لأجل أنّ حكمة اللّه تعالى جرت على أن يكون التذكّر للأحوال الماضية باسباب ظاهريّة طبيعيّة، ولذا لايذكر الانسان ما مضى عليه في حال الطفولة وكثيراً ممّا مضى عليه في شبابه، مع أنّه يذكرها بعد الموت في الآخرة، كما قال اللّه تعالى «يوم يتذكّر الانسان ما سعى».

هذا ويظهر منه في كلامه المذكور أنّ القول بتقدّم خلق الأرواح من لوازم القول بالتناسخ، والحال أنّه أجنبيّ عنه ظاهراً، فانّ القول بالتناسخ الباطل كما حكاه المجلسي (رحمه اللّه) في معاد البحار انّما هو بانكار الحشر والمعاد الجسماني والجنّة والنار، أو القول بقدم الأرواح، وليس فيما ذكره الصدوق (رحمه اللّه) في الباب المذكور دلالة على ذلك أصلاً، بل صرّح في هذه الرسالة بعد بابين آخرين ببطلان التناسخ، وانّ من دان به فهو كافر لانّه انكار للجنّة والنار، وعلى كلّ فالوجوه العقليّة لاستحالة شيء انّما تعارض النصوص الشرعيّة اذا كانت موجبة للعلم بها، وأمّا ان كانت محض شبهة كبعض ما أورد على أصل المعاد مثل شبهة الآكل والمأكول ونحوها في بعض مسائل التوحيد اذا لم يعلم رمز بطلانها ووردت النصوص والادلّة الشرعيّة على خلافها، كان اللازم هو الركون الى الادلّة الشرعيّة والتمسّك بها ودفع الشبهات عن النفس بذلك.

فتحصّل من جميع ذلك أنّ عالم الأرواح قبل الاجساد ثابت بالقطع من آثار أهل البيت (عليهم السّلام) اجمالاً، لكن لم يعلم كنهه وكيفيّته وأفعاله وأحواله تفصيلاً، وقد يعبّر عنه بعالم الاشباح لما يأتي في بعض الأخبار من أنّ أرواح الائمّة أو أنوارهم (عليهم السّلام) كانت أشباح نور

أي صوراً نوريّة.

وللشيخ الرئيس ابن سينا قصيدة معروفة في الروح أوردها شيخنا البهائي (رحمه اللّه) في كتابه الكشكول[١] أوّلها:

هبطت اليك من المحلّ الارفع ورقـاءِ ذات تـعـزّز وتـمـنّـع
محجوبة عن كلّ مقلة عارف وهي التي سفرت ولـم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربّما كرهت فراقك فهي ذات تفجّع[٢]

ثمّ ذكر بعض أحوال الروح وكيفيّة تعلّقها بالبدن، وذكر في آخرها ما حاصله لأي شيء تعلقت بالبدن بعدما كانت في أرفع محلّ، فان كان لحصول كمال لها فلم تفارق البدن قبل حصوله غالباً، ثمّ قال:

انعم برد جواب ما انا فاحص عنه فنار العلم ذات تشعشع

هذا ويظهر جوابه ممّا رواه شيخنا الصدوق (رحمه اللّه تعالى)[٣] باسناده عن عبداللّه بن الفضل الهاشمي، قال قلت لأبي عبداللّه (عليه السّلام): لأيّ علّة جعل اللّه تعالى الأرواح في الابدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محلّ؟ فقال: انّ اللّه تعالى علم انّ الأرواح في شرفها وعلوّها متى تركت على حالها نزع أكثرها الى دعوى الربوبيّة دونه (عزّوجلّ) فجعلها بقدرته في الابدان التي قدّرها لها في ابتداءِ التقدير نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها الى بعض، وعلّق بعضها على بعض ورفع

---

(١) واوردها العلاّمة الجليل السيّد عبداللّه الشبّر في الجزء الثاني من كتابه مصابيح الأنوار وشرحها وذكر في آخره أنّ الجواب الحقيقي عن آخرها هو ما في الخبر التالي.

(٢) في البحار باب حقيقة النفس والروح عن قرب الاسناد باسناد قوي عن الامام الباقر (عليه السّلام) انّ روح آدم لما امرت أن تدخل فيه كرهته، فأمرها أن تدخل كرهاً وتخرج كرهاً.

(٣) في كتابي التوحيد الباب ٦٢ والعلل الباب ١٣ ورواه عنه في البحار الباب المذكور.

بعضها فوق بعض درجات، وكفى بعضها ببعض، وبعث اليهم رسله واتّخذ عليهم حججه مبشّرين ومنذرين يأمرونهم بتعاطي العبوديّة والتواضع لمعبودهم بالانواع التي تعبّدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغّبهم بذلك في الخير، ويزهّدهم في الشرّ، وليذلّهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك أنّهم مربوبون وعباد مخلوقون ويقبلوا على عبادته، فيستحقّوا بذلك نعيم الابد وجنّة الخلد، ويأمنوا من النزوع الى ما ليس لهم بحقّ، ثمّ قال (عليه السّلام) يا ابن الفضل انّ اللّه تبارك وتعالى أحسن نظراً لعباده منهم لانفسهم، ألا ترى أنّك لاترى فيهم إلاّ محبّاً للعلوّ على غيره حتّى أنّ منهم لمن قد نزع الى دعوى الربوبيّة، ومنهم من قد نزع الى دعوى النبوّة بغير حقّها، ومنهم من قد نزع الى دعوى الامامة بغير حقّها، مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام المتناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم، يا ابن الفضل انّ اللّه تعالى لايفعل بعباده إلاّ الأصلح لهم، ولايظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

قوله (عليه السّلام) نزع بصيغة المجهول أي اشتاق أو مال، ولايخفى أنّ ما ذكره الامام الصادق (عليه السّلام) في هذا الحديث في شأن النفوس البشرية انما هو من العلوم الغيبيّة الالهيّة التي يشهد عليها الوجدان والفطرة السليمة لما ترى أنّها بطبعها مائلة الى التكبّر والطغيان اذا زالت عنها الآلام، كما ذكره اللّه تعالى في مواضع من القرآن، فقال: «واذا مسّ الانسان ضرّ دعا ربّه منيبا اليه ثمّ اذا خوّله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل للّه أنداداً ليضلّ عن سبيله» فلو كانت ثابتة في محلّها الأرفع خالية عن الألم والابتلاء كان طغيانها أكثر، وليس كونها هناك عاصماً لها، فانّ

ابليس اللعين أقام كثيراً في الملائكة المقرّبين، وكان يرى آيات اللّه الكبرى في السماء، ومعذلك استكبر من بينهم وكفر باللّه، فنعوذ به من الزلل والطغيان وعصمنا من رذائل الشيطان. وكأنّه من هذا الحديث الشريف أخذ شيخنا محمّد جواد البلاغي النجفي (قدّس سره) قصيدته لمعارضة قصيدة ابن سينا مجيباً له عن سؤاله المذكور فقال:

نعمت بان جائت بخلق المبدع
ثمّ السعادة أن يقول لها ارجعي

يعني قوله تعالى «ارجعي الى ربّك راضية مرضية».

خلقت لانفع غاية ياليتها … تبعت سبيل الرشد نحو الانفع
اللّه سوّاها وألهمها فهل … تنحو السبيل الى المحلّ الارفع
نعمت بنعماءِ الوجود ونوديت … هذا هداك وما تشائي فاصنع

الى أن قال في آخرها :

كم قائل فيها يقول وسائل … وجوابه في (يسألونك) أن يع

وهي مطبوعة تلو تعليقته على مكاسب شيخنا الانصاري (عليه الرحمة).

وهناك عالم آخر يسمّى بالذرّ والميثاق، فقد ورد أنّ اللّه تعالى أخرج ذرّية آدم (عليه السّلام) قبل هذه النشأة الدنيويّة، وجعل فيهم آلة النطق والادراك، فاخذ منهم الميثاق لنفسه بالربوبيّة، وأشهدهم بذلك على انفسهم. والأخبار بذلك من طرق الخاصّة والعامّة كثيرة، ونسب القول به الى جلّ أهل الحديث وجماعة من المفسرين، وبذلك فسّروا قوله تعالى «واذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى» الآية، ولكن أنكره جماعة من اهل النظر وأوّلوا الآية بالاستعارة والتمثيل لما فيها من القرينة اللفظيّة كما نذكر، ولوجوه عقلية أو

خارجيّة مثل أنّ الحجّة لاتتمّ في الدنيا إلاّ بالتذكّر، والمفروض أنّهم نسوا ما أُخذ عليهم في تلك النشأة من الميثاق وانّ صلب آدم لايسع جميع ذرّات ولده، وانّ ذرات أولاد أولاده انّما تحدث في أصلاب آبائهم بالتغذّي من الموادّ الارضيّة، ولم تكن موجودة في صلب آدم، وغير ذلك ممّا ذكر في تفسير الرازي وغيره.

وقال شيخنا المفيد (رحمه اللّه) في رسالته أجوبة المسائل السرويّة: انّ الصحيح من هذا الحديث أنّ اللّه تعالى أخرج الذّريّة من ظهر آدم كالذرّ فملأ بهم الافق، وجعل على بعضهم نوراً لايشوبه ظلمة، الى أن قال: وانّما فعل اللّه تعالى ذلك ليدلّ آدم (عليه السّلام) على العاقبة منه، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعمله بالكائن قبل كونه ليزداد آدم يقينا بربّه، ويدعوه ذلك الى التوفّر على طاعته، ثمّ قال: وأمّا الأخبار التي جائت بانّ ذرّيّة آدم استنطقوا في الذرّ فأخذ عليهم العهد فاقرّوا، فهي من أخبار التناسخيّة الى آخر كلامه في ذلك وفي تأويل الآية بالمجاز والاستعارة وهو طويل.

هذا ولكن الحق ثبوت هذا العالم أيضاً على الوجه الاوّل، لأنّ النصوص الواردة فيه كثيرة جداً لاسيما من طرق الاماميّة، واسناد عدّة منها معتبرة ودلالتها عليه ظاهرة، ولايبعد دعوى التواتر المعنوي فيها، وهي مبثوثة في أُصولنا الأربعة وغيرها، فنذكر هنا نزراً يسيراً منها.

فروى الكليني (رحمه اللّه) في الكافي باب فطرة الخلق على التوحيد من كتاب الايمان والكفر، والصدوق في كتابه التوحيد في باب مثل ما في الكافي باسنادهما الصحيح عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر الباقر (عليه السّلام) عن قول اللّه (عزّوجلّ): «واذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى» قال: أخرج من ظهر آدم ذريّته الى يوم القيامة، فخرجوا كالذرّ فعرّفهم وأراهم

نفسه (في نسخة التوحيد صنعه) ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه، وقال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): كلّ مولود يولد على الفطرة. يعني على المعرفة بانّ اللّه (عزّوجلّ) خالقه كذلك قوله تعالى «ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولنّ اللّه» ورواه في تفسير العيّاشي عند الآية الاولى، وفيه: ولولا ذلك ما عرف أحد ربّه، وذلك قوله تعالى «ولئن سألتهم» الآية بدون قوله (عليه السّلام) كلّ مولود الخ.

وفي الكافي في ابواب طينة المؤمن من الكتاب المذكور والعلل الباب ٩ علّة خلق الخلق باسنادهما القوي عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر يعني الباقر (عليه السّلام) يقول: انّ اللّه (عزّوجلّ) لمّا أخرج ذرّية آدم (عليه السّلام) من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبيّة له، وبالنبوّة لكلّ نبيّ، فكان أوّل من أخذ عليهم الميثاق بنبوّته محمّد بن عبداللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ثمّ قال اللّه تعالى لآدم: انظر ماذا ترى، فنظر الى ذرّيّته وهم ذرّ قد ملؤوا السماء، قال: ياربّ ما أكثر ذرّيتي ولامر ما خلقتهم فما تريد منهم باخذك الميثاق عليهم؟ قال اللّه (عزّوجلّ): يعبدونني لايشركون بي شيئاً وهم يؤمنون برسلي ويتّبعونهم، قال: ياربّ فمالي أرى بعض الذرّ أعظم من بعض، وبعضهم له نور كثير، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور؟ فقال اللّه (عزّوجلّ): كذلك خلقتهم لابلوهم في كل حالاتهم. الحديث وفيه سؤال آدم من اللّه تعالى عن سرّ اختلافهم في الاعمار والارزاق وسائر حالاتهم وما قاله تعالى في ذلك من عمله بالمصالح.

وروى شيخنا الطوسي (رحمه اللّه) في أماليه ج٢ ص٩١ طبعة النجف عن أبي سعيد الخدري (رضى اللّه تعالى عنه) قال: حجّ عمر بن الخطّاب في امرته، فلمّا افتتح الطواف حاذى الحجر الأسود فاستلمه وقبّله

وقال: اقبّلك وانّي لأعلم أنّك حجر لاتضرّ ولاتنفع، ولكن كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بك حفيّا، ولولا أنّي رأيته يقبّلك ما قبّلتك، وكان في الحجيج علي (عليه السّلام) فقال: بلى واللّه انّه ليضرّ وينفع، قال عمر: فبم قلت ذلك يا أبا الحسن؟ قال: بكتاب اللّه تعالى، قال: أشهد أنّك لذو علم بكتاب اللّه فأين ذلك من الكتاب؟ قال قوله تعالى «واذ أخذ ربّك من بني آدم» الآية وأخبرك أنّ اللّه تعالى لمّا خلق آدم مسح ظهره فاستخرج ذرّيّته من صلبه في هيئة الذرّ، فألزمهم العقل وقرّرهم أنّه الرب وانّهم العبيد، فأقرّوا له بالربوبيّة، وشهدوا على أنفسهم بالعبوديّة، واللّه (عزّوجلّ) يعلم أنّهم في ذلك في منازل مختلفة، فكتب أسماء عبيده في رقّ، وكان لهذا الحجر يومئذ عينان وشفتان ولسان، فقال: افتح فاك ففتح فالقمه ذلك الرقّ، ثمّ قال له: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة. الحديث.

ونحوه في مستدرك الحاكم ج١ كتاب المناسك باسناده عن أبي سعيد الخدري، وتفسير العيّاشي عند الآية عن عبداللّه بن الحلبي[١] عن أبي جعفر وأبي عبداللّه (عليهما السّلام) إلاّ أنّه لم يصرّح فيهما باخراج الذرّيّة من ظهر آدم (عليه السّلام) بل ورد فيهما أنّ عليّاً (عليه السّلام) قال لعمر بن الخطّاب في ذاك الموقف بعد تلاوة الآية عليه: انّ الذرّيّة أقرّوا للّه تعالى بانّه الرب وانّهم العبيد، فاخذ عليهم الميثاق، وكتب في رقّ وألقمه الحجر.

وروى علي بن ابراهيم القمّي (رحمه اللّه) كما في التفسير المنسوب اليه وتفسير البرهان والصافي باسناد صحيح عن ابن مسكان عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) في قوله تعالى «واذ أخذ ربّك» الآية قلت: معاينة كان هذا؟ قال (عليه السّلام): نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف

---

(١) في تفسير البرهان عبداللّه الكلبي والاظهر عبيداللّه الحلبي كما في حجّ البحار.

وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه فقال تعالى «فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل»(١). وفي محاسن البرقي باب بدو الخلق من كتاب مصابيح الظلم باسناده الصحيح عن زرارة عنه (عليه السّلام) في هذه الآية قال: كان معاينة للّه (عزّوجلّ)(٢) فانساهم المعاينة وأثبت الاقرار في صدورهم، ولولا ذلك ما عرف أحد خالقه ولا رازقه وهو قول اللّه تعالى «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن اللّه». وفي كتاب العلل للصدوق (عليه الرحمة) باسناد موثق عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (عليه السّلام) عن قول اللّه (عزّوجلّ) الآية قال: ثبتت المعرفة ونسوا الوقت (الموقف خ ل) وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولامن رازقه. ونحوهما في تفسير العيّاشي عن زرارة عنهما (عليهما السّلام) وقد تقدّم بعض ما دلّ على ذلك أيضاً في أخبار بتقدّم خلق الأرواح عن العلل والكافي والمحاسن باسانيد عنهما (عليهما السّلام) بعضها صحيح وبعضها موثّق أو قوي.

هذا ويستفاد أيضاً من عدّة نصوص اخر أنّ أخذ الميثاق على الذرّ كان من الطينة الاوليّة قبل خلق آدم (عليه السّلام) ففي الكافي أبواب طينة المؤمن باسناده الصحيح عن زرارة انّ رجلاً سأل أبا جعفر (عليه السّلام)(٣) عن قول اللّه (عزّوجلّ): «واذ أخذ ربّك من بني آدم» الآية فقال: حدّثني أبي انّ اللّه (عزّوجلّ) قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم (عليه السّلام) فصبّ عليها الماء العذب الفرات، ثم تّركها أربعين صباحاً، ثمّ

(١) سورة يونس الآية ٧٤ وسورة الأعراف الآية ١٠١ بدون لفظة «به».

(٢) قال المجلسي (رحمه اللّه) في البحار في كتاب العدل والمعاد في بيان الحديث: المعاينة مجاز عن المواجهة بالخطاب أي خلق الكلام قبالة وجههم.

(٣) في العياشي عن زرارة ان رجلاً سأل أبا عبداللّه (عليه السّلام) الخ.

صبّ عليها الماء المالح الاجاج فتركها أربعين صباحاً، فلمّا اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً، فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها.

وفيه أيضاً باسناد صحيح عن الحلبي عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) أنّ اللّه (عزّوجلّ) لمّا أراد أن يخلق آدم (عليه السّلام) أرسل الماء على الطين، ثمّ قبض قبضة فعركها، ثمّ فرّقها فرقتين بيده، ثمّ ذرأهم فاذا هم يدبّون، ثمّ رفع لهم ناراً فأمر أهل الشمال أن يدخلوها فذهبوا اليها فهابوها فلم يدخلوها، ثمّ أمر أهل اليمين أن يدخلوها فدخلوها فأمر اللّه (عزّوجلّ) النار فكانت عليهم برداً وسلاماً، فلمّا رأى ذلك أهل الشمال قالوا: ربّنا أقلنا فأقالهم، ثمّ قال لهم: ادخلوها فذهبوا فقاموا ولم يدخلوها، فاعادهم طيناً وخلق منها آدم الحديث. وهو صريح فيما ذكرنا، ونحوه ما في خبر عبداللّه بن سنان عنه (عليه السّلام) المروي فيه بعد أبواب طينة المؤمن حيث أن فيه فقال تعالى لهم: كونوا طيناً باذني فخلق منه آدم (عليه السّلام).

ومقتضى الجمع بين هذه النصوص هو القول بتكرّر اخراج الذّر وأخذ الميثاق، كما حكى المجلسي (رحمه اللّه) في المرآة كتاب الحجّة باب نتف وجوامع مثل ذلك عن المحدّث الاسترابادي فيما فهمه من روايات الائمة (عليهم السّلام) ويؤيّده ما في تفسير علي بن ابراهيم باسناده عن علي بن معمّر عن أبيه سألت أبا عبداللّه (عليه السّلام) عن قول اللّه (عزّوجلّ) «هذا نذير من النذر الاولى» قال: ان اللّه تعالى لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الاوّل، فاقامهم صفوفاً قدّامه بعث اللّه محمّداً (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فامن به قوم وأنكره قوم، فقال اللّه تعالى «هذا نذير من النذر الاولى» يعني به محمّداً (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حيث دعاهم الى اللّه

(عزّوجلّ) في الذرّ الاول. ونحوه باختصار من أوّله في بصائر الدرجات الجزء الثاني باب أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عرف ما رأى في الأظلّة والميثاق.

وقد يحتمل أن يكون المراد بظهر آدم في الأخبار الاولى طينته الأوّليّة، وبخلقه تقديره في علم اللّه، أو تسويته قبل نفخ الروح فيه فيجمع بين النصوص المذكورة وغيرها بذلك ويحمل ما في بعضها من قول آدم وسؤاله على غير ظاهره كلسان الحال لكنه تأويل بعيد لاداعي اليه وأبعد منه تأويل جميع هذه النصوص ونحوها الواردة لاثبات عالم الذرّ بالاستعارة والتمثيل وان المراد استنطاق حقائق بني آدم بالسنة قابليتها واستعداد ذواتها حينما كانت نفوسهم في اصلاب عقلية ومعادن اصلية، ومكّنها اللّه تعالى من العلم بربوبيته واعطاها شهود هويّاتهم فصار ذلك بمنزلة الاشهاد والاقرار بالقول نظير قوله تعالى «فقال لها وللارض اتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين» فان هذا النحو من التأويل طرح لظواهر كلمات أهل البيت المعصومين (عليهم السّلام) ومناف لوجوب التعبد بها مع عدم لزوم محذور عقلي فيه. قال المجلسي (رحمه اللّه) في البحار باب الطينة والميثاق من الجزء الخامس بعد نقل كلام المفيد (عليه الرحمة) في ذلك: ان بتلك الدلائل الضعيفة لايمكن الاجتراء على طرح خبر واحد فكيف يمكن بامثالها طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة.

نعم لايمكن لاحد منّا ادعاء العلم بكيفية اخراج الذرات وحقيقة وجودها وصورها وألسنة نطقها على نحو ما للانسان في هذه النشأة الدنيوية وغير ذلك من صفات الاجسام، لكن لايقتضي ذلك جواز انكار أصلها أو تأويل النصوص بغير ظاهرها سيما وان في بعضها ما لا يقبل

التأويل المذكور أصلاً، مثل ما رواه في الكافي وغيره ان الامام الصادق (عليه السّلام) سئل كيف أجابوا وهم ذرّ فقال: جعل فيهم ما اذا سألهم أجابوه. وفي تفسير العياشي أنه (عليه السّلام) سئل أنهم قالوا بالسنتهم قال نعم وبقلوبهم فقيل له وأيّ شيء كانوا يومئذ قال (عليه السّلام): صنع منهم ما اكتفى به. ومن أراد التوسع في ذلك والاطلاع على كثرة هذه الأخبار وتواترها ومبلغ مفادها فليراجع الكافي والوافي باب العرش والكرسي من كتاب التوحيد، وباب نكت من التنزيل في الولاية[1] وباب أخذ الميثاق بولايتهم من كتاب الحجّة وأبواب طينة المؤمن والكافر وما بعدها من كتاب الايمان والكفر، وما ورد في بدو حجر الأسود وعلّة استلامه من كتاب الحجّ وما ورد في عزل الرجل عن زوجته عند الجماع. وفي بدو خلق الانسان من كتاب النكاح، وراجع البحار الجزء الثالث من طبعته الجديدة باب الدين الحنيف والتعريف في الميثاق، والجزء الخامس باب الطينة والميثاق، والجزء السادس والعشرين باب تفضيل الائمّة (عليهم السّلام) على الأنبياء وأخذ ميثاقهم، والجزء السابع والستّين باب طينة المؤمن، وغير ذلك من الأبواب المطابقة أو المناسبة لما ذكر من الكافي.

وراجع أيضاً تفسير البرهان في الآية المباركة ، ومن كتب العامّة تفسير الطبري والخازن والدر المنثور، فقد حكى فيها عن ابن عبّاس وابن مسعود وناس من الصحابة وغيرهم تفسير الآية بذلك لما رووه عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من التصريح بهذا التفسير ، فعن ابن

---

(١) أورد في الكافي في هذا الباب روايات فسّر فيها بعض الآيات بالميثاق، وقد أورد في الوافي هذه الروايات في باب مانزل فيهم وفي أوليائهم، كما أورد في الكافي بعد هذا الباب ما وردفي أخذ الميثاق بولايتهم، وفي الوافي عقد لذلك باباً على حدة.

عبّاس (رضي اللّه عنه)[١] عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: أخذ اللّه الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة، فأخرج من صلبه كلّ ذرّية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرّ، ثم كلّمهم قبلا[٢] قال «ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا» الى قوله تعالى «بما فعل المبطلون».

هذا وأمّا ظاهر الآية المباركة فقد يقال بانّه أجنبيّ عن ذلك، لأنّ مفادها أخذ ذرّية بني آدم من ظهور بني آدم لا أخذ ذرّية آدم من صلبه، وأنّ معنى الذرّية هو الاولاد، كما قال تعالى في آخر هذه الآية «وكنّا ذرّية من بعدهم» وقال في آية اخرى «كما أنشأكم من ذرّية قوم آخرين» وما كان في صلب آدم (عليه السّلام) أول خلقه أو في طينته الاوليّة لم يكن أولاداً له ولذلك اختار جماعة[٣] أنّ معنى الآية اخراج أولاد بني آدم من أصلاب آبائهم وخلقهم من نطفهم في هذه الدنيا جيلاً بعد جيل والتعبير بلفظة «اذ أخذ» الظاهرة في الزمان الماضي لأجل أنّ كثيراً منهم قد مضى زمانهم حين نزول الآية، فيقاس عليهم من يأتي بعدهم، واشهادهم على أنفسهم اشارة الى ما جعل فيهم من قوّة العقل وقدرة الادراك، وجبلوا عليه في الفطرة من معرفة خالقهم ورازقهم، ونصب لهم من الدلائل وآثار الصنعة على أنّ لهم

---

(١) رواه عنه ابن حنبل في مسنده والطبري في تفسيره بالاسناد ورواه في الدر المنثور وكنز العمال كتاب خلق العالم عن النسائي والحاكم والبيهقي عنه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

(٢) أي معاينة كما مرّ في بعض رواياتنا ومرّ معناه، وفي نسخة الطبري «فتلا».

(٣) كشيخنا المفيد (رحمه اللّه) في أجوبة المسائل السرويّة والسيّد المرتضى (رضي اللّه عنه) فيما حكاه عنه في البحار باب الطينة والميثاق، والزمخشري في الكشاف، وابن شهرآشوب في كتابه متشابه القرآن، ونسب في تفسير الرازي والخازن هذا المعنى الى أصحاب النظر.

محدثاً بحيث قد اضطرّوا جميعاً الى الاعتراف له تعالى بالربوبيّة كما قال تعالى «قل من ربّ السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون للّه» وقال تعالى «ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولنّ اللّه فأنى يؤفكون» وغير ذلك من الآيات الكثيرة. ولاريب أنّ ذلك من قسم الاشهاد على النفس والاقرار عليها، وان لم تكن في الخارج صورة سؤال وجواب، فالآية بما أنّها واردة في سورة الاعراف تلو آيات في شأن بني اسرائيل وما ذكّرهم اللّه تعالى به من الحجج والمواثيق، ناظرة الى اتمام الحجة عليهم بانّهم المسئولون عن كفرهم وعصيانهم في القيامة دون اسلافهم لما ثبت عليهم من الاقرار بعبادة اللّه (عزّوجلّ) المستلزمة لطاعته والايمان بالنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ولكن التحقيق أن يقال: إنّ حمل الاشهاد والقول في الآية على المعنى المذكور مجازاً أو استعارة وتخييلاً بعيد عن ظاهر الكلام هنا، وقياسه على قول بعض العرب أنه قال الجدار للوتد لم تشقّني فقال الوتد: أسأل من يدقّني، غير وجيه لأنّ هذا كالشعر المنزّه عنه كلام اللّه سبحانه، والتنظير له بقوله تعالى «فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين» فاسد لانّ الظاهر من الآيات والنصوص أنّ لكلّ موجود من الحيوان والجماد ادراكاً وشعوراً ونطقاً خاصّاً به زائداً على ما فيه من الدلالة ذاتاً على حدوثه ومقهوريّته، ولذا قال اللّه سبحانه «ولكن لاتفقهون تسبيحهم» وقال (عزّوجلّ) «طوعاً أو كرهاً» فان مقهوريّتها الذاتيّة بطبعها لاتكون إلاّ طوعاً مجازاً، وأمّا صدر الآية فيجوز كما في بعض التفاسير حمله على أنّ اللّه تعالى أخرج أوّلاً ذريّة آدم من ظهره، ثمّ أخرج من ذرّيته ذرّيتهم، وليس معنى الذّرية خاصّاً بما بعد الولادة في الدنيا، لكن لم يذكر في الآية اخراج ذرّية آدم، ولم يتعرض في النصوص للترتيب المذكور، كغالب القصص

القرآنيّة حيث لاتعرّض فيها لأكثر الخصوصيات(١) ولعلّه لعدم مدخليّة ذكره هنا في غرض الاحتجاج، فبهذا يحصل التوفيق بين الآية والنصوص، ومن المعلوم أنّه يجوز رفع اليد في الجملة عن ظاهر الآيات اذا ورد تفسيرها عن المعصوم (عليه السّلام) بنصّ صحيح كقوله تعالى «الرحمن على العرش استوى».

ثمّ انّه بعد التنزّل عن ذلك ودعوى فساد حمل الآية على ما ذكر نقول: إن كثيراً من نصوص المقام لاتعرّض فيها للآية، ولاتنافي بينهما، فيستفاد من الآية معناها الظاهر المذكور ومن هذه النصوص عالم الذرّ على النحو الذي تقدّم. وأمّا النصوص التي ذكر فيها تفسير الآية بذلك كبعض ما مرّ، فالمراد تأويلها وبيان المعنى الباطن، فقد ثبت في أحاديث أهل البيت (عليهم السّلام) انّ للقرآن الكريم ظاهراً وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً وانّه لايعلم تأويله غير اللّه تعالى إلاّ النبيّ والراسخون في العلم من عترته (عليهم صلوات اللّه) فيمكن أن يكون المراد أنّ ما ذكره اللّه تعالى في هذه الآية من اعتراف الناس بفطرتهم وطبعهم في هذه الدنيا بالربوبيّة للّه سبحانه له سرّ معنويّ تقصر عنه عقولهم، وهو ما سبق لهم في الذرّ قبل خلقهم كما مرّ في النصوص أنّه لولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، ومثل هذا التأويل لآيات القرآن كثير في أخبار أهل البيت (عليهم السّلام) وربّما يطعن عليها الغافل لزعمه أنّ المراد بها بيان المعنى الظاهر للآية مع كون ظاهرها امرا آخر كتفسير قوله تعالى عمّ يتسائلون بولاية علي (عليه السّلام).

وأمّا الاشكالات العقليّة على عالم الذرّ، فاجمال ما فيها من وجوه

---

(١) ونظير المقام قوله تعالى في سورة البقرة «واذ واعدنا موسى اربعين ليلة» مع أنّه في سورة الاعراف «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر».

الدفع أوّلاً: أنّها ليست برهاناً على امتناع تلك النشأة، وانّما هي شبهة في مقابل الدليل لايتيسّر حلّها حيث لايعلم رمز بطلانها من أجل أن العقول مأنوسة بالعالم المادي وقاصرة عن حقيقة ما سواه من العوالم الغيبيّة، كأحوال الجنّة والنار والبرزخ، فربّما يكون الميّت بين أيدينا أو في قبره معذّباً بأنواع النقمات أو مرزوقاً بالنعم، كما هو المستفاد من الآيات والأخبار، ولاتدرك حواسّنا الظاهرة شيئاً منها.

وثانياً: نقول في دفع الاشكالات الثلاث المذكورة أوّل البحث إنّ الحجّة تتمّ على الناس في هذا العالم بمعرفتهم طبعاً لخالقهم اجمالاً، وهي بسبب ما حدث لهم في تلك النشأة، كما صرّح به الامام الباقر والصادق (عليهما السّلام) في أحاديث زرارة وابن مسكان المتقدّمة وانّ الذريّة المأخوذة من ظهر آدم أو من طينته الاصليّة كما تقدم كلاهما في النصوص ليست من الموادّ والاجرام الارضيّة التي تتحوّل الى النطفة، بل هي اجزاء لطيفة عالية تمتزج بنحو خاصّ في الموادّ الارضيّة ليتكوّن منهما الانسان بأمر خالقه، فانّ في هذا العالم أسراراً غيبيّة لايعلمها غير اللّه سبحانه، فقد ثبت بالاكتشاف الجديد والآلات الدقيقة أنّ في قطرة دم أو نطفة من الانسان ذرّات كثيرة من الجراثيم، ومع ذلك يمكن أن يكون فيها أشياء لم تصل اليها يد الاكتشاف، أو لن تصل اليها أبداً، فاذا كان هذا شأن الذرّات الارضيّة القابلة للادراك بالحواسّ الظاهرة، فكيف لايجوز وجود ذرّات عالية ألطف من ذلك في ظهر آدم أوفي طينته تكون أصلاً أو دخيلاً في انسانيّة الانسان، وأمّا سائر الاشكالات الاخر فيظهر دفعها بنحو ذلك، كما أشار اليه الفخر الرازي في تفسيره عند بحثه الطويل للآية.

هذا محصّل ما عندي من التحقيق في عالم الذرّ، واجماله أنّه ثابت بالنصوص الكثيرة المعتبرة، ولادليل عقلاً على استحالته، ولاينافيه ظاهر

الآية الكريمة، وقد عبّر عنه في بعض الأخبار بالاظلّة كما مر، أو بالظلال كما يأتي في خبر الكافي، وعبّر عنه أيضاً في بعضها بالاشباح، وقد يقال كما حكاه الطبري في جامعه إنه عالم الأرواح، ولعلّه يظهر من الخبر المتقدّم في أوّل الباب عن علل الصدوق (عليه الرحمة) لكنّ المستفاد من النصوص المتقدّمة في الأرواح خلافه، حيث صرّح فيها بتقدّم خلقها على الابدان أو على الاجساد بألفي عام، وفي بعضها قبل أن يخلق آدم (عليه السّلام) وعلى كلّ فهذا أمر آخر لسنا بصدد تحقيقه، بل قد يشكل ذلك لغموض الأخبار فيه، واللّه العالم.

اذا تبيّن ذلك كلّه فاعلم أنّه قد ورد في أخبار كثيرة متضافرة أنّ لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعلي وفاطمة وكذا الائمّة الطاهرين من أولادها (عليهم السّلام) في تلك العوالم الروحانيّة مقامات عالية وكرامات سامية وبركات عظيمة، وقرباً معنوياً من اللّه تعالى، مثل أن خلق أرواحهم من نورعظمة اللّه وكان ذلك قبل خلق سائر الاشياء من الارض والسماءِ والماءِ والهواءِ والعرش والملائكة وغير ذلك من المخلوقات، وانّ اللّه تعالى لمّا خلق هذه الاشياءِ أشهدهم خلقها وعرضها عليهم وأجرى عليها طاعتهم، وانّهم كانوا أشباح نور حول العرش في أظلّة خضراء بين يدي اللّه سبحانه يعبدونه ويسبّحونه ويهلّلونه، وبتسبيحهم وتهليلهم سبّحت الملائكة وهللت، وانّه حينما أخذ اللّه تعالى على خلقه الميثاق لنفسه بالربوبيّة كانوا أوّل من أقرّ بها بعد رسوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فحمّلهم العلم والدين، ثم أخذ على سائر خلقه الميثاق لهم بالطاعة والولاية، وانّ آدم (عليه السّلام) لمّا خلقه اللّه وأسجد له الملائكة نظر الى ساق العرش فرأى مكتوباً عليه أسماء محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ونعوتهم (عليهم السّلام) فسأل عنهم، فقال اللّه (عزّوجلّ): من

ذرّيتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولاخلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض[١] وانّ اللّه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم لأنّ أنوارهم في صلبه، وغير ذلك من أنحاءِ القدس والعظمة والجلال بفضل اللّه الكبير المتعال.

هم النور نور اللّه جلّ جلاله هم التين والزيتون والشفع والوتر
وأسمائهم مكتوبة فوق عرشه ومكنونة من قبل أن يخلق الذرّ
ولولاهم لم يخلق اللّه آدما ولا كان زيد في الانام ولا عمرو
ولا سطحت أرض ولا رفعت سما ولا طلعت شمس ولاأشرق البدر
سرى سرّهم في الكائنات وفضلهم وكلّ نبيّ فيه من سرّهم سرّ[٢]

وقال الصدوق (رحمه اللّه) في رسالة الاعتقادات: يجب أن يعتقد أنّ اللّه تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد وأهل بيته (عليهم الصلاة والسّلام) وانّهم أحبّ الخلق الى اللّه وأكرمهم وأوّلهم اقراراً به لمّا أخذ اللّه ميثاق النبيين، وأنّ اللّه تعالى بعث نبيّه محمّداً (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) للأنبياء في الذرّ، وأنّ اللّه (عزّوجلّ) أعطى ما أعطى كلّ نبيّ على قدر معرفته ومعرفة نبيّنا وسبقه الى الاقرار به، ونعتقد أنّ اللّه تعالى خلق جميع الخلق له ولأهل بيته (عليهم السّلام) وأنّه لولاهم لما خلق اللّه سبحانه السماء والارض ولا الجنّة والنار ولا آدم وحواء ولا الملائكة ولاشيئاً ممّا خلق.

---

(١) رواه في البحار باب ارتكاب ترك الاولى من قصص آدم عن الامام الرضا (عليه السّلام) ونحوه أخبار اخر، وفي خبر: أنّ آدم (عليه السّلام) رأى أنوار أشباحهم من ذروة العرش أي أعلاه فسأل عنها، فقال اللّه (عزّوجلّ): أفضل خلائقي. وقال أيضاً: نقلتهم من أشرف بقاع عرشي الى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك.

(٢) من قصيدة طويلة راقية في أهل البيت (عليهم السّلام) للشيخ ابن العرندس الحلي أحد أعلام الشيعة في القرن التاسع، أوردها شيخنا الاميني (رحمه اللّه) في سابع الغدير.

أقول: وقد كان بنائي أوّلاً على ترك النقل للنصوص في ذلك هنا، لغموض مغزاها وصعوبة تحمّلها على الناس القاصرين، ثمّ بدا لي التعرض لنزر منها، فانّها أكثر من أن تحيط بها هذه الرسالة بل من الجدير أن توضع لها رسالة علي حدة جامعة للتحقيق في أسانيدها ومتونها، والتفصيل لشرحها بقدر ما تدركه الافهام العادية، وانّي قد أردت حينا أن أتصدّى لذلك، لكن لم يحصل التوفيق لاكماله، فمن حبس نفسه على نشر الحقائق وأراد ذلك ابتغاءِ مرضاة اللّه فليراجع بحار الأنوار وسائر المصادر المذكورة هنا في الأبواب المشار اليها في المتن أو التعليقة للأخبار المتقدّمة والتالية، ويراجع غاية المرام للعالم المتبحّر السيّد هاشم البحراني (رحمه اللّه تعالى) في بابيه الأوّلين، فأقول وباللّه التوفيق:

الحديث الاوّل: روى الصدوق (عليه الرحمة) في كتابه العلل[1] باسناده عن معاذ بن جبل أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: انّ اللّه (عزّوجلّ) خلقني وعلياً وفاطمة و الحسن والحسين (عليهم السّلام) قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام قلت: فأين كنتم يارسول اللّه؟ قال: قدّام العرش نسبّح اللّه ونحمده ونقدّسه ونمجّده، قلت: على أيّ مثال؟ قال: أشباح نور حتّى اذا أراد اللّه تعالى أن يخلق صورنا صيّرنا عمود نور، ثمّ قذفنا في صلب آدم، ثمّ أخرجنا الى أصلاب الآباءِ وأرحام الامّهات، ولايصيبنا نجس الشرك ولاسفاح الكفر. الخبر.

---

(١) في الباب ١٥٦ من أوله وعنه في البحار باب بدو خلق النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من الجزء ١٥ وباب ولادة أمير المؤمنين (عليه السّلام) من الجزء ٣٥ ورواه الطبري الامامي في دلائل الامامة باب ولادة الامام الحسن (عليه السّلام) باسناده.

الثاني: روى علي بن محمّد الخزّاز القمّي[١] في كتابه كفاية الأثر باب ما جاء عن أنس بن مالك باسناده عنه عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في حديث، قال: خلقني اللّه تعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثمّ نقلنا الى صلب آدم، ثمّ نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات، فقلت: يارسول فأين كنتم وعلى أيّ مثال كنتم؟ قال: كنّا أشباحاً من نور تحت العرش نسبّح اللّه ونمجّده. الخبر وفيه النص على امامة اثنى عشر من اهل البيت باسمائهم.

أقول: النصوص في أنّ اللّه تعالى جعل أنوار خلق النبي والائمة (عليهم صلوات اللّه)في صلب آدم عند خلقه، ثمّ نقلها الى الاصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة كثيرة في ضمن نصوص المقام من أبواب بدو خلقهم، وفي باب تفضيلهم على الملائكة، وباب خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له، كما ورد من طرق الخاصّة والعامّة[٢] تأويل قوله تعالى في آخر سورة الشعراء «وتقلّبك في الساجدين» بتنقّله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في أصلاب الأنبياء من نبي الى نبي حتّى أخرجه اللّه تعالى من صلب أبيه، ومعلوم أنّ هذه الأنوار غير الموادّ العالية النوريّة الحادثة في أصلاب آبائهم (عليهم السّلام) عند خلقهم في الدنيا حيث مر في أحاديث

---

(١) من علماء الاماميّة الثقاة في أواخر القرن الرابع، وعدّه شيخنا الطهراني في طبقاته من أعلام القرن الخامس يروي عن الصدوق وأضرابه، ويأتي ذكر كتابه الكفاية في بحث آية التطهير، وربما نسب هذا الكتاب الى الصدوق، وعن بعض نسبته الى المفيد، وكلاهما خلاف الظاهر، وقد روى هذا الخبر في البحار الجزء ٣٦ باب نصوص الرسول على الائمة (عليهم السّلام) عن كتاب ارشاد القلوب للديلمي عن الشيخ المفيد رفعه الى أنس، ولعله من النسبة المذكورة لكتاب الكفاية الى المفيد.

(٢) راجع تفسير مجمع البيان والبرهان والدرّ المنثور للسيوطي.

خلق الزهراء (سلام اللّه عليها) أنّه كان من ثمار الجنّة تناولها النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ليلة المعراج، وانّ خلق سائر الأئمّة (عليهم السّلام) من قطرة ماءٍ تحت العرش تنزل على مايأكله والده، وبالجملة فهذا من الغيوب التي تقصر العقول عن لمس ما دونه كما قال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لجابر إنّ أمرهم يجلّ عن أن يوصف، وأحوالهم تدق عن أن تعلم، لأنّهم نجوم اللّه في أرضه، الخبر وقد مر تمامه في تذييل الباب الاول.

الثالث: روى الصدوق في معاني الأخبار[1] باسناده عن المفضّل بن عمر قال أبو عبداللّه الصادق (عليه السّلام): إنّ اللّه تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمّة من بعدهم (صلوات اللّه عليهم) فعرضها على السماوات والأرض والجبال، فغشيها نورهم، فقال اللّه تعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبّائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمّة بريّتي ما خلقت خلقاً هو أحبّ اليّ منهم، ولمن تولاّهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري الى آخر الحديث، وهو طويل ذكر فيه أنّ آدم رأى منزلتهم في الجنّة فوجدها أشرف منازلها، ورأى أسمائهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبّار جلّ جلاله فسأل اللّه (عزّوجلّ) عنهم، فقال اللّه تعالى: لولاهم ما خلقتكما هولاء خزنة علمي وامنائي على سرّي، ولمّا عصى آدم واخرج من الجنّة قالا: اللهمّ إنّا نسئلك بحقّ الأكرمين عليك محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمّة (عليهم السّلام) الاّ تبت علينا ورحمتنا، فتاب اللّه عليهما إنّه هو التوّاب الرحيم.

---

(١) باب معنى الامانة وعنه في البحار الجزء ١١ باب ترك الاولى، والجزء ٢٦ باب ان دعاء الانبياء استجيب بالتوسل بهم، وصدره عنه في الجزء ٦١ باب خلق الارواح قبل الاجساد الى قوله فغشيها نورهم.

الرابع: روى أيضاً في العلل وعيون الأخبار وكمال الدين[١] باسناده عن الامام الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السّلام) قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ما خلق اللّه (عزّوجلّ) خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، فقلت: يا رسول اللّه فانت أفضل أو جبرئيل؟ فقال: إنّ اللّه تبارك وتعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللائمّة من بعدك، ولولا نحن ما خلق اللّه آدم ولاحوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم الى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لانّ أوّل ما خلق اللّه (عزّوجلّ) خلق أرواحنا فانطقنا بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة الى أن قال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ثمّ ان اللّه تعالى خلق آدم (عليه السّلام) فاودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم للّه (عزّوجلّ) عبوديّة ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه الحديث وهو طويل.

الخامس: وروى في كتابه فضائل الشيعة[٢] عن أبي سعيد الخدري (رضي اللّه عنه) قال: كنّا جلوساً مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اذ أقبل رجل، فقال: يا رسول اللّه أخبرني عن قوله (عزّوجلّ) «استكبرت أم كنت من العالين» فمن هو الذي أعلى من الملائكة؟ فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنّا في

---

(١) كما في البحار الجزء ٢٦ باب فضل النبي وأهل بيته (عليهم السّلام) على الملائكة وفي الجزء ٥٧ باب حدوث العالم عن العيون قوله انّ أوّل ما خلق اللّه الخبر.

(٢) ورواه عنه في البحار الجزء ١١ باب سجود الملائكة لآدم والجزء ١٥ باب بدو خلق النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) والجزء ٢٥ باب بدو خلقهم، والجزء ٣٩ باب حبّ علي (عليه السّلام) وانّه ايمان، وقد ذكر فيها اجمالاً انّه رواه باسناده عن أبي سعيد.

سرادق العرش نسبّح اللّه وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق اللّه (عزّوجلّ) آدم بألفي عام، فلمّا خلق اللّه (عزّوجلّ) آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلّهم إلاّ ابليس فانّه أبى ولم يسجد، فقال اللّه تبارك وتعالى «استكبرت أم كنت من العالين» عني من هولاء الخمسة المكتوبة أسمائهم في سرادق العرش، فنحن باب اللّه الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدي، فمن أحبّنا أحبّه اللّه وأسكنه جنّته ومن أبغضنا أبغضه اللّه وأسكنه ناره، ولايحبّنا إلاّ من طاب مولده.

وهذه الخبر رواه السيّد شرف الدين الحسيني الاسترابادي من علماء القرن العاشر في كتاب تأويل الآيات[١] عن أبي جعفر محمّد بن بابويه وهو الصدوق (رحمه اللّه) ورواه أيضاً في البحار الجزء ٢٦ باب فضل النبي وأهل بيته (عليهم السّلام) على الملائكة عن كتاب كنز جامع الفوائد وهو مختصر من تأويل الآيات المذكور، كما صرّح به في أوّل البحار، إلاّ أنّه ذكر فيهما: فلمّا خلق اللّه (عزّوجلّ) آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يؤمروا بالسجود إلاّ لأجلنا، فسجدت الملائكة الخ. ولاينافي هذا الخبر ما مرّ في خبري معاذ وأنس من أنّ خلقهم كان قبل خلق الدنيا وآدم بسبعة آلاف عام، وفي خبر قبيصة الجعفي عن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: كنّا أشباح نور حول العرش نسبّح اللّه قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر ألف

---

(١) عند الآية المذكورة في سورة صاد، وهذا الكتاب مطبوع جديداً بالتحقيق، وقد ذكر فيه اسناد الصدوق بالتفصيل الى أبي سعيد الخدري، ومرّ آنفاً أنّه في البحار ذكر اسناده اجمالاً، فيظهر منهما أنّه سقط من نسخة الفضائل الموجودة، كما أنّه في البحار أسقطه عن كنز الجامع، لكن ذكره المصحّح في تعليقته، وهو كما في تأويل الآيات.

عام، وفي غيره أكثر من ذلك أو أقلّ[١]، فانّ هذا من أحوال العوالم الغيبيّة العلويّة التي لامدخل فيها للزمان والاعوام بالعدّ والحساب، والمراد طول الدهر، فيمكن فيها اختلاف التعابير، واللّه العالم.

السادس: روى الشيخ أبو عبداللّه بن عيّاش[٢] في كتابه مقتضب الأثر في النصّ على الائمّة الاثني عشر باسناده عن سلمان (رضي اللّه عنه) عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال في حديث: يا سلمان خلقني اللّه من صفوة نوره ودعاني فاطعته، وخلق من نوري نور علي فدعاه الى طاعته فاطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فاطاعته، وخلق منّي ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فاطاعاه الى أن قال: ثمّ خلق منا ومن نور الحسين تسعة أئمّة فدعاهم فاطاعوه قبل أن يخلق اللّه (عزّوجلّ) سماءاً مبنيّة أو أرضاً مدحية أو هواءاً وماءاً وملكاً وبشراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونسمع له ونطيع الخبر.

ورواه الطبري الامامي (رحمه اللّه) في دلائل الامامة باب معرفة القائم (عليه السّلام) والحسين بن حمدان الخصيبي[٣] في كتابه الهداية

(١) كما في البحار الجزء ١٥ باب بدء خلق النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) والجزء ٥٧ باب حدوث العالم وأوّل غاية المرام.

(٢) هو أحمد بن محمّد بن عبيداللّه بن عيّاش الجوهري من محدّثي الاماميّة توفّي سنة احدى وأربعمائة، كما في رجال النجاشي، وكتابه المقتضب رسالة وجيزة طبع في قم والنجف وقد روى هذا الخبر عنه في البحار في الجزء ٢٥ باب بدو خلقهم، والجزء ٥٧ أواخر الباب المذكور آنفا، والجزء ٥٣ آخر باب الرجعة.

(٣) بالخاء المعجمة والصاد المهملة والباء الموحّدة في آخره على الاصح منسوب الى جده الخصيب من قدماء المحدّثين، ذكره الشيخ والنجاشي ورماه الثاني بفساد المذهب، ولعلّ المراد به الغلو لروايته أمثال هذا الخبر، وسيأتي الكلام في ذلك انشاء اللّه تعالى، وكتابه الهداية طبع في بيروت جديداً، وقد روى عنه هذا الخبر في البحار فيما ←

الكبرى بالاسناد عن سلمان (رضي اللّه عنه) وقوله (عليه السّلام) كنّا بعلمه أي بسبب علمه تعالى بمصالح الخلق وحاجتهم الى وساطة الحجّة والرحمة والفضل جعلنا أنواراً مسبّحين. نظير ما في قوله تعالى في سورة النساء «لكن اللّه يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه» أو كقوله تعالى «تجري بأعيننا» «واصنع الفلك باعيننا» واللّه العالم.

السابع: روى السيّد المذكور آنفاً في كتابه تأويل الآيات عن صاحب كتاب الواحدة باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): انّ اللّه تعالى أحد واحد تفرّد في وحدانيّته، ثّم تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النور محمداً (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وخلقني وذرّيتي، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً فاسكنه اللّه في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن روح اللّه وكلماته، وبنا احتجب عن خلقه، فما زلنا في ظلة خضراء حيث لاشمس ولاقمر ولاليل ولانهار ولاعين تطرف نعبده ونقدّسه ونسبّحه قبل أن يخلق خلقه وأخذ ميثاق الأنبياء بالايمان والنصرة لنا، وذلك قوله (عزّوجلّ): «واذ أخذ اللّه ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جائكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به «يعني بمحمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ولتنصرنّ وصيّه الخبر.

ورواه في البحار الجزء ١٥ الباب المذكور، والجزء ٢٦ باب تفضيلهم (عليهم السّلام) على الأنبياء عن كتاب كنز جامع الفوائد، وقد مرّ أنّه مختصر من تأويل الآيات، وذكر في البحار في الموضع الثاني أنّ قوله (عليه

← ذكرنا من الجزء ١٥ نقلاً من كتاب (خص) أي منتخب البصائر للشيخ حسن بن سليمان الحلي عنه.

السّلام) بنا احتجب أي جعلنا حجّاباً بينه وبين خلقه، أو احتجب معنا عن خلقه فجعلنا محجوبين عنهم.

قلت: ولكن رواه الحسن بن سليمان الحلي في كتابه الموسوم في طبعه بمختصر بصائر الدرجات عن كتاب الواحدة بالسند المذكور في تأويل الآيات والموجود فيه مكان ما ذكر فبنا احتجّ على خلقه[1] وهذا أظهر. ولايخفى أنّ ماذكر في الخبر من معنى الآية فانّما هو من قبيل التأويل والمعنى الباطن نحو ما ذكرنا هنا في آية الذرّ، فقد مرّ أنّ ذلك ثابت في أخبار أهل البيت (عليهم السّلام) والنصوص الواردة عنهم في تأويل الآية المذكورة بما ذكر أو نحوه مستفيضة، فراجع تفسير البرهان والبحار باب تفضيل الائمّة على الأنبياء (عليهم السّلام) وعلى غيرهم من الجزء ٢٦ فلاينافي ذلك تفسيرها في كتب الخاصّة والعامّة وأخبار أهل البيت (عليهم السّلام) بمعناه الظاهر على اختلاف بينهم في ذلك أيضاً كما في مجمع البيان واللّه العالم.

الثامن: روى الصدوق (رحمه اللّه) في كمال الدين[2] باسناده عن الامام الصادق (عليه السّلام) أن اللّه تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق باربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا، فقيل له: يا ابن رسول اللّه

---

(١) وكذا في البحار الجزء ٥٢ باب الرجعة عن (خص) يعني منتخب البصائر لهذا الشيخ، وكانه غير المختصر الذي ذكرنا، وقد رواه أيضاً عنه عن كتاب الواحدة بالسند المشار اليه إلاّ أنّه سقط عن نسخة البحار أبو حمزة الثمالي، وأما كتاب الواحدة ففي فهرست الشيخ أنه لمحمّد بن حسن بن جمهور العمّى بالعين المهملة وتشديد الميم، وفي رجال النجاشي انه لابنه الحسن وهو ثقة، وهذا أقرب.

(٢) باب ماروى عن الصادق (عليه السّلام) من النص على القائم، وعنه في البحار فيما ذكر من الجزء ١٥ و٢٥ وفي الثاني روى خبر المحتضر المذكور في المتن.

ومن الاربعة عشر؟ فقال: محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمّة من ولد الحسين آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته.

ورواه في البحار أيضاً عن الحسن بن سليمان الحلي عن كتابه المحتضر بالحاء المهملة والضاد المعجمة وهو غير المختصر المتقدّم ذكره آنفاً، رواه عن كتاب منهج التحقيق باسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) وفيه خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا الخ.. وقد تقدّم أنه لاتنافي بين التحديد باربعة عشر في هذا الخبر وبين ما في غيره من الأقل أو الأكثر، وذكر في البحار في باب بدو خلقهم وجوهاً اخر لعدم التنافي، فراجع.

التاسع: روى أيضاً في كمال الدين[1] باسنادين عن الامام الصادق (عليه السّلام) انّ اللّه تبارك وتعالى علّم آدم (عليه السّلام) أسماء حجج اللّه كلّها، ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة، فقال: أنبئوني باسماء هولاء ان كنتم صادقين بانكم أحقّ بالخلافة في الارض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم قالوا سبحانك لاعلم لنا إلاّ ما علّمتنا انّك أنت العليم الحكيم، قال اللّه تبارك وتعالى: يا آدم أنبئهم باسمائهم فلمّا أنبأهم باسمائهم وقفوا على عظيم منزلتهم عند اللّه تعالى، فعلموا أنّهم أحق بان يكونوا خلفاء اللّه في أرضه وحججه على بريّته، ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم وقال لهم: ألم أقل لكم انّي أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.

---

(١) في مقدمته وعنه في البحار الجزء ١١ باب سجود الملائكة والجزء ٢٦ باب تفضيل الائمة على الأنبياء (عليهم السّلام).

وورد في التفسير المنسوب الى امامنا العسكري (عليه السّلام[١]) انّ اللّه تعالى قال: «وعلّم آدم الاسماء كلّها» أسماء أنبياء اللّه وأسماء محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) والطيبين من آلهما وخيار شيعتهم وعتاة أعدائهم «ثم عرضهم» عرض محمّداً وعلياً والائمة «على الملائكة» أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الاظلة الى آخره بنحو ما مر من حيث المعنى. ولاينافيهما ما ورد أيضاً في هذا التفيسر وغيره كما في البحار الجزء ١١ باب سجود الملائكة، من أنّ اللّه تعالى علّم آدم أسماء كلّ شيء من الأرضين والجبال والنبات وغيرها، فانّه يجوز أن يعلمه[٢] أسماء جميع الموجودات التي يحتاج آدم الى معرفتها في التعيّش والتكلّم وتحصيل الفضل والكمال، ثمّ يعرض اللّه سبحانه على الملائكة لإمتحانهم والردّ عليهم خصوص بعض الأعيان التي لها أهميّة كبرى في معرفة أسمائها وأحوالها من أنوار حجج اللّه تعالى وأئمة الخلق، ولادليل على وجوب رجوع ضمير الجمع المذكّر الى جميع الأسماء كما قيل، أو الى جميع أعيانها كما في تفاسير العامّة، فانّ في القرآن الكريم رموزاً وإشارات لايعرفها إلاّ من أنزله اللّه تعالى في بيوتهم وخوطبوا به كما قاله الإمام الباقر (عليه السّلام) في حديث[٣] لقتادة بن دعامة البصري المعروف عند العامة

---

(١) هذا الكتاب طبع مراراً وليس من تأليف الامام (عليه السّلام) قطعاً وانّما ورد فيه أخبار كثيرة عنه في تفسير القرآن واختلف أصحابنا في اعتباره والمتيقّن أنّه صالح للتأييد، وهذا الخبر رواه عنه أيضاً في البحار الجزء ١١ باب فضل آدم.

(٢) قيل: ان المراد بتعليمه خلقه عالما بها لاتعليمه بعد خلقه واللّه العالم.

(٣) رواه في روضة الكافي وعنه في البحار في أحوال الإمام الباقر (عليه السّلام) باب مناظراته مع المخالفين من الجزء ٤٦ والنصوص بمضمون ذلك كثيرة، فراجع الوسائل كتاب القضاء الباب ١٣.

بالفقه وتفسير القرآن ويأتي هنا في الحديث الرابع عشر كلام آخر معه.

العاشر: روى الشيخ الكليني (رحمه اللّه) في الكافي[١] بإسناده عن الإمام الصادق(عليه السّلام) قال اللّه تعالى يامحمّد إنّي خلقتك وعلياً نوراً يعني روحاً بلابدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتهما ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمد واحد وعلي واحد والحسن والحسين ثنتان، ثمّ خلق اللّه تعالى فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلابدن، ثمّ مسحنا بيمينه فافضى نوره فينا.

أقول: ذكر الأصحاب في شرح هذا الحديث وجوهاً أوضحها وأقربها بسائر الأخبار ماذكره المجلسي (عليه الرحمة) في البحار والمرآة، وحاصله أنّ المراد بقوله «ثم جمعت روحيكما» يعني جعل مادة بدنهما في صلب آدم، وقوله «فكانت تمجّدني» يعني بنفسها أو بتوسّط الطينات المقدّسة، وقوله «ثمّ قسمتها ثنتين» يعني في عبداللّه وأبي طالب، وقوله «ثمّ قسمت الثنتين ثنتين» يعني بعد إنتقالهما في علي وفاطمة، فقوله «ثمّ خلق اللّه فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلابدن» ليس للترتيب الذكرى وإنّما هو راجع الى ما بعد خلق النور الأول أو بعد الجمع وقبل قسمة الثنتين، وقوله «ثمّ مسحنا بيده» من كلام الإمام الصادق (عليه السّلام) وهو كناية عن التفضّل والرحمة بإجراء نوره في الأئمة أيضاً بالتوالد والتناسل، وفي بعض النسخ ثم مسحها وفي نسخة فأضاء نوره فينا، واللّه العالم.

الحادي عشر: روى في الكافي أيضاً[٢] بإسناده عن جابر بن يزيد

---

(١) باب مولد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من كتاب الحجّة ورواه عنه في البحار باب بدو خلقه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من الجزء ١٥ وفي باب حدوث العالم من الجزء ٥٧ مرتين وشرحه في الأخيرة في الحديث ١٤٠.

(٢) في الباب المذكور وعنه في البحار في البابين المذكورين آنفاً وشرحه في أولهما.

الجعفي قال أبو جعفر الباقر (عليه السّلام): إن اللّه أول ما خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي اللّه قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور أبدان نورانية بلاأرواح، وكان مؤيّداً بروح واحدة وهي روح القدس فبه كان يعبد اللّه وعترته، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء يعبدون اللّه بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ويصلّون الصلوات ويحجون ويصومون.

أقول: تكرر في أحاديث المقام ذكر الأشباح كما تقدّم بعضها، وهي جمع الشبح بالتحريك، ففي تهذيب اللّغة ولسان العرب هو ما يبدو للإنسان شخصه من الناس وغيرهم، يقال شبح لنا أي مثل. وفي الجمهرة هو الشخص تراه من بعيد، فكانّ المراد في هذه الأخبار الهياكل الظاهرة، ولذا فسّر في هذا الخبر بأبدان نورانية، ولعل تفسيرها بظل النور من جهة اللطافة أو التبعية للأصل، وإضافته إما بيانية أي الظل الذي هو نور أو معنوية أي الظل للنور الأول الذي خلقه اللّه (عزّوجلّ) وخلق منه محمداً وأهل بيته (عليهم السّلام) كما في الأحاديث المتقدمة، فقد ورد في نصوص مستفيضة[1] أنهم مخلوقون من نور اللّه أو من نور عظمته أو من نور الأنوار. قال الإمام علي بن الحسين (عليهما السّلام): ان اللّه خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق ويسبّحون اللّه ويقدّسونه، وهم الأئمة من ولد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)[2].

---

(١) راجع لها البحار في البابين المذكورين آنفاً وباب بدو أرواحهم من الجزء ٢٥ وراجع الباب الأول من هذه الرسالة في حديث خلق الزهراء (سلام اللّه عليها) وحديث جابر الأنصاري في تذييله.

(٢) رواه في الكافي باب ما جاء في الاثنى عشر من كتاب الحجة باسناده عن أبي ←

وقوله (عليه السّلام) أبدان نورانية توضيح لكل من أشباح نور وظل النور، وقوله «بلاأرواح» يعني الأرواح المادية المخلوقة في أجساد البشر لا أنها كانت صوراً محضة، فقد صرّح في النصوص المتقدمة وغيرها بخلقهم أرواحاً، وليس المراد بالنور هنا ما نراه بأعيننا في العالم الجسماني، وإنّما هو من العوالم الروحانية التي لايمكن ادراك حقيقته لمن قصرت حواسه ومعرفته على الأمور الدنيوية، وغايته التشبيه بما في هذا العالم واللّه العالم.

ولايخفى أن عالم الأشباح في كلام العلماء يراد به ذلك وقد يراد به عالم الذر والميثاق ويقال لهما أيضاً الاظلة والظلال كما تقدم ويأتي في الأخبار، قال الشاعر:

يا أهل بيت رسول اللّه انكم ... لأشرف الخلق جدّاً غاب أو آبا
إعطاكم اللّه ما لم يعطه أحداً ... حتى دعيتم لعظم الفضل اربابا
أشباحكم كنّ في بدو الظلال له ... دون البريّة خزانا وحجّابا
وأنتم الكلمات اللاي لقّنها ... جبريل آدم عند الذنب اذتابا
وأنتم قبلة الدين التي جعلت ... للقاصدين الى الرحمن محرابا[1]

← سعيد العصفري عن عمرو بن ثابت عن أبي حمزة يعني الثمالي عنه (عليه السّلام) وفي البحار باب حدوث العالم عن كتاب أبي سعيد عباد العصفري وفي بابي بدو خلق النبي وبدوْ ارواحهم (عليهم السّلام) عن كمال الدين بإسناده عنه وذكر فيه: من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره الخ.

(١) حكاها ابن شهرآشوب في مناقبه في مناقب الإمام الحسن (عليه السّلام) عن ابن حماد وهو علي بن حماد العبدي البصري من أفاضل الشعراء المخلصين لأهل البيت (عليهم السّلام) ويظهر من أشعاره كثرة علمه وعلوّ معرفته، وعدّه في آخر معالم العلماء من المجاهرين يعني الذين لم يلاحظوا التقية في أشعارهم، وحكى أنه لم يذكر بيتاً إلاّ في أهل البيت (عليهم السّلام) ترجمه مفصلا سيّدنا الأمين في حرف العين من أعيان الشيعة وشيخنا الأميني في الجزء الرابع من كتابه الغدير.

الثاني عشر: في الكافي أيضاً[١] بإسناده عن المفضل يعني ابن عمر قلت للصادق (عليه السّلام): كيف كنتم حيث كنتم في الاظلّة؟ قال: كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلة خضراء نسبّحه ونقدّسه ونهلّله ونمجّده وما من ملك مقرب ولاذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ماشاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثمّ أنهى علم ذلك الينا.

أقول: الظاهر أن المراد بالاظلة هنا عالم الأشباح المذكور في الخبر السابق وغيره وقوله (عليه السّلام) كُنّا عند ربنا أي مقربين لديه سبحانه كقوله تعالى «في مقعد صدق عند مليك مقتدر» واحتمل المجلسي (رحمه اللّه) في المرآت والبحار أن يكون قوله في ظلة خضراء كناية عن معرفة الرب سبحانه أي كانوا مغمورين في أنوار معرفته ومشعوفين به وقوله «حتى بدا له» أي أراد وقوله «ثم أنهى» أي أوصل وأبلغ علم المخلوقات الينا، نظير ما يأتي في الخبر التالي، واللّه العالم.

الثالث عشر: في الكافي أيضاً[٢] بإسناده عن محمد بن سنان قال: كنت عند الإمام أبي جعفر الثاني (عليه السّلام) فاجريت اختلاف الشيعة، فقال: انّ اللّه تعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثمّ خلق محمداً وعلياً وفاطمة

---

(١) باب مولد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعنه في البحار باب بدو خلقه وباب حدوث العالم ونحوه مرسلاً بإختصار في كتاب عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبدالوهّاب من علماء القرن الخامس في حديث حبابة الوالبيّة عن الإمام الباقر (عليه السّلام) وعنه في البحار أيضاً في الجزء ٤٦ باب معجزات الإمام الباقر(عليه السّلام).

(٢) باب مولد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعنه في البحار باب بدو خلقه وفي فصل التفويض الجزء ٢٥ وفي باب حدوث العالم مرتين وشرحه بالتفصيل في فصل التفويض ومرآت العقول.

فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فاشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها و فوّض اُمورها اليهم، فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء اللّه تبارك وتعالى، ثم قال (عليه السّلام) يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلّف عنها محق، ومن لزمها لحق خذها اليك.

أقول: قوله (عليه السّلام) فاشهدهم خلقها أي خلقها بحضرتهم وعلمهم،فكانوامطّلعين على أسرارالخلق وكيفيته وأطواره ولاينافيه قوله تعالى «ماأشهدتهم خلق السماوات والأرض ولاخلق أنفسهم» لان ذلك راجع الى الشياطين أو المشركين لقوله تعالى قبله «أفتتخدونه وذرّيته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ» فالمعنى كيف تطيعون الشياطين وتولّونهم ولم يعطهم اللّه تعالى أسرار خلقه، فيجوز أن يعطيها اللّه أوليائه ويشهدهم عليه، ولأجله يوجب على سائر خلقه طاعتهم، كما قال الإمام (عليه السّلام) في هذا الخبر: أجرى طاعتهم عليها، بل قد تكون الآية ظاهرة في ذلك لأن نفي اشهاد الخلق عن الشياطين بعد المنع عن إتخاذهم أولياء مشعر بتعليله بذلك، ومقتضاه ثبوت الاشهاد في أولياء اللّه الذين أمر بطاعتهم وولايتهم بقوله تعالى «إنّما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون».

وقوله (عليه السّلام) وفوض اُمورها اليهم يعني في أحكام الدين لافي التكوين من الخلق والرزق وغيرهما، لقوله (عليه السّلام) بعده فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ويؤيده انه في البحار في فصل التفويض روى هذا الخبر بعينه عن كتاب رياض الجنان لفضل اللّه بن محمود الفارسي وذكر فيه: وفوّض أمر الأشياء اليهم في الحكم والتصرف

والارشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة، فلهم الأمر والولاية والهداية، فهم أبوابه ونوّابه وحجّابه، يحلّلون ما شاء ويحرمون ما شاء ولايفعلون إلاّ ما شاء عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون. وانه في غير واحد من الأخبار قد أطلق التفويض على ذلك، مثل ما رواه عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) يقول: من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو له حلال، لانّ الأئمّة منّا مفوّض اليهم فما أحلوا فهو حلال وما حرّموا فهو حرام.

وحاصل الكلام فيه أنّ الأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام) منعوا شديداً شيعتهم من القول بالتفويض في حقّهم فيما يرجع الى الخلق والرزق ونحوهما من أفعال اللّه لعباده حتّى أنّه جعلوا القائل به مشركاً، والنصوص في ذلك كثيرة صريحة أوردها في البحار باب نفي الغلو فيهم، وما ألحق به من فصل بيان التفويض من الجزء ٢٥ وقد صرّح بمنعه وكفر القائل به علماء الشيعة، كشيخنا الصدوق في عقائده وشيخنا المفيد (رحمهما اللّه تعالى) في شرحها، ولافرق فيه بين القول بإستقلال الأئمّة (عليهم السّلام) في تلك الافعال وانّها تصدر بقدرتهم وإرادتهم حقيقة وبين القول بان اللّه تعالى يفعلها عقيب ارادتهم، فإنّ هذا وإن لم يكن مستحيلاً عقلاً، ولعل معجزات الأنبياء (عليهم السّلام) أحياناً كشق القمر كانت بهذا النحو، لكنّ النصوص المشار إليها نافية لذلك أيضاً.

وأما في اُمور الدين فقد صرحت نصوص كثيرة بثبوته لهم وعقد لها في الكافي والوافي باباً خاصّاً بها إلاّ أنّ مقتضى الجمع بينها وبين ماورد أيضاً من الآيات والنصوص الكثيرة من اتّباعهم لحكم اللّه تعالى واتّباع الأئمّة (عليهم السّلام) لحكم اللّه وسنّة نبيّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

وانّهم لايقولون شيئاً بآرائهم(١) انّ اللّه تعالى قد فوّض الى النبي تشريع ما لم ينزل فيه حكم من اللّه فقال تعالى «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وقال «ولايحرّمون ما حرّم اللّه ورسوله» وغير ذلك من الآيات الكريمة، مثل ما ورد منها في وجوب طاعته مضافاً الى طاعة اللّه، وذلك كتحريم كل مسكر، وزيادة ركعتين في الصلوات الرباعيّة، وتشريع نوافل الصلاة والصيام، واطعام الجدّ من الارث مع أب الميت وغير ذلك.

ففي الكافي بإسناده الصحيح عن زرارة أنّه سمع أبا جعفر وأبا عبداللّه (عليهما السّلام) يقولان: انّ اللّه تبارك وتعالى فوّض الى نبيّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم، ثمّ تلا هذه الآية «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وأمّا ما نزل فيه حكم من اللّه فقد قال تعالى فيهٔ «واتّبع ما يوحى إليك من ربك» وقال تعالى: «قل ما يكون لي أن أُبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلاّ ما يوحى إليّ إنّي أخاف ان عصيت ربّي عذاب يوم عظيم».

وكذلك فوّض اللّه سبحانه الى أوصيائه والأئمّة الطاهرين من أهل بيته (عليهم السّلام) تطبيق ما شرعه اللّه ورسوله من الأحكام الدينيّة الكليّة على مواردها الخاصّة بحسب ما يرونه من المصالح الوقتيّة أو الفردية، ولعله لذلك ربّما وقع بينهم اختلاف في بعض الموارد لتقيّة ونحوها، مثل ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السّلام) في وقت العدول من حجّ التمتّع الى الإفراد انّه كان موسى بن جعفر (عليهما السّلام) يقول صبح يوم التروية وكان جعفر أو أبوه (عليهما السّلام) يقول زوال يوم التروية ثمّ اختار هو الزوال.

(١) كما في البحار كتاب العلم باب أن عندهم (عليهم السّلام) موادّ العلم وأُصوله في الجزء ٢.

كما فوّض اللّه اليهم أيضاً بيان بعض الأحكام في زمان، أو لبعض المكلّفين بحسب ما يرونه، نظير ما فوّض اللّه تعالى الى سليمان بن داود (عليهما السّلام) بقوله «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب» فانّ تعذيب الشياطين في القيود ولو كانوا كفرة فسقة أو اطلاقهم منها من الأحكام الشرعية وراجع الى اللّه تعالى، لكن فوّضها عطاءً الى نبيّه الكريم على ما يراه بغير حساب، أي من غير أن يحاسب عليه فيما يفعله. هذا إجمال الكلام المناسب للمقام في بحث التفويض وتفصيله في محلّ آخر[1] فلابدّ من تنزيل ما في الخبر المزبور على القسم الجائز الثابت لهم بسائر الأخبار، واللّه العالم.

الرابع عشر: في الكافي أيضاً[2] بإسناده عن أبي حمزة الثمالي في حديث أنّ الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السّلام) قال لقتادة بن دعامة البصري فقيه البصرة: ويحك يا قتادة انّ اللّه (عزّوجلّ) خلق خلقاً من خلقه، فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه قوّام بأمره نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه، فسكت قتادة طويلاً ثمّ قال: أصلحك اللّه واللّه لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عبّاس، فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدامك، قال له أبو جعفر (عليه السّلام): ويحك أتدري أين أنت أنت بين يدي بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والاصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر اللّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فانت ثمّ ونحن اولئك،

---

(١) كمرآة العقول في شرح اصول الكافي للمجلسي (عليه الرحمة) باب التفويض من كتاب الحجّة، والبحار باب نفي الغلو وما بعده، ولايفوتنّ الباحثين ما كتبه الإمام الخميني في كتابه أربعين حديثاً باللغة الفارسيّة في شرح الحديث الحادي والثلاثين.

(٢) الباب٩ من كتاب الاطعمة،وعنه في البحارفيمامرمن أحوال الإمام الباقر(عليه السّلام)

فقال قتادة: صدقت والله ما هي بيوت حجارة ولاطين. الحديث.

وفيه السؤال عن أكل الجبن وحكمه (عليه السّلام) بجوازه وعدم حرمته بما يجعل فيه من أنفحة الميّت، وقد أشرنا في آخر الحديث التاسع الى كلام آخر للإمام الباقر (عليه السّلام) لقتادة في تفسير القرآن، فلعله كان جزءاً من هذا الحديث رواه غير أبي حمزة الثمالي، فصارا حديثين في الكافي.

فهذه أربعة عشر حديثاً اخترتها للمقام بعدد المعصومين (عليهم السّلام) وهي كما ذكرنا أولاً جزء يسير من سائرها بحيث لاريب في جواز دعوى التواتر المعنوي لها، كما يعلم بمراجعة إجمالية الى الأبواب المشار اليها للأخبار المذكورة هنا، وقد اعتنى أصحابنا بشأن هذه النصوص فاوردوها فيما صنّفوه من كتب الفضائل وشروح الزيارات، لاسيّما الزيارة الجامعة الكبيرة التي يشهد سبكها في النظم والمتانة بصدورها عن بيت الوحي والعصمة، وقد شرحها جماعة من العلماء[١] وفيها كلمات تدل على المقام منها: خلقكم اللّه أنواراً، فجعلكم بعرشه محدقين حتّى منّ علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وجعل صلواتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا وطهارة لانفسنا. الخ.

---

(١) منهم السيّد عبداللّه الشبّر سمّاه الأنوار اللامعة والسيّد حسين الهمداني سمّاه الشموس الطالعة، والشيخ الجليل الآغا نجفي الاصفهاني سمّاه حقائق الأسرار، والمجلسي الأوّل في شرحيه الفارسي والعربي على كتاب من لايحضره الفقيه، وهذه الشروح مطبوعة، وذكر شيخنا الرازي (رحمه اللّه) في كتابه الذريعة في حرف الشين عدّة أُخرى، وأخيراً شرحها مفصّلاً شيخنا الفاضل المتبحّر محمّد جواد الكربلائي نزيل طهران (سلّمه اللّه تعالى) في خمس مجلدات، ومن الشروح للشيخ أحمد الاحسائي لكنّه ليس على وجه مرضيّ.

وقد مرّ أنّ الشيخ الصدوق (رحمه اللّه تعالى) جعل مضمون بعض النصوص من العقائد الواجبة، وروى بعضها بأسانيد أهل السنّة عن جماعة من الصحابة كما تقدم.

وروى في كتابي العلل ومعاني الأخبار[1] عن أحمد بن الحسين المرواني، قال: وما لقيت أنصب منه أي النصب بمعنى العداوة لأمير المؤمنين (عليه السّلام) بإسناده عن أبي ذر (رضي اللّه عنه) عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول: خُلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد نسبّح اللّه يمنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا أن خلق اللّه آدم جعل ذلك النور في صلبه، الى أن قال: فلم يزل ينقلنا اللّه (عزّوجلّ) من أصلاب طاهرة الى أرحام طاهرة حتّى انتهى بنا الى عبدالمطلب. الخبر.

ونحوه في البحار باب تاريخ ولادة أمير المؤمنين (عليه السّلام) عن أمالي شيخنا الطوسي (رحمه اللّه) بإسناده عن أنس بن مالك عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقد أورد الشيخان وغيرهما أمثال هذا الخبر من طرق العامّة تنبيهاً على أن لايتوهّم اختصاص رواية هذه الفضائل بالشيعة فتكون أثبت للحجّة وألزم على المخالفين، كما أوردوا في غير المقام لتأييد مذهب الشيعة في الأصول والفروع أحاديث من طرق العامّة لهذه العلّة.

هذا ولكن ذكرنا فيما سبق أنّ شيخنا المفيد (رحمه اللّه تعالى) أنكر عالم الأرواح قبل الأجساد وعالم الذرّ والميثاق بالمعنى المذكور سابقاً، وأنكر أيضاً عالم الأظلّة والأشباح، فقال في أجوبة المسائل السرويّة: إنّ الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها وتتباين معانيها، وقد بنت الغلاة

---

(١) ورواه في البحار عن العلل في باب تاريخ ولادة أمير المؤمنين (عليه السّلام).

عليها أباطيل كثيرة، وصنّفوا كتباً لغوا فيها وهزؤوا فيما أثبتوا في معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب الى جماعة من شيوخ أهل الحقّ، وتخرّصوا الباطل باضافتها إليهم، من جملتها كتاب سمّوه كتاب الأشباح والأظلّة ونسبوا تأليفه الى محمد بن سنان، ثم قال: والصحيح في حديث الأشباح الرواية التي جائت عن الثقاة بانّ آدم (عليه السّلام) رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل اللّه (عزّوجلّ) عنها فأوحى اللّه اليه أنّها أشباح رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) وأعلمه أنّه لولا الأشباح التي يراها ما خلقه ولاخلق سماءاً ولا أرضاً، والوجه فيما أظهره اللّه تعالى من الأشباح والصور لآدم أن يدلّه على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك اجلالاً لهم ومقدّمة لما يفرضه من طاعتهم، ودليلاً على أنّ مصالح الدين والدنيا لاتتمّ إلاّ بهم، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة ولا أرواحاً ناطقة، لكنّها كانت صوراً على مثل صورهم في البشريّة تدلّ على ما يكونون عليه في المستقبل من الهيئة والنور الى آخر كلامه وفيه ان آدم لما تاب سأل اللّه تعالى بحقهم فقبلت توبته.

وظاهره أنّ تلك الأشباح إنّما كانت تصويراً محضاً عنهم (عليهم السّلام) لآدم من دون أن يكون لها مادّة أصيلة أو أرواح نوريّة، وانّما أظهر اللّه لآدم (عليه السّلام) تصاويرهم ليعلمه بخلقهم فيما بعد، كما أنّه كتب أسمائهم على العرش لذلك، وهذا مخالف للنصوص الكثيرة المتقدّمة وغيرها ممّا دلّ على خلق أرواحهم وأنوارهم قبل خلق آدم، وأنّها كانت تسبّح اللّه وتقدّسه، وأنّه تعالى جعل أنوارهم في صلبه، وليس هذا مبايناً للشرع والعقل، وإنّما الذي أوهم تردّداً فيه أو امتناعاً منه أنّ أكثر رواة تلك النصوص مجهول، أو مذكور في كتب الرجال بقدح مثل الغلو والافراط والارتفاع، كمحمّد بن سنان، والمفضّل بن عمر، والحسين بن عبيداللّه

السعدي وأضرابهم، لكنّ المتأخّرين من العلماء أجابوا عن ذلك بانّ سبب رمي هؤلاء بذلك روايتهم لتلك الفضائل وخوارق عادات الأئمة ومعجزاتهم (عليهم السّلام).

قال المجلسي الأول (رحمه اللّه) في شرحه العربي على كتاب الفقيه باب الطهارة في حديث رواه جابر بن يزيد الجعفي في ماء البئر، قال: الذي ظهر لنا من التتبّع أن جابر بن يزيد ثقة جليل من أصحاب أسرار الأئمّة وخواصّهم، والعامّة تضعّفه لهذا كما يظهر من مقدّمة صحيح مسلم، وتبعهم بعض الخاصّة لأنّ أحاديثه تدلّ على جلالة الأئمّة (عليهم السّلام) ولمّا لم يمكنه القدح فيه لجلالته قدح في رواته، واذا تأمّلت أحاديثه يظهر لك أنّ القدح ليس فيهم بل فيمن قدحه بإعتبار عدم معرفة الأئمّة (عليهم السّلام) كما ينبغي، والذي ظهر لنا من التتبّع التام أنّ أكثر المجروحين سبب جرحهم علوّ حالهم، كما يظهر من الأخبار التي وردت عنهم (عليهم السّلام): اعرفوا منازل الرجال على قدر رواياتهم عنّا والظاهر أنّ المراد بقدر الرواية الأخبار العالية التي لاتصل اليها عقول أكثر الناس، وورد عنهم متواتراً أنّ حديثنا صعب مستصعب لايحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان الى آخر كلامه.

وقال المجلسي الثاني في البحار باب نفي الغلو من كتاب الإمامة الجزء ٢٥: أفرط بعض المتكلّمين والمحدّثين في الغلوّ لقصورهم عن معرفة الأئمّة (عليهم السّلام) وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شؤونهم، فقدحوا في كثير من الرواة الثقاة لنقلهم بعض غرائب المعجزات.

وقال المحقّق المتتبّع الوحيد البهبهاني في مقدّمة التعليقة على منهج المقال: الظاهر أنّ كثيراً من القدماء سيّما القميّين منهم وابن الغضائري كانوا يعتقدون للأئمّة (عليهم السّلام) منزلة خاصّة من الرفعة والجلال، ومرتبة

معيّنة من العصمة والكمال بحسب إجتهادهم ورأيهم وما كانوا يجوّزون التعدي عنها، وكانوا يعدّون التعدّي إرتفاعاً وغلوّاً على حسب معتقدهم، حتّى أنّهم جعلوا مثل نفي السهو عنهم غلوّاً، بل ربّما جعلوا مطلق التفويض اليهم أو التفويض المختلف فيه أو المبالغة في معجزاتهم ونقل العجائب من خوارق العادات عنهم، أو الاغراق في شأنهم واجلالهم وتنزيههم عن كثير من النقائص واظهار كثير قدرة لهم وذكر علمهم بمكنونات السماء والارض إرتفاعا ومورثاً للتهمة به، ثمّ ذكر في نفس التعليقة في ترجمة بعض المجروحين أنّه يمكن أن يكون سبب جرحهم روايتهم لخوارق الأئمّة وفضائلهم.

ويشهد له ما حكاه الشيخ الكشّي في رجاله في ترجمة علي بن حمّاد الأزدي عن محمّد بن مسعود قال: علي بن حمّاد متهم وهو الذي يروي كتاب الاظلّة، وكان مراده بكتاب الاظلّة هو الذي فيه بعض الأخبار المتقدّمة كخبر المفضّل المذكور فيه كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة الخ فقد رواه علي بن حمّاد عنه، وذكر الشيخ النجاشي في رجاله أسماء جماعة لهم كتاب الاظلّة منهم محمّد بن سنان المذكور في بعض هذه الأخبار وعبدالرحمن بن كثير الهاشمي(١).

---

(١) ممّا ورد عن هذا الرجل ما رواه في الكافي باب العرش والكرسي من كتاب التوحيد بإسناده عنه عن داود الرقي عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) في تفسير قوله تعالى: «وكان عرشه على الماء» وخلاصته انّ اللّه تعالى حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس، فلمّا أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربّكم؟ فأوّل من نطق رسول اللّه وأمير المؤمنين والأئمّة (صلوات اللّه عليهم) فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأُمنائي في خلقي، وقال لبني آدم: أقرّوا للّه بالربوبيّة ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة، يا داود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق، ورواه الصدوق في التوحيد والعلل.

ومن أراد الاطّلاع على بعض عقائد السلف وإختلافهم في شؤون الأئمّة (عليهم السّلام) فليراجع كتاب كشف القناع عن وجه حجيّة الاجماع للمحقّق المتتبّع الشيخ أسد اللّه الكاظمي التستري (رحمه اللّه تعالى) فانّ فيه فوائد جمّة من مذاهب قدماء الإماميّة.

والحاصل أنّ الغلوّ المحرّم ما هو من قبيل نسبة الحلول والربوبيّة والمعبودية اليهم، أو نسبة الافعال الخاصّة باللّه تعالى من الخلق والرزق والإحياء والاماتة والشفاء وقضاء الحاجات التي ليس أمرها بيد البشر، وكذا ما كان من العبادة كالسجود لهم. وأمّا الفضائل العجيبة والكرامات المنيفة من اللّه تعالى كالأُمور المذكورة هنا، فهي أوصاف ممكنة ونسبتها إليهم والإعتقاد بها موقوفة على دليل معتبر يوجب الوثوق والطمأنينة من نصّ صحيح يرويه الثقاة عن النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أو أخبار مستفيضة، فانّ هذه الفضائل ليست إلاّ كسائر الأُمور الغيبيّة التي يجب أن يعتقد بها المسلم لدليل من ظاهر الكتاب والسنّة المعتبرة.

نعم لاريب أنّ ما ذكرنا في هذا الباب أسرار غامضة يصعب الايمان بها جداً، وهي من قبيل ما ورد عنهم (عليهم السّلام) أن أحاديثنا صعب مستصعب لايحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان. والنصوص بذلك عنهم كثيرة، وعقد في الكافي والوافي في كتاب الحجّة باباً خاصاً بها، وفي البحار أيضاً أورد كثيراً منها في كتاب العلم الجزء ٢ باب أنّ حديثهم صعب، وقد مرّ آنفاً عن المجلسي الأوّل (رحمه اللّه) في شرح الفقيه دعوى التواتر فيها لكثرتها.

والمستفاد من مجموعها على اختلاف ألفاظها أنّ ما عليه أهل البيت (عليهم السّلام) من الولاية والخلافة والمنازل العالية والعلوم الموهوبة لهم من اللّه (عزّوجلّ) ممّا يصعب على عامّة الناس أن يؤمنوا بها، ففي حديث

الأربعمائة المروي في خصال الصدوق وغيره عن أمير المؤمنين (عليه السّلام): خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم ممّا ينكرون، ولاتحملوهم على أنفسكم وعلينا انّ أمرنا صعب مستصعب لايحتمله إلاّ ملك مقرّب أو نبي مرسل أوعبد قد امتحن اللّه قلبه للايمان.

وعنه (عليه السّلام) في نهج البلاغة الخطبة ١٨٧: لايقع اسم الهجرة على أحد إلاّ بمعرفة الحجّة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر، ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه، انّ أمرنا صعب مستصعب لايحمله إلاّ عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للإيمان، ولايعي حديثنا إلاّ صدور أمينة وأحلام رزينة.

وفي الكافي بإسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): انّ حديث آل محمّد صعب مستصعب لايؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه الى اللّه والى الرسول والى العالم من آل محمّد وإنّما الهالك أن يحدّث أحدكم بشيء منه لايحتمله فيقول: واللّه ما كان هذا، واللّه ما كان هذا والإنكار هو الكفر. الى غير ذلك من النصوص بهذا المعنى.

وأورد ابن أبي الحديد في شرح خطبة النهج المذكورة كلاماً آخر لأمير المؤمنين (عليه السّلام) ظاهره أيضاً ما ذكرنا حيث قال فيه: ألا أنّ الذرّية افنان أنا شجرتها ودوحة أنا ساقها وانّي من أحمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بمنزلة الضوء من الضوء كنّا أظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي منها البشر أشباحاً عالية لا أجسام نامية انّ أمرنا صعب مستصعب لايعرف كنهه إلاّ ثلاثة ملك مقرّب أو نبي مرسل أو

عبد امتحن اللّه قلبه للايمان، فاذا انكشف لكم سر أو وضح لكم أمر فاقبلوه وإلاّ فاسكتوا تسلموا وردّوا علمه الى اللّه (عزّوجلّ).

تتميم: قد مرّ في الأحاديث المتقدّمة أنّ آدم (عليه السّلام) توسّل بالخمسة الطاهرة (عليهم السّلام) فسأل اللّه تعالى بحقهم أن يتوب عليه، وهذا ممّا ورد فيه نصوص مستفيضة من طرق الخاصّة والعامّة، فقد رواها السيّد البحراني (عليه الرحمة) في تفيسر البرهان وأوّل غاية المرام، والمجلسي (رحمه اللّه) في البحار باب ترك الأولى من الجزء ١١ وباب أنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتوسّل بهم من الجزء ٢٦، ففيها: أنّ آدم رآى أسمائهم مكتوبة على ساق العرش، فقال: يارب من هؤلاء؟ فقال اللّه (عزّوجلّ): من ذرّيّتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولاخلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض فلما اقترف الخطيئة أوحى اللّه اليه أن يدعوه بأسمائهم فسأل اللّه تعالى بمحمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) أن يتوب عليه فتاب اللّه عليه. وقد ورد في جملة من هذه النصوص أنّ هذا هي الكلمات التي تلقّاها من ربّه، وفي بعضها ذكر للأئمّة بعد الحسين (عليهم السّلام) أيضاً.

وروى السيوطي في الدر المنثور عن ابن عبّاس (رضي اللّه عنه) قال: سألت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه قال سأل بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) ألا تبت عليّ فتاب عليه.

وفيه عن علي (عليه السّلام) في حديث عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انّ جبرئيل قال له قل: اللهمّ إنّي أسئلك بحق محمّد وآل محمد الخ، ولاينافيها ما في النصوص أيضاً أنّ الكلمات قوله لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت

خير الغافرين. ونحو ذلك فانّ مقتضى الجمع أنّه كان جميع ذلك.

فنختم الكلام في هذا الباب بأبيات رواها ابن شهرآشوب في مناقبه للامام الصادق (عليه السّلام) في باب معالي اموره:

في الأصل كنا نجوماً يستضاء بنا و للبرية نحن اليوم برهان
نحن البحور التي فيها لغائصكم در ثمين وياقوت ومرجان
مساكن القدس والفردوس نملكها ونحن للقدس والفردوس خزّان
من شذّ عنا فبرهوت مساكنه ومن أتانا فجنات ورضوان

والحمد للّه رب العالمين ونسأله أن يتوت علينا ويجعلنا من الصالحين، وصلّى اللّه على محمّد وآله الطيّبين.

الباب الثالث: تحديثها امّها في الرحم وكيفيّة ولادتها

تحديث الجنين من الرحم أمر خارق للعادة وخلاف الطبيعة في الخلقة البشريّة، حيث جرت سنّة اللّه تعالى في هذا العالم على أن يتولّد الجنين بعد مضي زمان من تكوّنه، ثمّ يتغذّى وينمو ويتعلّم الكلام تدريجاً، لكن ليس مستحيلاً من قدرة اللّه الذي أنطق الإنسان الكامل أن ينطق الجنين أيضاً على خلاف العادة لكرامته أو كرامة أُمّه وأبيه، كما ثبت بالقرآن أنّه تعالى أنطق الجمادات والحيوانات والأطفال الصغار فقال تعالى: «وشهد شاهد من أهلها» فقد ورد أنّه كان رضيعاً أنطقه اللّه بالشهادة لكرامة يوسف الصديق (عليه السّلام) وقال في شأن عيسى (عليه السّلام): «ويكلّم الناس

في المهد وكهلاً» وقال أيضاً: «فناداها من تحتها» أي حدّث أُمّها حين التولد كما عن بعض المفسرين وقال: «يا جبال أوّبي معه والطير» وقال: «وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا اللّه الذي أنطق كل شيء» وثبت أيضاً بالتاريخ أنّ الحصاة سبّحت في كفّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) والجذع اليابس حنّت له، فلامانع من قدرة اللّه أن ينطق الزهراء (سلام اللّه عليها) جنينا فتحدّث أُمّها من الرحم تكريماً لها حيث بذلت نفسها وأموالها وشؤونها الاجتماعيّة في سبيل الخدمة لدين اللّه ورسوله.

ففي الخبر(١) عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبداللّه الصادق (عليه السّلام) كيف كان ولادة فاطمة (عليها السّلام)؟ فقال: نعم انّ خديجة (رضي اللّه عنها) لما تزوّج بها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) هجرتها نساء مكّة، فكنّ لايدخلن عليها ولايسلّمن عليها ولايتركن امرأة تدخل عليه، فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمّها حذراً عليه (صلى اللّه عليه وآله) فلمّا حملت بفاطمة تحدّثها من بطنها وتصبّرها، وكانت تكتم ذلك من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فدخل رسول اللّه يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال: يا خديجة من تحدّثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدّثني ويونسني، قال: يا خديجة هذا جبرئيل يبشّرني أنّها أُنثى وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنّ اللّه تبارك وتعالى

---

(١) رواه الصدوق في الأمالي في المجلس السابع والثمانين عن أبي عبداللّه أحمد بن محمد بن الخليلي عن محمّد بن أبي بكر الفقيه عن أحمد بن محمّد النوفلي عن اسحاق بن يزيد عن حماد بن عيسى عن زرعة بن محمّد عن المفضّل بن عمر، ورواه الطبري الإمامي في دلائل الإمامة بإسناده عن المفضّل بن عمر، ونحوه في البحار عن كتاب مصباح الأنوار،ورواه المحبّ الطبري في ذخائرالعقبى ملخّصا عن الملافي سيرته والملا أبوحفص عمرالموصلي ذكره المحب الطبري في آخر كتابه القرى له كتاب وسيلة المتعبدين في سيرة سيد المرسلين (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ذكره في كشف الظنون وذيله فراجع.

سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمّة ويجعلهم خلفائه في أرضه بعد إنقضاءِ وحيه.

فلم تزل خديجة على ذلك الى أن حضرت ولادتها، فوجّهت الى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء، فأرسلن اليها أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لامال له، فلسنا نجيء ولانلي من أمرك شيئاً، فاغتمّت خديجة لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهنّ من نساء بني هاشم، ففزعت منهنّ لمّا رأتهن، فقالت إحداهن: لاتحزني يا خديجة فإنّا رُسل ربّك إليك ونحن أخواتك أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنّة، وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم اُخت موسى بن عمران، بعثنا اللّه إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، واُخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة طاهرة مطهّرة، فلما سقطت الى الارض أشرق منها النور حتّى دخل بيوتات مكّة، ولم يبق في شرق الارض ولاغربها إلاّ أشرق فيه ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين كلّ واحدة منهنّ معها طست من الجنّة وابريق من الجنّة، وفي الابريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدّ بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر فلفّتها بواحدة وقنّعتها بالثانية.

ثمّ استنطقتها فنطقت فاطمة (عليها السّلام) بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّ أبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأنّ بعلي سيّد الأوصياء وولدي سادة الأسباط، ثمّ سلّمت عليهنّ وسمّت كلّ واحدة منهنّ باسمها، وأقبلن يضحكن اليها وتباشرت الحور العين، وبشّر

أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكيّة ميمونة بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدرّ عليها، فكانت فاطمة تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الشهر، وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة.

قلت: ولله درّ العلاّمة الفقيد آية اللّه الغروي الاصفهاني الشهير بكمپاني (رحمه اللّه) في ارجوزته لميلادها:

جوهرة القدس من الكنز الخفي ... بدت فابدت عاليات الاحرف
وقد تجلى من سماء العظمة ... من عالم الأسماء أسمى كلمة
امّ الأئمّة العقول الغرّبل ... أُم أبيها وهوعلّة العلل
بدا بذلك الوجود الزاهر ... سرّ ظهور الحقّ في المظاهر
روح النبي في عظيم المنزلة ... وفي الكفاء كفو من لا كفو له
في أُفق المجد هي الزهراء ... للشمس من زهرتها ضياء
بل هي نور عالم الأنوار ... ومطلع الشموس والأقمار
أشرقت العوالم العلوية ... بنور تلك الدرّة البهيّة
بشراك يا أبا العقول العشرة ... بالبضعة الطاهرة المطهّرة
أُم الكتاب وابنة التنزيل ... ربّة بيت العلم بالتأويل
من بقدومها تشرّفت منى ... ومن بها تدرك غاية المنى
هي البتول الطهر والحوراء ... كمريم الطهر ولا سواء
لأنّها سيّدة النساء ... ومريم الكبرى بلا خفاء
ومركز الخمسة أصحاب العبا ... ومحور السبع علواً وأبا

الباب الرابع: تاريخ ولادتها

المشهور عند العامّة أنّ ولادتها كانت قبل المبعث بخمس سنين وفي بعض[1] رواياتهم أنّها كانت على رأس احدى وأربعين من مولد النبي (صلى اللّه عليه وآله) ويوافقه ما رواه الطبرسي في أعلام الورى عن الإمام الباقر (عليه السّلام) أنّ عمرها كان ثلاث وعشرين سنة. لكنّ المعروف بين الإماميّة أنّها ولدت بعد المبعث بخمس سنين، كما في أكثر أخبارهم.

ففي الكافي[2] بإسناده عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: ولدت فاطمة بنت محمد (صلى اللّه عليه وآله) بعد مبعث رسول اللّه بخمس سنين، وتوفّيت ولها ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً. وفي دلائل الإمامة[3] للطبري الإمامي بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: ولدت فاطمة في جمادي الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وقد مرّ في الباب الأول نصوص من الخاصّة والعامّة بانّ علوقها كان في الاسراء وهو بعد البعثة. ولعل منشأ

---

(١) رواه الخوارزمي في مقتله، وحكاه في البحار وإعلام الورى.

(٢) في آخر باب مولد أمير المؤمنين (عليه السّلام) وكأنه اشتبه على النسّاخ، فانّ موضعه الباب الآخر في مولد الزهراء.

(٣) في خبر ولادتها وباب وفاتها، وفي سنده فيهما في نسخته المطبوعة أحمد بن محمّد بن عيسى عن عبدالرحمن بن بحر، والصواب عبدالرحمن بن أبي نجران كما في البحار والعوالم في كلا بابي الولادة والوفاة عن دلائل الإمامة، وعبدالرحمن بن بحر غير مذكور في الأسانيد والرجال، والموجود كثيراً رواية أحمد بن محمّد بن عيسى عن عبدالرحمن بن أبي نجران، فسند الخبر حسن قويّ، واللّه العالم.

التوهم للقولين الأوّلين ما ورد كما في الباب السابق ويأتي في الباب السادس أنّ رشدها ونموّها كان على خلاف الطبيعة في سائر الناس، فكانوا يقيسونها بغيرها ويظنّون فيها زيادة العمر.

وأمّا يوم ولادتها، فقد مرّ في خبر دلائل الإمامة أنّه العشرون من جمادي الآخرة، وحكاه في البحار عن مصباح الكفعمي ومصباح الشيخ الطوسي، وحكاه ابن طاووس في اقبال الأعمال عن الشيخ المفيد في حدائق الرياض، وحكى عنه أيضاً أنّه يوم شريف يتجدّد فيه سرور المؤمنين، ويستحبّ صيامه والتطوّع فيه بالخيرات، ثمّ ذكر ابن طاووس أُموراً لتعظيم هذا اليوم وما يليق به من الاجتهاد للّه تعالى بطاعته وشكره وتعظيم الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وبرّ المؤمنين وزيارة الزهراء (سلام للّه عليها) وأورد لها زيارة طويلة تتضمّن فضائلها والصلاة عليها.

الباب الخامس: أسماؤها

من حقوق الولد أن يسمّيه الوالد باسمِ حسن ويكنّيه بكنية حسنى يدلاّن على عزّه ويحفظان لكرامته، وينسبانه الى الصفات الكريمة والمكارم الجميلة، وقد ورد الأمر بذلك في الآثار الشرعيّة وأخبار أهل البيت (عليهم السّلام)[1].

فعن الإمام الكاظم (عليه السّلام) قال: أوّل ما يبرّ الرجل ولده أن يسمّيه بإسم حسن، فليحسن أحدكم إسم ولده. وعن الإمام الباقر (عليه

(١) راجع الوافي والوسائل باب تسمية الأولاد من كتاب النكاح.

السّلام) قال: انّا لنكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبزأن يلحق بهم(١)، وقد حكى اللّه تعالى في القرآن عن امرأة عمران الموهوب لها أشرف الاولاد في وقتها قالت: «وانّي سمّيتها مريم» ففي تفسير الكشّاف وغيره أنّ مريم في لغتها بمعنى العابدة، فكأنّها سمّتها بذلك ليحكي هذا الاسم فيها عن أحبّ الأعمال الى اللّه تعالى وهو العبادة تفائلاً بانّ تلزمها وتزاولها فيما بعد، ومن المعلوم أنّ نبيّنا (صلى اللّه عليه وآله) لما بشّر بهذا المولود الكريم وأُخبر من اللّه تعالى بفضائلها ومنزلتها في بدو خلقها وطهارة نسلها لايتعدى عن هذا الأمر المعروف، فطبعاً كان من همّه (عليه السّلام) أن يسمّيها بما يناسبها من الأسماء الحسنى الحاكية عمّا فيها من الفضائل والبركات، لكن لّما كان هذا المولود تحفة جليلة من تحف اللّه لاكرم أنبيائه، وكان اللّه تعالى أعلم بوجه التسمية وبما أودع في هذه التحفة من الأسرار أراد اللّه سبحانه أن يسمّيها هو لنبيّه من طريق الوحي، فالهمه أن يسمّيها فاطمة.

فقد روي في الكافي(٢) بإسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام)

---

(١) أي مخافة أن تنسب اليهم الألقاب القبيحة. قال اللّه تعالى: «ولاتنابزوا بالألقاب».

(٢) رواه في باب مولد فاطمة من كتاب الحجّة عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين يعني ابن أبي الخطّاب عن محمّد بن اسماعيل عن صالح بن عقبة عن يزيد بن عبدالملك عن أبي جعفر (عليه السّلام) والمراد بمحمّد بن اسماعيل هو ابن بزيع المعروف، كما يعلم من سائر الأسانيد، وذكر الشيخ الطوسي في الفهرست والنجاشي في رجاله أنّ لصالح بن عقبة كتاباً يرويه عنه محمّد بن اسماعيل بن بزيع، وهذا الرجل كان من صالحي هذه الطائفة وثقاتهم، وكان جامعاً للعلم والعمل وكثرة الرواية ومنصب الوزارة، وله فضائل جليلة حتّى أنّه ورد عن الإمام الرضا (عليه السّلام) أنّه قال لأصحابه: وددت أنّ فيكم مثله، فبهذا يمكن دفع ما ورد في شأن صالح بن عقبة في رجالي العلامة وابن داود ناسباً له في الثاني الى ابن الغضائري ←

لمّا ولدت فاطمة أوحى اللّه الى ملك، فأنطق به لسان محمّد (صلى اللّه عليه وآله) فسمّاها فاطمة، ثمّ قال ـ يعني اللّه تعالى ـ : انّي قد فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث. ثمّ قال أبو جعفر (عليه السّلام): واللّه لقد فطمها اللّه بالعلم وعن الطمث في الميثاق. ورواه الصدوق (عليه الرحمة) في كتاب العلل(١).

وروى فيه أيضاً بإسناده عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السّلام) يقول: لفاطمة وقفة على باب جهنّم، فاذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه الى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً، فتقول: الهي وسيّدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاّني وتولّى ذرّيّتي من النار الخبر.

فالمستفاد من الخبرين أنّ تسميتها بفاطمة كانت من اللّه تعالى، كما أنّ المستفاد من الأول أنّ اللّه تعالى سمّاها بذلك لأنه قد فطمها بالعلم وعن الطمث، يعني فضلها عن سائر النساءِ وميّزها عنهنّ بما آتاها من العلوم الإلهيّة التي حرم عنها غيرها، وكذا فصلها عن عروض الطمث لها، وذلك لانّ معنى الفطم في اللغة على ما ذكره أهلها عبارة عن مطلق القطع والفصل سواء كان من الرضاع أو غيره، كما يظهر من موارد استعماله، واطلاقه على قطع الطفل عن الرضاع لأجل الغلبة لا لاختصاصه به في

← من أنّه غال كذّاب، فانّه لو كان كذلك لما يروي عنه ابن بزيع المذكور كثيراً، فلعلّ هذا من قبيل ما تقدّم في آخر الباب الثاني من أنّ سبب رميه بذلك روايته لهذا الخبر وأمثاله من الفضائل العجيبة للأئمّة (عليهم السّلام) كما ذكره الوحيد البهبهاني (قدّس سرّه) في تعليقته على منهج المقال، وحكاه أيضاً عن جدّه المجلسي الأوّل (عليه الرحمة) في شرح مشيخة الفقيه، واللّه العالم.

(١) في الباب ١٤٢ باب علّة تسمية فاطمة بفاطمة، وكذا الخبر الآخر.

أصل اللغة. وقال في البحار معنى فطمها بالعلم أرضعهاالعلم حتّى استغنت وفطمت أو فطمها عن الجهل بالعلم أو جعل فطامها من اللبن مقروناً بالعلم. وعلى كلّ تقدير تصديق هذا الحديث من القرآن قوله تعالى: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» فانّ الرجس هو القذارة، وهي شاملة للظاهرية البدنيّة وهي الطمث العارض للنساء في أوقات كثيرة، فيمنعهنّ عن العبادة للّه والتبتّل إليه وللمعنويّة الروحيّة وهي الشكّ والجهل، كما ورد في بعض الأخبار تفسير الرجس بالشكّ، وفاطمة (سلام اللّه عليها) داخلة في أهل البيت قطعاً دون غيرها من النساءِ، ويأتي إنشاء اللّه تعالى تفصيل الكلام في الآية.

ثمّ انّ الإمام الباقر (عليه السّلام) بعد ما ذكر في الحديث وجه التسمية المذكورة أبان عن حقيقته بقوله: واللّه لقد فطمها اللّه بالعلم وعن الطمث في الميثاق. يعني انّ حكمه تعالى وقضائه بطهارتها الظاهريّة والمعنويّة كان في عالم الميثاق قبل ولادتها في هذا العالم، وقد مرّ في السابق تحقيق الكلام في عالم الذرّ والميثاق.

وهنا وجوه أُخر لهذه التسمية منها: أنّ اللّه تعالى فطمها وفطم من أحبّها من النار، فقد ورد ذلك بأسانيد مستفيضة من طرق الخاصّة والعامّة، فرواه في البحار باب أسمائها عن الصدوق في كتابه العيون بأسانيده الثلاثة عن الإمام الرضا (عليه السّلام) عن آبائه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) وبإسناد آخر عن ابن عبّاس عنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعن كتابه العلل باسنادين آخرين أحدهما عن الإمام الصادق (عليه السّلام) وثانيهما عن الإمام الباقر (عليه السّلام) وهو الحديث المتقدّم صدره آنفا عن محمّد بن مسلم الثقفي، ورواه أيضاً عن أمالي الطوسي بإسنادين أحدهما عن الإمام الهادي، وثانيهما عن الإمام الرضا (عليهما السّلام) عن آبائهما عن

رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولفظه في الثاني: سُمّيت فاطمة لانّ اللّه فطمها وذرّيّتها من النار من لقي اللّه منهم بالتوحيد والإيمان بما جئت به.

ورواه أيضاً عن العلل ومعاني الأخبار بإسناد عامّي عن أبي هريرة، قال: إنّما سُمّيت فاطمة لانّ اللّه (عزّوجلّ) فطم من أحبّها من النار. ونحوه عن مناقب ابن شهرآشوب عن أبي هريرة عن علي (عليه السّلام) وعن المناقب أيضاً عن شيرويه في الفردوس عن جابر الأنصاري قال النبي: (صلى اللّه عليه وآله) إنّما سُمّيت ابنتي فاطمة لأنّ اللّه فطمها وفطم محبّيها من النار. ورواه الخوارزمي في مقتله في فصل فضائل فاطمة (عليها السّلام) بإسناده عن الإمام الرضا عن آبائه عن النبي (صلى اللّه عليهم أجمعين) ويأتي قريباً مثله عن كنز العمّال عن ابن عبّاس عنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ولفظه: إنّما سمّاها اللّه فاطمة.....

فظهر أنّه لامجال للتشكيك في صحّة الخبر لاستفاضة طرقه، فإنّها مورثة للاطمينان به وانّه لمّا كانت هذه التسمية بالهام من اللّه تعالى الى رسوله: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى» فلامحالة لم تكن لمحض العلامة للمسمّاة والتمييز بينها وبين غيرها من الأشخاص في الاسم فقط كتسميتنا، وإنّما كانت لحكمة الهيّة وسرّ معنويّ.

وما ورد في هذه الأخبار من قوله «وفطم من أحبّها من النار» فقد ورد نظيره في روايات كثيرة مثل قول النبي (صلى اللّه عليه وآله): من أحبّها فقد أحبّني[1] وقوله (صلى اللّه عليه وآله): ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له. الى آخر الخبر، وغير ذلك ممّا ورد من الآيات والنصوص في فرض حبّهم

---

(١) يأتي بهذا اللفظ ونحوه في أخبار كثيرة في الباب السابع.

وثوابه من اللّه تعالى وتسالم ذلك بين الامّة، حتى قال فرزدق الشاعر:

من معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجي ومعتصم

وقال إمام الشافعيّة:

يا أهل بيت رسول اللّه حبكم فرض من اللّه في القرآن أنزله

والوجه في ذلك أنّهم لمّا كانوا حجج اللّه على عباده وسفرائه في أمره ونهيه ولهم المنزلة العليا من اللّه تعالى في الدنيا والآخرة، فلامحالة كان محبّهم لهذه الجهة محب اللّه ومبغضهم مبغض اللّه، ومحبّه في الجنّة ومبغضه في النار والمرء مع من أحبّ: «ومن يتولّ اللّه ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب اللّه هم الغالبون» ولاينافي ذلك لزوم حمله على من أتى بسائر الفرائض واجتنب الكبائر، فقد ورد مثل ذلك في شأن سائر الفرائض أيضاً، كقوله (عليه السّلام): الصوم جنّة من النار.

ولايقال: انّه على هذا لزم أن يكون اسمها مفطومة، فانّ الفطم بمعنى القطع وهو متعدّ يقال فطمت المرأة ولدها، فانّه كما أُجيب عنه قد تجيء صيغة الفاعل بمعنى المفعول، كالعامر والكاتم والدافق، قال في القاموس: افطم السخلة حان أن تفطم، فاذا فطمت فهي فاطم ومفطومة وفطيمة.

أقول: ولعلّ وجهه أنّ صيغة الفاعل كصيغة باب الافعال قد يلاحظ فيها مجرّد النسبة الى الشيء والدخول فيه دون ملاحظة صدور المصدر عنه أو تعدّيه على أنّه يمكن أن تكون الملاحظة في خصوص التسمية نفس وجود المادة دون اجراءِ الصفة، سيّما اذا كان وجه التسمية متعدّداً يكون بعضها بمعنى صيغة الفاعل كما في المقام، فقد ورد عن الإمام أبي الحسن (عليه السّلام) أنّه قال في حديث[1]: إنّ اللّه تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه،

---

(١) رواه في البحار في الباب المذكور عن العلل بإسناده عن عبداللّه بن الحسن قال: ←

فعلم أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يتزوّج في الاحياء وانهم يطمعون في وراثة هذا الأمر من قبله، فلمّا ولدت فاطمة سمّاها اللّه تعالى فاطمة لما أخرج منها وجعل في ولدها ففطمهم عمّا طمعوا، فبهذا سمّيت فاطمة لانّها فطمت طمعهم، ومعنى فطمت قطعت.

هذا كلّه في وجه تسميتها بفاطمة الذي هو اسمها المعروف ولها أسماء أُخر حاكية عن فضلها وكرامتها، ففي الخبر عن الإمام الصادق (عليه السّلام)[1] قال: لفاطمة تسعة أسماء عند اللّه (عزّوجلّ): فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيّة، والراضية، والمرضية، والمحدّثة، والزهراء، ثمّ قال (عليه السّلام): أتدري أيّ شيء تفسير فاطمة، قال الراوي: لا، أخبرني ياسيّدي قال: فطمت من الشر. وقال ابن شهرآشوب في المناقب: إنّه صح في الأخبار لفاطمة عشرون إسماً كل إسم يدلّ على فضيلة ذكرها ابن بابويه في كتاب مولد فاطمة، وذكر في المناقب أيضاً هذه الأسماء عن أبي جعفر القمي يعني ابن بابويه المذكور، ونحن نقتصر هنا على ذكر بعضها حذراً من التطويل.

← قال أبو الحسن (عليه السّلام) ولعلّه الإمام الكاظم: لم سمّيت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقا بينها وبين الأسماء قال: انّ ذلك لمن الأسماء ولكنّ الاسم الذي سمّيت به انّ اللّه تعالى علم....

(١) رواه الصدوق (عليه الرحمة) في العلل والأمالي والخصال عن محمّد بن موسى بن المتوكل عن علي بن الحسين السعدآبادي عن أحمد بن أبي عبداللّه البرقي عن عبدالعظيم بن عبداللّه الحسني عن الحسن بن عبداللّه بن يونس عن يونس بن ظبيان عن أبي عبداللّه (عليه السّلام) ونحوه في دلائل الإمامة، والحسن بن عبداللّه مهمل في الرجال، ويونس بن ظبيان مشتبه الحال، لكن رواية العالم الجليل عبدالعظيم الحسني (عليه السّلام) عنهما تدلّ على اعتبارهما.

فمنها: الزهراء، ففي العلل ومعاني الأخبار بإسناده عن الصادق (عليه السّلام) قال: سُمّيت الزهراء لانّها كانت اذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض. وفي العلل أيضاً عنه (عليه السّلام) قال: لانّ اللّه (عزّوجلّ) خلقها من نور عظمته فلمّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة الحديث. وقد يظهر معنى هذا الخبر ممّا تقدم في الباب الأوّل والثاني.

ومنها: البتول، وهو من البتل بمعنى القطع، سمّيت به لإنقطاعها عن عادات النساء، فروي في المعاني[1] والعلل عن علي (عليه السّلام) أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) سئل ما البتول فإنّا سمعناك يارسول اللّه تقول: انّ مريم بتول وفاطمة بتول. فقال: البتول التي لم تر حمرة قطّ أي لم تحض، فانّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء.

أقول: هذه الفضيلة العظيمة ثابتة للزهراء (سلام اللّه عليها) بنصوص كثيرة من طرق الخاصّة والعامّة، منها هذا الخبر والخبر السابق في تفسير فاطمة.

وما رواه في البحار عن مصباح الأنوار عن أبي جعفر (عليه السّلام) عن آبائه إنّما سُمّيت فاطمة بنت محمّد (صلى اللّه عليه وآله) الطاهرة لطهارتها من كلّ دنس وطهارتها من كلّ رفث وما رأت قطّ يوماً حمرة ولانفاساً.

وروى شيخنا الطوسي (رحمه اللّه) في التهذيب باب الزيادات في

---

(١) رواه في المعاني في باب معاني أسماء محمّد وعلي وفاطمة، وكذا الخبر السابق، وفي العلل في الباب ١٤٤ بإسناده عن علي (عليه السّلام) ورواه عنهما في البحار في باب أسمائها، وكذا الخبر التالي.

النكاح وفي أماليه ج١ ص٤٢ طبعة النجف بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: حرّم اللّه (عزّوجلّ) على علي (عليه السّلام) النساء ما دامت فاطمة حيّة، فقال له الراوي: كيف؟ قال: لأنّها طاهرة لاتحيض(١).

وروى في الكافي باب مولد الزهراء من كتاب الحجّة بإسناده صحيحاً عن موسى بن جعفر (عليهما السّلام) قال: انّ فاطمة صدّيقة شهيدة، وانّ بنات الأنبياء لايطمثن.

وفي دلائل الإمامة للطبري الإمامي (رحمه اللّه) بإسناده عن علي (عليه السّلام) عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: انّ فاطمة خلقت حوريّة في صورة إنسية وانّ بنات الأنبياء لايحضن. والمستفاد من ظاهر هذين الخبرين والخبر الأوّل أنّ هذه الفضيلة ثابتة أيضاً لغيرها من بنات الأنبياء (عليهم السّلام) في الجملة وان لم يكنّ في الخلقة حوريّة.

وروى الصدوق (عليه الرحمة) في كتابه الفقيه باب غسل الحيض من طهارته عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) مرسلاً قال: انّ فاطمة ليست كأحد منكنّ لأنّها لاترى دماً في حيض ولانفاس كالحوريّة.

وفي البحار باب ولادتها عن كشف الغمّة عن كتاب مولد فاطمة لابن بابويه يعني الصدوق يرفعه الى أسماء بنت عميس قالت: كنت شهدت فاطمة وقد ولدت بعض ولدها فلم أر لها دماً، فقال النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): انّ فاطمة خلقت حوريّة في صورة إنسية. ونحوه في دلائل الإمامة بإسناده عن زينب بنت علي (عليه السّلام) قالت: حدّثتني أسماء بنت عميس الخ(٢).

---

(١) يأتي معنى هذا التعليل في الفائدة الثالثة من الباب السابع.

(٢) أقول:قد ثبت بالتاريخ والنصوص الكثيرةأنّ رسول اللّه(صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ←

وفي البحار أيضاً باب مناقبها عن أمالي الصدوق بإسناده عن أنس بن مالك عن أُمّه أُمّ سليم قالت: ما رأت فاطمة دماً في حيض ولانفاس. ورواه الشيخ الطبرسي (رحمه اللّه) في كتابه إعلام الورى باب أحوال فاطمة قال: وقد روته العامّة عن أنس.

وروى الخوارزمي في مقتله والهيثمي في مجمعه بالإسناد عن عائشة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في حديث تقدّم في الباب الأوّل قال: ياحميراء ان فاطمة ليست كنساء الآدميّين، ولاتعتلّ كما يعتللنّ.

وفي كنز العمّال الجزء ١٢ في فضائل فاطمة (عليها السّلام) عن ابن عبّاس قال النبي(صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إبنتي فاطمة حوراء آدميّة لم تحض ولم تطمث، وإنّما سمّاها اللّه فاطمة لأنّ اللّه تعالى فطمها ومحبّيها من النار.

هذا ما عثرت عليه من النصوص الدالّة على ثبوت هذه الكرامة المعنويّة لها من اللّه تعالى، وهي أكثر من عشرة أحاديث مصرّحة بذلك، وتصديق ذلك من كتاب اللّه قوله تعالى في شأن مريم «انّ اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين» وقد ثبت بالنصوص القاطعة عند الإماميّة أنّ فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) أفضل وأكرم عند اللّه تعالى من مريم بنت عمران، كما يأتي توضيحه في آخر الباب الثامن.

نعم يمكن أن يتوهّم أنّ الحيض في النساء من لوازم الخلقة البشريّة،

← سدّ على جميع أصحابه حتّى عمّه العبّاس أبواب بيوتهم الشارعة الى المسجد إلاّ باب علي (عليه السّلام) وقال: ما أخرجتكم وأسكنته بل اللّه أخرجكم وأسكنه، فكان علي (عليه السّلام) يمرّ من المسجد ويسكنه هو وأهله وأولاده في كلّ حال، فلعلّ تصريح النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بطهارة بضعته للنساء وبعض الرجال كإبن عبّاس للتنبيه على ذلك.

فخلوّ المرأة عنه نقص فيه، والزهراء (سلام اللّه عليها) منزّهة عن نواقص الخلقة، لكنّ الجواب أنّ الحيض بنفسه قذارة ظاهرة، كما قال اللّه تعالى «قل هو أذى» أي قذارة يتأذّى منه، ولذا فضّل نساء الجنّة بقوله تعالى «ولهم فيها أزواج مطهّرة» أي من الحيض والأحداث، وإنّما عدّ فقده عيباً لدلالته في الغالب على وجود عيب في الرحم موجب لنقص في الولادة أو في الولد، فاذا تفضّل اللّه على أحد من وليّاته بالولادة الكاملة بدون هذه القذارة كان ذلك لها فضيلة عالية وكرامة ظاهرة وتطهيراً زائداً في قوله تعالى للزهراء (سلام اللّه عليها) «انّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

ومن أسمائها: المحدّثة، كما ورد في الخبر المتقدّم هنا الذي ذكر فيه تسعة من أسمائها، وهو امّا بكسر الدال المشدّدة، ومعناها أنّها حدّثت اُمها في الرحم كما ذكر في الباب السابق، أو بفتح الدال ومعناها تحديث الملك لها، كما ورد ذلك في عدّة أخبار، فروى الصدوق في العلل[1] بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: إنّما سُمّيت فاطمة محدّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم، فتقول: يا فاطمة «ان اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين» يا فاطمة «اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين» فتحدّثهم فيحدّثونها الخبر.

وروى الكليني في الكافي[2] بإسناده عن حمّاد بن عثمان عنه (عليه

---

(١) باب العلّة التي من أجلها سمّيت فاطمة محدّثة، ورواه عنه في البحار باب مناقبها، ويأتي ذيل الخبر في آخر الباب الثامن في أفضليّة فاطمة على مريم.

(٢) في باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة من كتاب الحجّة، ورواه في البحار في باب جهات علومهم وما عندهم من الكتب من كتاب الإمامة ج٢٦ عن بصائر الدرجات ، وقد وردت في هذين البابين أخبار كثيرة في مصحف ←

السّلام) قال: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومأة، وذلك انّي نظرت في مصحف فاطمة، قال حمّاد: وما مصحف فاطمة؟ قال: انّ اللّه تعالى لما قبض نبيّه (صلى اللّه عليه وآله) دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لايعلمه إلاّ اللّه (عزّوجلّ) فأرسل اللّه اليها ملكاً يسلّي غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك الى أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقال لها: اذا أحسست بذلك وسمعت الصوت فقولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين (عليه السّلام) يكتب كلّما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحفاً، أما أنّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون. ونحوه عدّة أخبار رواها في الكافي والبصائر، ويؤيّده ما ورد[1] عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنّه يكون في هذه الامّة كلّما كان في الأُمم السالفة حذو النعل بالنعل، وقد

← فاطمة وذكر فيها أنّه ليس فيه بيان الأحكام وانما فيه الحوادث الآتية وأسماء الملوك، ولعلّ المراد بالزنادقة في هذا الخبر أمثال ابن أبي العوجاء وابن المقفّع، أو بعض فرق الخوارج كالاباضية، فان ظهورهم واظهار آرائهم كان في ذاك العصر.

(١) رواه الصدوق (عليه الرحمة) في الإكمال باب ذكر المعمّرين بإسنادين عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السّلام) ورراه في العيون بإسناد آخر عن الرضا (عليه السّلام) في كلام له مع المأمون وقد استدلّ الإمام به على وقوع الرجعة في هذه الأُمّة، ورواه أيضاً في الفقيه في الباب الأول من الصلاة مرسلاً حيث استدل به على قضيّة ردّ الشمس، ورواه العامّة باسانيد كما في البحار في الباب الأوّل من المجلّد الثامن ج٢٨ ومستدرك الحاكم ج١ ص١٢٩ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٦١ لكن اللفظ المذكور في أكثر أخبارهم لتركبنّ سنن من كان قبلكم، أو نحو هذه العبارة ممّا كان مفاده فعل هذه الامّة كأفعال الامم الماضية لاوقوع الحوادث والمعجزات، لكنّه غير مناف لعبارة أخبارنا الدالّة على العموم، بل في إحدى روايتي الإكمال ذيّل ذلك بقوله: حتّى لو أنّ حيّة من بني إسرائيل دخلت في حجر لدخلت في هذه الامّة حيّة مثلها، واللّه العالم.

صرّح في مواضع من القرآن بتحديث الملك لمريم وزوجة ابراهيم (عليه السّلام) ومن المعلوم أنّه اذا كان مثله واقعاً في الاسلام، فلابدّ أن يكون لبضعة نبيّه التي هي عديلة مريم بالنصوص المتواترة بل أفضل منها عند الإماميّة، كما يأتي البحث فيه إنشاء اللّه في آخر الباب الثامن.

وأمّا كُناها (عليها السّلام) فمنها: أُمّ أسماءِ، ذكره الخوارزمي في مقتله، ولعلّه لتعدّد أسمائها الحسنى الحاكية عن صفاتها العليا ومناقبها العظمى.

ومنها: أُمّ الأئمّة، وهي كنيتها المعروفة، فانّ الأئمّة الطاهرين من آل الرسول كانوا من نسلها، لكن بملاحظة ما تقدّم ويأتي من فضائلها ومقاماتها يعلم أنّ أُمومتها لهم ليست بمحض الولادة فقط كولادة غيرها لهم من المؤمنات الصالحات، كفاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) بل كانت وشيجة بمقام شامخ معنويّ مسانخ لمقام الإمام في الطينة والكرامة، فهي أُمّ لهم بما لهم من الفضائل العظيمة والدرجات الرفعية الالهيّة، ولهذا ينبغي أن تعدّ هذه الكنية خاصّة بها كلقب سيّدة النساءِ.

ومنها: أُمّ أبيها، كما في مناقب ابن شهرآشوب، ورواه أبو الفرج في مقاتل الطالبيّين[1] بإسناده عن الإمام الصادق عن أبيه (عليهما السّلام) وذكره في الاستيعاب وأُسد الغابة والإصابة، وهذه الكنية تدلّ على اختصاص شديد لها بأبيها (صلوات اللّه عليهما) نحو اختصاص الأُمّ بولدها من الشفقة الكثيرة والحبّ الوافر، فانّها ربّما كانت تخبز قرصاً بمشقّة فتوثر به أباها على نفسها وأولادها، وقد كان (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يطعم طعاماً منذ ثلاثة أيّام، كما رواه في البحار باب مكارم

---

(١) عند ذكره للإمام الحسن (عليه السّلام) وحكاه في البحار عنه وعن ابن شهرآشوب ورواه أيضاً ابن المغازلى فى مناقبه بإسناد آخر عنه (عليه السّلام).

أخلاقه من مجلّد تاريخه ج١٦ من الطبعة الجديدة وباب مناقبها ج٤٣ ومقتل الخوارزمي في فصل فضائلها، وانّها في صغرها كانت كأُمّها المكرّمة تدفع عنه أذى المشركين، كما روى في ذخائر العقبى باب برّها بأبيها عن ابن مسعود أنّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كان يصلّي فأخذ رجل من قريش شيئاً من جزور ميّت فألقاه عليه وهو ساجد حتّى جائت الزهراء (عليها السّلام) فأخذته ونحّته عن ظهره، ويأتي في باب منزلتها عند النبي أنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) رجع من سفر فلمّا خرج من المسجد الى بيت فاطمة تلقّته عند باب البيت تلثم فاه وعينيه وتبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: أراك شعثاً نصباً قد اخلولقت ثيابك، فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): انّ اللّه (عزّوجلّ) بعث أباك لأمر لايبقى على ظهر الأرض بيت إلاّ أدخل اللّه به عزّاً أو ذلاً، الى غير ذلك ممّا ورد عنها في حياته، فبعدما توفى بأبي هو وأُمّي دخلها حزن شديد وغمّ مكمد من فراقه، فكانت تبكي عليه ليلاً ونهاراً لاترقأ دمعتها ولاتهدأ زفرتها حتّى أنّه تأذّى أهل المدينة من كثرة بكائها، فسألوها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فكانت تخرج بالنهار الى مقابر الشهداء وترثي أباها بأبيات مقرحة منها:

إنّ حزني عليك حزن جديد وفؤادي واللّه صبّ عتيد

كل يوم يزيد فيه شجوني واكتيابي عليك ليس يبيد

هذا ويمكن أن يكون لهذه التكنية وجه آخر أعلى من الأول وهو أنّ بقاء نسله الشريف كان بها، فانّ الرجل يحفظ في ولده، فمن كان له نسل صالح فهو حيّ باق، والرسول (صلى اللّه عليه وآله) لم يبق له نسل من غير فاطمة، كما هو المعلوم من تاريخه وصرّح به أهل التراجم والآثار.

قال إبن الأثير في أُسد الغابة في ترجمة فاطمة: انقطع نسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إلاّ منها، فانّ الذكور من أولاده ماتوا صغاراً، وأمّا

البنات فانّ رقيّة (رضي اللّه عنها) ولدت عبداللّه بن عثمان[١] فتوفّى صغيراً، وأمّا اُمّ كلثوم فلم تلد له، وأما زينب، فولدت علياً[٢] ومات صغيراً، وولدت أيضاً أمامة[٣] بنت أبي العاص بن الربيع، فتزوّجها علي

(١) يعني عثمان بن عفان فانّ رقيّة واُمّ كلثوم بنتي النبي (صلى اللّه عليه وآله) من خديجة (رضي اللّه عنها) تزوّجهما عتبة وعتيبة ابنا أبي لهب عمّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) وقد زوّجهما قبل الهجرة، فلعلّهما كانا مسلمين، أو زوّجهما تأليفاً وترغيباً لهما ولأبويهما في الاسلام وكان قبل تحريم التزويج بالمشرك، فلمّا نزل قوله تعالى «تبّت يدا أبي لهب» أمر أبو لهب بطلاقهما قبل الدخول بهما، فتزوّج عثمان بن عفّان برقيّة، وهاجر بها الى الحبشة فولدت له هناك عبداللّه، ثمّ هاجر بها الى المدينة فماتت رقيّة أيّام بدر، فزوّج النبي (صلى اللّه عليه وآله) عثمان اُختها اُمّ كلثوم ولم تلد منه، وماتت في سنة تسع من الهجرة، وبلغ عبداللّه ستّ سنين فنقر عينه ديك فورم وجهه ومات سنة أربع، وقيل: انّ رقيّة أيضاً لم تلد من عثمان أصلاً، هذا ما ذكره في الإستيعاب والإصابة واُسد الغابة في ترجمة عثمان ورقية واُمّ كلثوم، لكن في أخبار الإماميّة كما في البحار باب عدد أولاد النبي (صلى اللّه عليه وآله) ج٢٢ انّ عثمان تزوّج أوّلاً بامّ كلثوم فماتت قبل أن يدخل بها، فزوّجه النبي (صلى اللّه عليه وآله) رقيّة أيّام بدر، ثمّ هلكت عنده بسبب ضربه إيّاها لأجل أنه قد آوى عمّه الكافر مغيرة بن أبي العاص، فاطّلع عليه النبي (صلى اللّه عليه وآله) فحكم بطرد المغيرة ولعن من يؤويه، فزعم عثمان أنّ زوجته رقية أخبرت أباها بإيوائه في بيته.

(٢) ترجمه في الإصابة واُسد الغابة بعنوان علي بن أبي العاص، وذكراه أيضاً في ترجمة اُمّه زينب، وذكر فيهما أنّه توفّي وقد ناهز الحلم في حياة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولم أعثر على ذكر له في أحاديث الإماميّة.

(٣) قد ورد لها ذكر في أخبار أهل البيت، ففي البحار في آخر باب ما وقع عليها من الظلم ج٤٣ عن كتاب دلائل الإمامة عن أبي جعفر (عليه السّلام) انّ فاطمة (عليها السّلام) أوصت علياً بأن يتزوّجها، وأوصت لها بشيء من مالها. وروى الصدوق والشيخ الطوسي (عليهما الرحمة) عنه (عليه السّلام) أنّ أمامة بنت أبي العاص واُمّها زينب بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كانت تحت علي بن أبي طالب بعد ←

(عليه السّلام) ثمّ تزوّجها المغيرة بن نوفل، وقال الزبير[١]: انقرض عقب زينب انتهى. وقال في ترجمة أمامة تزوّجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة وقد أوصته فاطمة بذلك، فلمّا جرح علي (عليه السّلام) خاف أن يتزوّجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ان يتزوّجها بعده، فلمّا توفّي وقضت العدّة تزوّجها المغيرة، فولدت له يحيى وبه كان يكنى، فهلكت عند المغيرة، وقيل: إنّها لم تلد لعلي[٢] ولا للمغيرة، وليس لزينب بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولا لرقيّة ولا لأُمّ كلثوم (رضي اللّه عنهنّ) عقب إنّما العقب لفاطمة انتهى. ونحوه في تهذيب

← فاطمة، فخلف عليها بعد علي (عليه السّلام) المغيرة بن نوفل، وانّها وجعت وجعاً شديداً حتّى اعتقل لسانها، فجائها الحسن والحسين (عليهما السّلام) وهي لاتستطيع الكلام، فجعلا يقولان لها والمغيرة كاره لذلك اعتقت فلانا وأهله، فجعلت تشير برأسها لا ويقولون فعلت كذا وكذا فتشير برأسها نعم فانّها لاتفصح الكلام، فأجازا لها ذلك.

(١) هو الزبير بن بكّار، وقد حكى عنه كثيراً في الإستيعاب وأُسد الغابة، فانّه كما في تهذيب التهذيب كان عالما بالأنساب وأخبار المتقدّمين، وله كتاب الموفّقيات كتبه للموفّق بن المتوكّل العبّاسي، وذكر المحقّق شرف الدين في رسالة أبو هريرة أنّه من أولاد الزبير بن العوام وله ولآبائه عداوة لعلي (عليه السّلام) وأهل بيته، لكن عدّ كتابه الموفّقيات من الكتب الممتّعة، وفيها شهادة بتفضيل أمير المؤمنين (عليه السّلام).

(٢) وقيل كما في مناقب ابن شهرآشوب وكشف الغمّة انّها ولدت لعلي (عليه السّلام) محمّد الأوسط، وذكره اليعقوبي في تاريخه في أولاد أمير المؤمنين إلاّ أنّه سمّاه محمّد الأصغر.

أقول: ان صحّ ذلك فلعله مات صغيراً في حياة أبيه، ولأجله لم يذكره الآخرون في أولاده، وعلى كلّ تقدير فقد صرّح أهل الأخبار بانّ عقب أمير المؤمنين (عليه السّلام) إنّما كان من خمسة من أولاده ليس منهم محمّد ابن أمامة، بل صرّح اليعقوبي بعد ذكره بانّه لاعقب له.

الأسماء للنووي[١] في ترجمة امامة. وقال ابن حجر في الإصابة في ترجمة فاطمة: انقطع نسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إلاّ من فاطمة. وقال ابن شهرآشوب في المناقب في ذكر أولاده: ولاعقب للنبي (صلى اللّه عليه وآله) إلاّ من ولد فاطمة. وقال محبّ الدين الطبري[٢] في ذخائر العقبى مثل ذلك، ثمّ عقّبه بقوله وأعظم بها مفخرة.

هذا مضافاً الى ما تقدّم من قول النبي (صلى اللّه عليه وآله): وانّ اللّه سيجعل نسلي منها. وفي نهج البلاغة أنّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) رأى ابنه الحسين (عليه السّلام) يتسرّع الى الحرب في صفّين فقال: املكوا عنّي هذا الغلام لايهدّني، فانّي أنفس بهذين يعني الحسن والحسين (عليهما السّلام) على الموت لئلاّ ينقطع بهما نسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وفي كتاب الغيبة للشيخ الطوسي (عليه الرحمة) انّه سأل بعض المتكلّمين ـ وهو المعروف بترك الهروي ـ الحسين بن روح (رحمه اللّه) كم بنات رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقال: أربع، فقال: أيّتهنّ أفضل؟ فقال: فاطمة، قال: ولم صارت أفضل وكانت أصغرهن سنّاً وأقلهنّ صحبة لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: لخصلتين خصّها اللّه تعالى بهما انّها ورثت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ونسل رسول اللّه منها، ولم

---

(١) هو أبو زكريّا يحيى بن شرف الدمشقي شارح صحيح مسلم، ولد عام٦٣١ بعد وفاة إبن أثير المذكور بسنة، وتوفّي حدود سنة ٦٧٧.

(٢) هو أحمد بن عبداللّه الطبري صاحب كتاب القرى لقاصد اُمّ القرى، وكتاب صفة حجّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) وذخائر العقبى في مودّة اُولي القربى، وقد نقلنا عن ذخائر العقبى في هذه الرسالة كثيراً كان أصله من طبرستان ولكن سكن هو وأحفاده بمكّة، وتولّوا فيه منصب الإمامة والقضاء، وينتهي نسبه الى الإمام الحسين بن علي (عليهما السّلام) على ما في مقدّمة القرى، ولكنّهم كانوا على مذهب العامّة.

يخصّها اللّه بذلك إلاّ بفضل إخلاص عرفه من نيتها، قال الهروي: فما رأيت أحداً تكلّم وأجاب في هذا الباب باحسن ولا أوجز من جوابه.

وهنا وجه ثالث لتكنيتها بأُمّ أبيها، وهو أنّ بقاء شريعة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وسننه عن أهواء الظالمين المتسلّطين من بني أُميّة والعبّاسيّين إنّما كان بمجاهدات أولاد فاطمة وتضحياتهم، كما يظهر بمراجعة تواريخهم لاسيّما شبلاها الكريمان، فهذا الحسن بن علي (عليهما السّلام) قد هضم نفسه وكظم غيظة عن معاوية، فصالحه بشروط نافعة للاسلام والمسلمين، ثمّ بحلمه وسودده تجرّع منه الغصص العظيمة ليحمله على الإيفاء بشروطه في الجملة. وهذا الحسين بن علي (عليهما السّلام) لم يبايع معاوية(١) بابائه وحشمته لئلاّ يلتزم له بالسكوت عمّا يفعله ويريده من الجرائم والفجايع وقتل الصالحين أمثال حجر بن عدي، ثمّ عارض بعده يزيد اللعين بنفسه وأهليه وأصحابه، فبذلوا دمائهم في سبيل اللّه، ونعم ما قال الشاعر الشريف السيد جعفر الحلّي (رحمه اللّه) في قصيدة غرّاء مطبوعة في كتاب رياض المدح والرثاء.

---

(١) روى ابن شهرآشوب في مناقبه أنّ معاوية طلب البيعة من الحسين (عليه السّلام) فقال الإمام الحسن: يا معاوية لاتكرهه فإنّه لن يبايع أبداً أو يقتل، ولن يقتل حتّى يقتل أهل بيته، ولن يقتل أهل بيته حتّى يقتل أهل الشام، قلت: وهذا معنى ما ورد في بعض التواريخ كالإمامة والسياسة لابن قتيبة من أنّ الإمام الحسين (عليه السّلام) قال: إنّها بيعة كنت لها كارهاً أي تاركاً لها لكراهية الضيم عنده. وأمّا ما زعم بعض المؤرّخين من أنّه (عليه السّلام) كان منكراً لأصل مصالحة أخيه الحسن (عليه السّلام) فغير صحيح وحاشا ريحانة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وسيّد شباب أهل الجنة أن يخالف الإمام الحقّ القائم مقام أبيه فيما رآه صلاحاً للمسلمين لأجل الضرورة القاضية، وقد أدّى حق الكلام في ذلك الشيخ باقر شريف القرشي في الجزء الثاني من كتابه حياة الإمام الحسن (عليه السّلام).

يوم بحامية الإسلام قد نهضت ... له حميّة دين اللّه إذ تركا
رأى بان سبيل الغيّ متّبع ... والرشد لم تدر قوم ايّة سلكا
والناس عادت اليهم جاهليّتم ... كان من شرّع الإسلام قد افكا
وقد تحكّم بالإسلام طاغية ... يمسي ويصبح بالفحشاء منهمكا
لم أدر أين رجال المسلمين مضوا ... وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره ... ومن خساسة طبع يعصر الودكا
قدأصبح الدّين منه يشتكي سقماً ... وما الى أحد غير الحسين شكا
فمارأى السبط للدين الحنيف شفا ... إلاّ إذا دمه في كربلا سفكا
وما سمعنا عليلاً لاعلاج له ... إلاّ بنفس مداويه إذا هلكا
بقتله فاح للإسلام نشر هدى ... فكلّما ذكرته المسلمون ذكا الخ

تذنيب للكلام: المستَفاد من آثار أهل البيت (عليهم السّلام) إستحباب تسمية البنت بفاطمة وإكرام المسماة بها، ففي الحديث[1] عن أبي الحسن (عليه السّلام) قال لايدخل الفقر بيتاً فيه إسم محمّد، أو أحمد، أو علي، أو الحسن، أو الحسين، أو جعفر، أو طالب، أو عبداللّه، أو فاطمة من النساء. وعن السكوني[2] قال: دخلت على أبي عبداللّه (عليه السّلام) وأنا مغموم مكروب، فقال لي: يا سكوني ممّا غمّك؟ فقلت: ولدت لي إبنة، فقال: ياسكوني الأرض تقلّها وعلى اللّه رزقها، تعيش في غير أجلك، وتأكل من غير رزقك، قال سكوني: فسري[3] عنّي، فقال لي: ماسمّيتها؟ قلت: فاطمة، قال: آه آه ثمّ وضع يده على جبهته، فقال: قال رسول اللّه

---

(١) الوافي باب الأسماء والكُنى من كتاب النكاح.
(٢) باب تأديب الولد من الوافي كتاب النكاح.
(٣) أي انكشف الغمّ عنّي.

(صلى اللّه عليه وآله): حق الولد على والده اذا كان ذكراً أن يستفره[١] اُمّه ويستحسن إسمه ويعلمه كتاب اللّه ويطهّره[٢] ويعلّمه السباحة، وان كانت اُنثى أن يستفره اُمّها ويستحسن اسمها ويعلّمها سورة النور، ولايعلّمها سورة يوسف ولاينزلها الغرف، ويعجّل سراحها الى بيت زوجها. أما اذا سمّيتها فاطمة، فلاتسبّها ولاتلعنها ولاتضربها.

الباب السادس: النموّ والكفالة والتربية

قال اللّه تعالى في شأن مريم: «فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريّا كُلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً»[٣] فهذه كلها من كرامات اللّه العظيمة لمريم، وبهذه الكرامات فضّلها على نساء العالمين. فقوله: «وأنبتها نباتاً حسناً» يدلّ على أنّها كانت تنمو وتشبّ بعناية خاصّة إلهيّة أحسن ممّا قدّره اللّه تعالى لغيرها في الطبيعة البشريّة نظير ما ورد[٤] في شأن إبراهيم الخليل (عليه السّلام) انّ اللّه تعالى جعله يشبّ في اليوم كما يشبّ غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة كما يشبّ غيره

---

(١) أي يستكرمها.

(٢) أي يختنه، ففي الحديث اختنوا أولادكم يوم السابع يطهروا ويشهد له مقابلته للاُنثى. والسباحة بالباء الموحّدة الغوص قوله ولاينزلها الغرف أي لايجعل الغرفة منزلاً ومسكناً لها وكانّه لئلاّ تترائى للرجال ولاتطلع عليهم.

(٣) يأتي في أوّل الباب الثامن شرح لهذه الآية.

(٤) كما في روضة الكافي في قصّة ولادة ابراهيم، ورواه في البحار الجزء ١٢ باب قصص ولادته (عليه السّلام) عن كمال الدين.

في الشهر، ويشبّ في الشهر كما يشبّ غيره في السنة. وورد[١] في شأن نبيّنا (صلى اللّه عليه وآله) أيضاً كذلك، فهذه الكرامة الإلهيّة تمثّلت في الإسلام لبضعة نبيّه، فقد تقدّم في باب كيفيّة ولادتها أنّها كانت تنمي في اليوم كما ينمي الصبيّ في الشهر وتنمي في الشهر، كما ينمي الصبيّ في السنة.

وفي خبر آخر[٢]: لم تزل فاطمة تشبّ في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر، وفي الشهر كالسنة. ولايخفى أنّ التقدير المذكور في الخبرين تقريبيّ، فلايقدح الاختلاف المترائى منهما في مقداره.

وأمّا قوله تعالى: «وكفّلها زكريّا» فمعناه أنّ اللّه تعالى صيّر زكريّا النبي (عليه السّلام) كفيلاً لها، وذلك بعدما اختلفوا بينهم في كفالتها فاقرعوا لها كما قال اللّه تعالى: «وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم» فأخرج اللّه القرعة لزكريّا النبيّ (عليه السّلام) كرامة لمريم، فانّ كفالة الصبي اذا كانت لعبد صالح مخلص، فهي تفضّل من اللّه تعالى للصبيّ، وقد كانت كفالة الزهراء «سلام اللّه عليها» خاصّة بأشرف أنبياء اللّه وأفضلهم حينما كان ينزل عليه الوحي من اللّه تعالى، فكان يربّيها برفق ورأفة ورحمة الى ما يرضاه ويريده من التبتّل إليه ومكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، ويزيد على ذلك أنّها ولدت من خديجة التي هي أفضل النساء في زمانها وأطهرهن وأكرمهن عند اللّه، فطبعاً كانت تهتمّ بشؤون بنتها من التربية لها وتأديبها بالمحاسن النسائيّة من حسن التبعّل وتدبير البيت

---

(١) باب تاريخ ولادة النبي (صلى اللّه عليه وآله) من البحار الجزء ١٥.

(٢) يأتي الإشارة إليه في التعليقة التالية.

وتربية الأولاد، ولذلك روي[١] عن أُمّ سلمة أنّها قالت: تزوّجني رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بعدما دخل المدينة، وفوّض أمر إبنته اليّ فكنت اؤدّبها وكانت واللّه آأدب منّي وأعرف بالأشياء كلها.

وأمّا قوله تعالى «كُلمّا دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنّى لك هذا قالت هو من عند اللّه انّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب» فقد ثبت مثله لفاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) كما ورد مستفيضاً في أخبار العامّة والخاصّة وكان ذلك لها مكرّراً.

فروى الزمخشري في كشّافه عن النبيّ (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أنّه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة (رضي اللّه عنها) رغيفين وبضعة لحم آثرته بها، فرجع بها إليها وقال: هلمّي يابنيّة، فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوّة خبزاً ولحماً، فبهتت وعلمت أنّها نزلت من عند اللّه، فقال لها: أنّى لك هذا فقالت: هو من عند اللّه انّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب، فقال (عليه الصلاة والسّلام) الحمد للّه الذي جعلك شبيهة سيّدة نساء بني إسرائيل، ثمّ جمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) علياً والحسن والحسين وجميع أهل بيته، فأكلوا حتّى شبعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها.

وهذا الخبر رواه الخوارزمي أيضاً في مقتله بإسناده عن جابر بن عبداللّه بزيادة في أوّله، ورواه ابن شهرآشوب عن تفسير الثعلبي عن جابر بإختصار، وروى العيّاشي في تفسيره عندالآيةعن الإمام الباقر(عليه السّلام)

---

(١) في البحار في الباب الأوّل من الجزء ٤٣ عن دلائل الإمامة بإسناده عن ابن عبّاس، والموجود في بعض نسخ البحار أدأب مني بتقديم الدال على الهمزة الثانية، لكنّ المحكيّ عن بعضها تقديم الهمزتين، وهو الأصح الأنسب بالمقام.

قال: انّ فاطمة ضمنت لعلي (عليه السّلام) عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها علي ما كان خلف الباب من نقل الحطب والطعام، فقال لها يوماً: هل عندك شيء؟ قالت: لا ما كان عندنا ثلاثة أيّام شيء نقريك به، قال: أفلا أخبرتني قالت: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) نهاني أن أسألك شيئاً، فخرج (عليه السّلام) فاستقرض ديناراً فلقى مقداداً فقال له: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال المقداد: الجوع، فقال (عليه السّلام): فهو أخرجني وقد أستقرضت ديناراً وأُوثرك به، فأقبل فوجد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) جالساً وفاطمة تصلّي وبينهما شيء مغطّى، فلما فرغت أحضرت ذلك الشيء فاذا جفنة من خبز ولحم، قال: يا فاطمة أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند اللّه انّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ألا أُحدّثك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى، قال: مثل زكريّا الحديث. وقد روى هذا الخبر في ذخائر العقبى وفي البحار باب مناقبهاعن تفسيرفرات وكشف الغمة عن أبي سعيد الخدري مرسلاً،وعن أمالي الطوسي عنه بإسناده،وفي كلّ منهاتفصيل زائد.

وروى الخوارزمي في مقتله حديثاً طويلاً بإسناده عن ابن عبّاس في قضيّة اعرابي، وفي آخره: انّ فاطمة صلّت ودعت بقولها إلهي أنزل علينا مائدة كما أنزلتها على بني إسرائيل، قال ابن عبّاس: فواللّه ما استتمّت الدعوة إلاّ وهي ترى جفنة من ورائها يفوح قتارها فأتت بها الى النبيّ وعلي والحسنين (عليهم السّلام) فقال لها علي: أنّى لك هذا؟ فقال له النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كل يا أباالحسن ولاتسأل الحمدللّه الذي لم يمتني حتّى رزقني ولداً مثلها مثل مريم بنت عمران كُلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً الآية. وروى في البحار باب مناقبها عن الكافي بإسناده عن الإمام الباقر (عليه السّلام) انّه قال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

لفاطمة: أخرجي تلك الصحفة فأخرجت صحفة فيها ثريد وعراق يفور، فأكل هو وعلي وفاطمة والحسنان ثلاثة عشر يوماً الحديث، وذكر في آخره أنّه أعطت فاطمة (عليها السّلام) شيئاً من الصحفة أُمّ أيمن فنفدت.

وقال ابن شهرآشوب في مناقبه فصل حليتها وتواريخها: انّ للزهراء (سلام اللّه عليها) من هذا الباب ما لاينكره مسلم من حديث المقداد وخبر الطائر والرمان والعنب والتفاح والسفرجل وغيرها، وذلك ممّا يقطع على أنّها كانت تأكل ما لم يكن لغيرها من جميع الخلق بعد هبوط آدم وحوا (عليهما السّلام) ثمّ ذكر حديثاً في ذلك يشبه آخر ما مرّ من حديث المقداد، والحمد للّه رب العالمين.

الباب السابع: منزلتها عند النبي (صلى اللّه عليه وآله) وحُبّه لها

من الأخلاق الكريمة والكمالات الإنسانيّة أن يُحبّ الإنسان أولاده وأحفاده ذكوراً واناثاً صغاراً وكباراً، وهذا وان كان أمراً فطرياً جبلت عليه غريزة الإنسان بل غرائز الحيوان، لكن ندب الشارع أيضاً عباده اليه، وحثّهم عليه ليزدادوا بذلك حُبّاً لأولادهم ولايندفعوا عنه بأهوائهم.

ففي الحديث[1] عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: انّ اللّه تعالى ليرحم العبد لشدّة حُبّه لولده. وقال أيضاً: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه

(١) الوافي باب تأديب الولد وبرّه من كتاب النكاح، وكذا الأخبار الآتية، ورواها في الوسائل في أبواب أحكام الأولاد من كتاب النكاح.

وآله وسلّم): أحبّوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم فانّهم لايرون إلاّ أنّكم ترزقونهم. وقال أيضاً: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): من قبّل ولده كتب اللّه له حسنة، ومن فرّحه فرّحه اللّه يوم القيامة، الى غير ذلك من النصوص الكثيرة.

أضف الى ذلك أنّ الولد من نعم اللّه على عبده ومواهبه لديه بنصّ قوله تعالى: «يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور» ولازم شكره أن يحبّهم للّه تعالى، ولذلك كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يحبّ كثيراً أولاده وأحفاده الذكور والاناث، فكان يضمّهم ويقبّلهم ويحزن لمصابهم ويبكي لموتهم، كما ورد أنّه لمّا مات إبنه إبراهيم وهو ابن جاريته القبطيّة، وكان له من العمر ثمانية عشر شهراً حزن عليه شديداً وهملت عيناه بالدموع وقال: تدمع العين ويحزن القلب ولانقول ما يسخط الرب وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون.

لكن من المعلوم أنّ شأنه (صلى اللّه عليه وآله) مع الزهراء وأولادها كان أعظم من ذلك وأجلّ بحيث قد زاد عن الوصف والبيان بل يتعجّب منه الانسان، كما دلّت على ذلك نصوص كثيرة خارجة عن الإحصاء في هذه الرسالة.

فمنها: قوله (صلى اللّه عليه وآله): فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني، أو فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني، أو فاطمة بضعة منّي من سرّها فقد سرّني ومن سائها فقد سائني. ونحو ذلك من التعبيرات[1] المختلفة المتقاربة في المعنى، وفي بعضها: فاطمة شجنة منّي أو مضغة مني،

---

(١) أورد جملة من ألفاظ الحديث في البحار باب مناقبها وأوردها شيخنا الأميني (عليه الرحمة) في كتاب الغدير عن كتب العامّة في الجزء ٧.

فقد ثبت ذلك عنه (صلى اللّه عليه وآله) بأسانيد مستفيضة من طرق الشيعة والسنّة، كما يأتي تفصيله في هذا الباب في الفائدة الثانية.

وروى الصدوق (عليه الرحمة) في الأمالي(١) بإسناده عن ابن عبّاس عن النبيّ (صلى اللّه عليه وآله) قال في حديث: وأمّا ابنتي فاطمة فانّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني وثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الانسيّة.

وروى ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمّة(٢) أنّه خرج النبي (صلى اللّه عليه وآله) وهو آخذ بيد فاطمة، فقال: من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهي بضعة منّي، وهي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه.

وفي الخبر(٣) أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) كان لاينام حتّى يقبّل عرض وجه فاطمة ويضع وجهه بين ثدييها ويدعو لها. وكان (صلى اللّه عليه وآله)(٤) اذا دخلت عليه فاطمة رحّب بها وقبّل يديها وأجلسها في

---

(١) في المجلس ٢٤ ورواه عنه في البحار باب ما وقع عليها من الظلم.

(٢) رواه عن مجاهد ورواه أيضاً في كشف الغمة عن كتاب أخبار فاطمة للصدوق وكتاب أبي اسحاق الثعلبي، ورواه في البحار عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان الحلي عن تفسير الثعلبي بإسناده عن مجاهد.

(٣) رواه ابن شهرآشوب في مناقبه عن الإمام الباقر والصادق (عليهما السّلام) ونحوه في كشف الغمّة عن حذيفة والإمام الصادق (عليه السّلام) كما رواه في البحار في باب مناقبها عن مصباح الأنوار عنهما، وفي مقتل الخوارزمي في فصله الخامس بإسناده عن حذيفة.

(٤) رواه في البحار عن أمالي الطوسي بالإسناد عن عائشة ونحوه في مستدرك الحاكم ج٣ ص١٥٤و١٦٠ لكن المذكور فيه أنّها كانت اذا دخلت عليه قام إليها فقبّلها ←

مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به وقبّلت يديه. وإذا أراد سفراً[١] كان آخر من يسلّم عليه فاطمة، فيكون وجهه الى سفره من بيتها واذا رجع بدأ بها.

وروي[٢] أيضاً أنّه إذا رجع من غزاة أو سفر أتى المسجد فصلّى فيه

← ورحب بها الخ. قال الحاكم في كلا الموضعين: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقرّبه الذهبي في تلخيصه، ورواه الترمذي في جامعه في باب ما جاء في فضل فاطمة، وأبو داود في سننه باب ما جاء في القيام من كتاب الأدب، ورواه في ذخائر العقبى عن النسائي وأبي حاتم، وفي فضائل الخمسة عن البخاري في الأدب المفرد والاستعياب وسنن البيهقي.

(١) رواه الحسن بن الفضل الطبرسي في مكارم الأخلاق في آخر الباب الخامس منه عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام)، والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٥٦ عن عبدالله بن عمر بطريقين وزاد في أحدهما أنّه قال النبي (صلى اللّه عليه وآله) لها: فداك أبي وأُمّي، ورواه أبو داود في سننه في آخر كتاب الترجّل، وابن حنبل في مسنده ج٥ ص٢٧٥ بإسنادهما عن ثوبان مولى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ورواه في البحار في باب مناقبها وباب سيرها ومكارمها عن كشف الغمّة ومناقب ابن شهرآشوب بطرق أهل السنّة عن ثوبان وعبداللّه بن عمر وأبي هريرة وابن عبّاس، وحكى فيه عن ابن شهرآشوب أنّه لو لم يكن لها عنداللّه فضل عظيم لم يكن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يفعل معها ذلك إذ كانت هي ولده وقد أمر اللّه تعالى بتعظيم الولد للوالد فلايجوز أن يفعل هو ضدّ ما أمر به اُمّته عن اللّه تعالى.

(٢) رواه في المستدرك ج٣ ص١٥٥ بإسناده عن أبي ثعلبة الخشني قال الحاكم بعد روايته: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه في مجمع الزوائد الجزء٨ ص٢٦٢ عن الطبراني، وروى ابن شهرآشوب في مناقبه عن أبي ثعلبة الخشني أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إذا قدم من سفره يدخل على فاطمة، فدخل عليها فقامت إليه واعتنقته وقبّلت بين عينيه، ولايخفى أنّ أبا ثعلبة الخشنى صحابيّ معروف بكنيته وفي اسمه اختلاف كثير.

ركعتين ثمّ ثنّى بفاطمة (رضي اللّه عنها) ثمّ يأتي أزواجه، فلمّا رجع من سفر وخرج من المسجد تلقته فاطمة عند باب البيت تلثم فاه وعينيه وتبكي فقال لها: يابنيّة ما يبكيك؟ فقالت: يا رسول اللّه أراك شعثاً نصباً قد اخلولقت ثيابك، فقال: لاتبكي فانّ اللّه (عزّوجلّ) بعث أباك لأمر لايبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولاشعر إلاّ أدخل اللّه به عزّاً أو ذلاً حتّى يبلغ حيث بلغ الليل.

وروى الصدوق(١) (عليه الرحمة) بإسناده عن ابن عبّاس أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) فقال: اللهمّ انّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ، فاحبب من أحبّهم وأبغض من أبغضهم ووال من والاهم وعاد من عاداهم وأعن من أعانهم واجعلهم مطهّرين من كلّ رجس معصومين من كُلّ ذنب وأيّدهم بروح القدس، الى أن قال: ثمّ التفت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الى علي فقال: انّ فاطمة بضعة منّي وهي نور عيني وثمرة فؤادي يسوئني ما سائها ويسرّني ما سرّها، وانّها أوّل من يلحقني من أهل بيتي فاحسن إليها بعدي، وأمّا الحسن والحسين فهما ابناي وريحانتاي وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، فليكرما عليك كسمعك وبصرك، ثمّ رفع (صلّى اللّه عليه وآله) يده الى السماء، فقال: اللهمّ انّي اشهدك انّي محبّ لمن أحبّهم ومبغض لمن أبغضهم وسلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم وعدوّ لمن عاداهم ووليّ لمن والاهم.

---

(١) رواه في الأمالي في المجلس٧٣عن أحمدبن زياد بن جعفرالهمداني عن علي بن ابراهيم بن هاشم عن جعفر بن سلمة الأهوازي عن إبراهيم بن محمّد الثقفي عن ابراهيم بن موسى ابن أُخت الواقدي عن أبي قتادة الحراني عن عبدالرحمن بن العلاء الحضرمي عن سعيد بن المسيّب عن ابن عبّاس، ورواه في البحار عن الأمالي في باب مناقبها.

وروى أيضاً[١] بإسناده عنه أنّه قال: قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): انّ عليّاً وصيّي وخليفتي وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين إبنتي والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ولداي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن ناوأهم فقد ناوأني، ومن جفاهم فقد جفاني، ومن برّهم فقد برّني، وصل اللّه من وصلهم، وقطع اللّه من قطعهم، ونصر اللّه من أعانهم، وخذل اللّه من خذلهم، اللهم من كان له من أنبيائك ورسلك ثقل وأهل بيت فعلي وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

الى غير ذلك من النصوص الكثيرة، وهي مبثوثة في أبواب أحوالهم وفضائلهم من كتب الخاصّة والعامّة[٢] لاسيّما بحار الأنوار في باب مناقب أهل الكساء من الجزء ٣٧ وباب مناقب الزهراء وسيرها ومكارمها وتزويجها من الجزء ٤٣ فمن راجعها وجدها فوق حدّ التواتر المعنوي، وانّه لامجال للارتياب فيها.

وممّا ورد في هذا الباب قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) لعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام): أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم، فقد ورد ذلك عنه (صلى اللّه عليه وآله) بعدّة أسانيد من طرق الخاصّة والعامّة عن جماعة من الصحابة منهم علي (عليه السّلام) كما رواه

---

(١) رواه في كتاب الفقيه في الباب الأوّل من أبواب الوصيّة، وفي باب النوادر من آخر الكتاب، ورواه أيضاً في الأمالي في المجلس٧٢.

(٢) كذخائر العقبى وما أورده عنهم في كتاب فضائل الخمسة للعالم الجليل السيّد مرتضى الفيروزآبادي اليزدي نجل المجتهد الكبير السيّد محمّد الفيروزآبادي صاحب التعليقة على العروة الوثقى فقد جمع فيه أحاديث كثيرة في فضائلهم من الصحاح الستّة وغيرها بدقّة واتقان وتتبّع كثير وترتيب حسن.

الصدوق (عليه الرحمة) في معاني الأخبار(١) بإسناده عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جده (عليهم السّلام) في حديث، ورواه الشيخ الطوسي (عليه الرحمة) في الأمالي(٢) بإسناده عن عبداللّه بن يحيى الحضرمي عن علي (عليه السّلام) في حديث آخر.

ومنهم: عبداللّه بن عبّاس، كما في الحديث المتقدّم آنفاً.

ومنهم: زيد بن أرقم، كما رواه في البحار في مناقب أصحاب الكساء عن جماعة عنه، ورواه الترمذي في جامعه باب فضل فاطمة، والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٤٩ وابن ماجة في مقدّمة سننه في فضل الحسن والحسين (عليهما السّلام) لكنّ اللفظ المذكور في أكثر ذلك أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم ومعناهما واحد.

ومنهم: أبو هريرة كما في مسند ابن حنبل ج٢ ص٤٤٢ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٤٩.

ومنهم: أبو سعيد الخدري (رضي اللّه عنه) رواه السيوطي في الدرّ المنثور في تفسير آية التطهير، فيما يأتي انشاء اللّه تعالى عند البحث عن تفسيرها حيث قال في آخره انا حرب لمن حاربتم انا سلم لمن سالمتم.

ومنهم: جابر بن عبداللّه الأنصاري، كما في كتاب الإختصاص المنسوب الى الشيخ المفيد (رحمه اللّه تعالى) فيما رواه بإسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) عن جابر في حديث فضل سلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمّار، ورواه في البحار عن الإختصاص في الباب المتقدّم ذكره.

(١) في باب معانى أسماء محمّد وعلي وفاطمة (عليهم السّلام) ورواه عنه في البحار في باب مناقب أصحاب الكساء.

(٢) ج٢ ص١٢٦ طبعة النجف، ورواه عنه في البحار في كتاب الفتن باب إخبار اللّه تعالى نبيّه وإخبار النبيّ (صلى اللّه عليه وآله) بما يجري على أهل بيته.

ومنهم: أُمّ سلمة (رضي اللّه عنها) كما في ذخائر العقبى في ضمن حديث الكساء، ونحوه في الصواعق في ذيل آية التطهير من الباب الحادي عشر، فيستفاد من ذلك كلّه أنّه لاريب في صحة الحديث واستفاضته، وإنّما العجب العجاب ممّن يرى هذا الحديث من أهل السنة ومعذلك يعتقد بعدالة من حارب علياً (عليه السّلام) من الصحابة، كطلحة والزبير ومعاوية وابن العاص، مع أنّ مقتضى التدبّر في الحديث أن يعدّ محاربته كفراً، لانّها بمقتضاه في حكم محاربة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وهي كفر صريح بلاإشكال، وقد أدّى شيخنا المفيد في كتابه الإفصاح حقّ المقام والتفصيل بإقامة الدليل والردّ على شبه المخالفين.

ثمّ لايخفى أنّ هذا النحو من الحبّ الغزير والاكرام الكثير والصلة المفرطة الخارجة عن اقتضاءِ الطبيعة البشريّة ليس منشأها محض الولادة والقرابة الظاهرية؛ اذ ليس هذا موجباً لهذا الحدّ من العلاقة في متعارف الناس، ولأنّه كانت للنبي (صلى اللّه عليه وآله) بنات أُخرى لم يظهر منه لواحدة منهنّ ما ظهر منه لفاطمة، فلامحالة كان منشأها السنخيّة الخاصّة في خصائص الخلقة الروحيّة والجسميّة، وفي الكمالات والفضائل المعنويّة والاخلاقيّة، كما تقدّم في الباب الأول أنه (صلى اللّه عليه وآله) كان يكثر تقبيلها حتّى بعد تزويجها، وهذا أمر خارج عن متعارف الناس، فلما أنكرت عليه عائشة قال: لما أُسري بي الى السماء أكلت من ثمار الجنّة فخلق اللّه منها فاطمة، فكلّما اشتقت الى رائحة الجنّة شممتها، كما تقدّم في الباب الثاني أيضاً كراماتها في الأرواح: «ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه واسع عليم».

تذييل: فيه فوائد مهمّة:

الاولى: أنّ الحب الغزير اذا خرج عن حدّ العادة المتعارفة كان في

غالب الناس موجباً للتعدّي عن محض الحق والصفح عن المواساة وصرف الهوى نحو المحبوب، فانّ من عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه إلاّ من عصمه اللّه بمنّه وفضله، لكن ما ذكر من حبّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) لابنته وأولادها لما كان للّه ومن اللّه تعالى كان موجباً لصرفهم الى اللّه وقطعهم عن ملاذّ الدّنيا وتحمّل المشاق وتوجيههم الى مواساة الفقراء بالبرّ والإحسان وان لم يكن على الوجوب والإلزام، فقد ورد[١] أنّ النبيّ (صلى اللّه عليه وآله) خرج مرّة في سفر، فصنعت فاطمة (سلام اللّه عليها) مسكتين[٢] من ورق وقلادة وقرطين وستراً على باب البيت لقدوم أبيها وزوجها، فلمّا قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) دخل عليها فخرج وقد عرف الغضب في وجهه، فظنّت فاطمة أنّه إنّما فعل ذلك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعتها وبعثت الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ليجعلها في سبيل اللّه، فلمّا اتاه قال: فعلت فداها أبوها ثلاث مرّات ليست الدنيا من محمّد ولا من آل محمّد، ولو كانت الدنيا تعدل عند اللّه من الخير جناح بعوضة ما سقى منها

(١) رواه الصدوق (عليه الرحمة) في الأمالي بإسناده عن محمّد بن قيس، ونحوه في مكارم الأخلاق عن الباقر (عليه السّلام) في ذيل الحديث المتقدّم آنفاً، وذكر فيه السوارين وستر الباب فقط، وانّ ذلك إنّما صنعتها من غنيمة أصابها علي (عليه السّلام) فكان دفعها إليها، وانّه بعد ما دفعتها الى النبي (صلى اللّه عليه وآله) جعلها قطعاً وقسّمها بين أهل الصفّة حيث لم يكن لهم منازل ولا أموال ولاثوب يستترون به، ونحوهما في سنن أبي داود ومسند أحمد في ذيل ما تقدّم عنهما من حديث ثوبان، ورواه في البحار عن أمالي الصدوق في باب مناقبها، وعن مكارم الأخلاق في باب سيرها ومكارم أخلاقها.

(٢) المسكة بالتحريك هو السوار والخلخال.

كافراً شربة ماء.

وفي خبر آخر(١) أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) دخل على ابنته فاطمة، فرأى في عنقها قلادة، فأعرض عنها فقطعتها ورمت بها، فقال لها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): أنتِ منّي يا فاطمة، ثمّ جاء سائل فناولته القلادة.

وروى الصدوق (عليه الرحمة) في كتابه العيون بأسانيده الثلاثة عن الإمام الرضا (عليه السّلام) عن علي بن الحسين (عليهما السّلام) عن أسماء بنت عميس قالت: كنت عند فاطمة (عليها السّلام فدخل عليها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وفي عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها علي بن أبي طالب من فيء فقال لها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): يا فاطمة لايقول الناس انّ فاطمة بنت محمّد تلبس لبس الجبابرة، فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فاعتقتها، فسرّ بذلك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ونحوه في مستدرك الحاكم ج٣ ص١٥٢ و١٥٣ بإسناده عن ثوبان وقال في كلا الموضعين: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وورد أيضاً(٢) في عدّة أخبار أنّ فاطمة (عليها السّلام) كانت

---

(١) رواه في مكارم الأخلاق بعد الحديث المتقدّم مرسلاً عن الامام الكاظم (عليه السّلام) ورواه الصدوق في أماليه بإسناده عنه (عليه السّلام) عن آبائه عن علي (عليه السّلام) وزاد في آخره أنّ النبيّ (صلى اللّه عليه وآله) قال: اشتدّ غضب اللّه وغضبي على من أهرق دمي وآذاني في عترتي، ورواه في البحار عن مكارم الأخلاق، ومناقب ابن شهرآشوب عن علي (عليه السّلام) في باب سيرها ومكارم أخلاقها، وعن الأمالي وكشف الغمة في باب مناقبها وفضائلها.

(٢) رواه الصدوق في كتاب الفقيه مرسلاً عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) وفي كتاب العلل بإسناده عن أبي الورد بن ثمامة عنه (عليه السّلام) كما في البحار باب سيرها ومكارمها، ورواه البخاري في باب مناقب علي (عليه السّلام) بإسناده عن ابن ←

تستقي[١] بالقربة في بيت زوجها حتّى أثّر في صدرها وتطحن بالرحى حتّى مجلت[٢] يداها، وتكسح البيت وتوقد النار حتّى اغبرّت ودكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرّ شديد، وقد أتى النبي (صلى اللّه عليه وآله) رقيق وخدم من الاسارى، فأرادت فاطمة أن تسأل أباها جارية تستعين بها لشؤونها فاستحيت، فجائها النبي (صلى اللّه عليه وآله) فذكر علي (عليه السّلام) حاجتها، فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله): اعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم اذا أخذتما منامكما فكبّرا[٣] أربعاً وثلاثين تكبيرة وسبّحا ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وأحمدا ثلاثاً وثلاثين تحميدة، فقالت فاطمة: رضيت عن اللّه ورسوله.

← أبي ليلى بإختصار واختلاف في بعض مضمونه، ونحوه عن صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء، ورواه أبو داود في سننه في باب التسبيح عند النوم من كتاب الأدب بإسنادين أحدهما مثل ما في البخاري، وثانيهما مثل ما في علل الصدوق مع اختصار في آخره، وما هو المذكور في المتن مأخوذ من جميع ذلك بتلخيص لعدم مدخليّة الزائد في المقصود.

(١) لعله كان استقائها من بئر بيتها، أو من الخارج حينما خرج علي (عليه السّلام) الى سفر، وذلك لأنّ المستفاد من سائر الأخبار أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) قضى لهما أن تكون خدمة ما دون الباب لفاطمة وما خلفه لعليّ (عليه السّلام).

(٢) قيل: أي ثخن جلدها وقيل: جرحت وصار تحت جلدها ماء أصفر يقال له بالفارسية آبله، وقوله دكنت أي تغيّرت بالدخان أو الرماد.

(٣) هذا الذكر هو المعروف بتسبيح الزهراء (سلام اللّه عليها) الذي ورد في فضائله وبركاته أخبار كثيرة سيّما في تعقيب الصلاة، لكنّها اختلفت في ترتيبها، ففي بعضها تأخير التكبير، وفي آخر تأخير التسبيح، والمسئلة محلّ كلام في بحث تعقيب الصلاة، وقال شيخنا البهائي (عليه الرحمة) في مفتاح الفلاح: اتّفق الأصحاب على الابتداء بالتكبير، واختلفوا في ترتيب الأخيرين، والمشهور الذي عليه العمل تقديم التحميد.

وروى ابن شهرآشوب في مناقبه أنّه لمّا ذكرت حالها لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بكى وقال: يافاطمة والذي بعثني بالحقّ أنّ في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام ولاثياب، ولولا خشيتي خصلة لاعطيتك ما سألت يا فاطمة انّي لاأُريد أن ينفكّ أجرك الى الجارية وانّي أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي اللّه (عزّوجلّ) اذا طلب حقّه منك، ثمّ علّمها صلاة التسبيح فقال أمير المؤمنين: مضيت تريدين من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الدنيا، فأعطانا اللّه ثواب الآخرة.

وروى أيضاً في المناقب عن تفسير الثعلبي عن جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) وعن تفسير القشيري عن جابر الأنصاري أنّه رأى النبي (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة وعليها كساء من اجلّة[1] الابل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقال: يا بتناه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول اللّه الحمد للّه على نعمائه والشكر للّه على آلائه، فانزل اللّه: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» ونحوه في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني عند هذه الآية بإسناده عن جعفر بن محمّد عن أبيه (عليهما السّلام) عن جابر، وفي الدرّ المنثور للسيوطي عن جماعة عنه.

أقول: لقد كان في وسع النبي (صلى اللّه عليه وآله) شرعاً وعرفاً وأخلاقاً أن يعطي ابنته الكريمة واحداً من تلك الرقيق والخدم اذ كانوا اُسارى من غنائم الفتح الإسلامي، وقد جعل اللّه تعالى خمسها حقّاً خالصاً لرسوله وذوي قرباه، على أنّ مثل ذلك كان من نوائبه وهو أولى بالمؤمنين

---

(١) كأنّه من الجلّ، وعن كنز العمّال من أوبار الإبل، وفي شواهد التنزيل من جلد الإبل.

من أنفسهم فكيف بأموالهم، فكان من حقّه شرعاً وعرفاً أن يخفّف بشيء منها عن كريمته بعض ما كانت فيه من ضيق العيش ومرارة الدنيا، وكذا كان في وسعه أن يأخذ لأولادها مرضعة من أهل المدينة، أو ممّن حولها باجرة، أو بلااجرة حيث أنّ الناس كانوا يتفاخرون بخدمة أهل بيت نبيّهم اذ كانوا أعزّ اليهم من أولادهم، كما فعلوا ذلك في حقّ ولده الآخر ابراهيم، فانّ أُمّه القبطيّة كانت قليلة اللبن فاخذوه منها لارضاعه كما ذكره المترجمون(١) في أحواله، لكن أراد بأبي هو وأُمّي أن تكون بضعته الطاهرة مثالاً كاملاً لشخصه العظيم في الزهد عن الدنيا وتحمّل مشاقّها ورفض ملاذّها، بل في كلّ ما يمكن أن تكون هي بشخصها الخاصّ مثالاً له من الاخلاص للّه تعالى والتبتّل اليه بالعبادة، كما يقتضيه قوله (صلى اللّه عليه وآله) لها في بعض الأخبار المتقدّمة أنت منّي، فانه ليس المراد بذلك تولدها منه لوضوحه وانتفاء الحكمة في بيانه، فلامحالة كان المراد به ما ذكرنا مضافاً الى كونه الظاهر من سياق هذا الخبر.

وأمّا ما هو المعروف من أنّه كانت لفاطمة خادمة اسمها فضّة قد وهبها النبي (صلى اللّه عليه وآله) لها، فهذا إنّما كان اخيراً بعد ما كثر أولادها وزادت كلفتها على ما قبل، وكثرت الفتوح والمغانم، وسلّط اللّه رسوله على من شاء من خيبر وبني قريظة وبني النضير وغيرهم، واسترسلت الدنيا للمسلمين، فارتفع الفقر والعناء عن أهل الصفّة وضعفاء المدينة، اذ كان الرسول (صلى اللّه عليه وآله) يعطيهم من تلك الأموال،

(١) روى في الاستيعاب وأُسد الغابة في أوائلهما في ترجمة ابراهيم عن الزبير بن بكار أنّه تنافست الأنصار فيمن يرضعه وأحبّوا أن يفرغوا أُمّه مارية للنبيّ (صلى اللّه عليه وآله) لما علموا من هواه فيها حتّى فوّضه النبي (صلى اللّه عليه وآله) الى أُمّ بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري، فكانت ترضعه بلبن إبنها...

فصاروا في سعة وفضل من اللّه، فمن سعة اللّه وفضله على المسلمين في ذاك الوقت وسّع النبي (صلى اللّه عليه وآله) أيضاً على ابنته، كما ورد[١] عنه أنّه قال: إنّ المؤمن يأخذ بأدب اللّه تعالى اذا وسّع اللّه عليه اتّسع واذا أمسك عنه أمسك.

كما أنّه (صلى اللّه عليه وآله) قد نحلها أيضاً فدكاً في ذاك الوقت عوضاً عمّا كان عليه من مهر اُمّها خديجة، على ما رواه الشيخ الجليل قطب الدين الراوندي في كتابه الخرائج[٢] وذلك لأنّه كان من أخلاقه الكريمة مكافأة كلّ من أحسن اليه أو أسدى اليه معروفاً ولو بعد حين، وهذا الخلق منه كان معروفاً في سيرته، وكان (صلى اللّه عليه وآله) مقيّداً بذلك مهتمّاً به حتّى أنّه ربّما كان[٣] يذكر لصاحبه أنّه مكافأة وجزاء، وربّما كانت مكافأته أجلّ من حقّ صاحبه بكثير، مثل ما صنعه[٤] لحسّان بن ثابت حيث أنّه كان بينه وبين صفوان بن المعطل منازعة في ضرب فسأل النبي (صلى اللّه عليه وآله) حسّاناً أن يهب له حقّه على صفوان ففعل، فعوّضه النبي (صلّى اللّه عليه وآله) منه أن وهب له حائطاً من نخل واُخت

---

(١) رواه في الكافي في باب كفاية العيال والتوسّع عليهم من كتاب الزكاة بإسناده عن الامام الصادق (عليه السّلام) عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

(٢) رواه في ضمن حديث فدك في الباب الأول من معجزات النبي (صلى اللّه عليه وآله) من أوائل الكتاب ورواه عنه وعن مناقب ابن شهرآشوب في البحار في كتاب الفتن باب نزول الآيات في أمر فدك.

(٣) في الإصابة في ترجمة أمامة بنت حمزة وسلمة بن أبي سلمة أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) زوّج أمامة من سلمة وقال حين زوّجها هل جزيت سلمة، وذلك لأن سلمة هو الذي زوّج اُمّها من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

(٤) ذكره في الإصابة في ترجمة سيرين من الجزء الرابع، وأشار إليه في ترجمة صفوان.

جاريته القبطيّة التي أهدتها إليه ملك مصر واسمها سيرين وكانت فارهة عديمة النظير، وغير ذلك[١] مما هو مذكور كثيراً في أحواله وتراجم أصحابه. وممّن أحسن اليه وكانت له حقوق عنده خديجة (رضي اللّه عنها) حيث أنّها واسته بنفسها ومالها، فلمّا تزوّج بها النبي (صلى اللّه عليه وآله) وكان مهرها عند العرب جليلاً في ذاك الوقت جعلت[٢] هي مهرها عليه في مالها إكراماً له ورغبة فيه، ثمّ بذلت له سائر أموالها لأجل الإسلام، فكان النبي (صلى اللّه عليه وآله) يكافىء صنايعها بعد وفاتها بما قدر عليه، فكان يذكرها كثيراً بالإستغفار لها وحسن الثناء عليها، ويكرم صدائقها اذا دخلن عليه، ويهدي اليهنّ الطعام، ووهب لابنتها العزيزة فدكاً عوضا عمّا أكرمته من جعل مهرها في مالها، وقد كان فدك ملكاً خالصاً له إذ سلّطه اللّه عليه ولم يوجف عليه بخيل ولاركاب فامتثل بهذه النحلة قول اللّه تعالى: «وآتِ ذا القُربى حقّه» كما ورد في أخبار الخاصّة والعامّة تفسير الآية بذلك[٣].

الفائدة الثانية: حديث فاطمة بضعة منّي... من الأحاديث المشهورة المستفيضة، وهو مروي عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بأسانيد كثيرة من طرق الشيعة والسنّة، وقد رواه جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي

---

(١) مثل ما رواه في الإستيعاب في ترجمة ابراهيم ابن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أنّه لما ولد بشّره أبو رافع بولادته فوهب له عبداً، وأنّه أعطى أُمّ بردة مرضعة إبراهيم قطعة من نخل.

(٢) كما روى ذلك في الكافي في باب خطب النكاح من كتاب النكاح.

(٣) رواه في تفسير البرهان والبحار في الباب المذكور آنفاً من كتاب الفتن وشواهد التنزيل والدرّ المنثور للسيوطي بأسانيد عن الإمام أبي الحسن الكاظم والرضا وجعفر بن محمّد (عليهم السّلام) وأبي سعيد الخدري وغيرهم.

طالب (عليه السّلام) كما رواه علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمّة[١] قال: كُنّا عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقال: أيّ شيء خير للنساء؟ فعيينا بذلك كُلّنا حتّى تفرّقنا، فرجعت الى فاطمة فأخبرتها الذي قال لنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وليس أحد منّا علمه ولاعرفه فقالت: ولكنّي أعرفه خير للنساء أن لايرين الرجال، ولايراهنّ الرجال فرجعت الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقلت: يا رسول اللّه سألتنا أيّ شيء خير للنساء وخير لهنّ أن لايرينّ الرجال ولايراهنّ الرجال قال: من أخبرك فلم تعلمه وأنت عندي؟ قلت: فاطمة، فاعجب ذلك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وقال: إنّ فاطمة بضعة منّي. ونحوه عن أبي نعيم في حليته عن سعيد بن المسيّب عن علي (عليه السّلام) وعن كنز العمّال عن الحسن البصري عنه (عليه السّلام) كما في كتاب فضائل الخمسة، ورواه الخوارزمي في مقتله بإسناده عن سعيد بن المسيّب إلاّ أنّه اختصر الحديث، وفي آخره إنّما فاطمة بضعة منّي ونحوه في مجمع الزوائد ج٩.

وروى في البحار[٢] عن نوادر الراوندي بإسناده عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عن عليّ (عليهم السّلام) قال: إستأذن أعمى على فاطمة فحجبته فقال لها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): لم حجبتيه وهو لايراك؟ فقالت: ان لم يكن يراني فإنّي أراه وهو يشمّ الريح، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): أشهد أنّك بضعة مني.

---

(١) في باب فضائل فاطمة، ورواه عنه في البحار في باب مناقبها، وفي الوسائل في كتاب النكاح باب استحباب حبس المرأة في بيتها

(٢) رواه وكذا الخبر التالي في آخر باب سيرها ومكارمها ج٤٣ وفي كتاب النكاح منه باب من يحلّ النظر إليه ومن لايحلّ ج١٠٤ وباب أحوال الرجال والنساء ج١٠٣ وقد أورد في مقدّمة البحار سند النوادر

وفيه أيضاً بهذا الاسناد قال سئل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أصحابه عن المرأة ما هي؟ قالوا عورة، قال: فمتى تكون أدنى من ربّها؟ فلم يدروا، فلمّا سمعت فاطمة (عليها السّلام) ذلك قالت: أدنى ما تكون من ربّها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): انّ فاطمة بضعة منّي ورواهما ابن المغازلي الشافعي في مناقبه بهذا الاسناد.

وفي كشف الغمة ومناقب الخوارزمي(١) عنه (عليه السلام) قال في حديث تزويجه بفاطمة: ثم صاح بي رسول الله (صلى الله عليه واله) يا علي فقلت: لبّيك يارسول اللّه، فقال: ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها، فانّ فاطمة بضعة منّي يؤلمها ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها، قال علي (عليه السّلام): فواللّه ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتّى قبضها اللّه (عزّوجلّ) ولا أغضبتني ولاعصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر اليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان... وقد تقدّم في حديث القلادة أنّه قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله) لفاطمة: أنت منّي، فانّ هذا أيضاً في معنى البضعة وهو مروي عن علي (عليه السّلام) كما مر في ذيله.

ومنهم: أنس بن مالك، حكاه في فضائل الخمسة عن أبي نعيم في حليته في حديث مثل الحديث المتقدّم آنفاً عنه عن سعيد بن المسيّب.

ومنهم: ابن عبّاس كما تقدّم في أوائل هذا الباب في حديثين عن أمالي الصدوق بإسناده عنه، وروى الصدوق (عليه الرحمة) أيضاً في معاني الأخبار(٢) باب معنى الشجنة بإسناده عن ابن عبّاس عن النبي (صلى اللّه

---

(١) رواه فيهما في باب تزويجه (عليه السّلام) بفاطمة، ورواه في البحار عن كشف الغمّة في باب تزويجها.

(٢) ص٣٠٣ من طبع مكتبة الصدوق، ورواه عنه في البحار في باب مناقبها.

عليه وآله) أنّه قال: انّ فاطمة شجنة منّي يؤذيني ما آذاها ويسرّني ما يسرّها، وانّ اللّه تعالى ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها. والشجنة مثلّثة الشين هو الغصن المشتبك أو العروق المشتبكة، كما في لسان العرب، ويظهر من موارد استعمالها في اللّغة أنّ الاتّصال والالتفاف مأخوذ في مادّتها، كما صرّح بذلك إبن فارس في معجم مقائيس اللغة.

ومنهم: سعد بن أبي وقّاص، كما في البحار في باب مناقبها عن مجالس المفيد وأمالي الطوسي بالإسناد، وعن مناقب ابن شهرآشوب مرسلاً عنه، ولفظه سمعت النبي (صلى اللّه عليه وآله) يقول: فاطمة بضعة منّي من سرّها فقد سرّني ومن سائها فقد سائني، فاطمة أعزّ البريّة عليّ.

ومنهم: جابر بن عبداللّه الأنصاري، كما في مناقب ابن شهرآشوب في باب حُبّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) إيّاها، والبحار في الجزء٣٦ باب نصوص الرسول على الأئمّة (عليهم السّلام) عن كتاب كفاية الأثر للعالم الجليل علي بن محمّد الخزّاز بإسناده عنه في حديث عند وفاة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ويأتي له حديث آخر عن جابر في بحث آية التطهير.

وروى الأربلي في كشف الغمّة عن جابر قال: دخلت فاطمة (عليها السّلام) على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وهو في سكرات الموت، فانكبّت عليه تبكي، ففتح عينه وأفاق، ثمّ قال (صلى اللّه عليه وآله): يابنيّ أنتِ المظلومة بعدي، وأنتِ المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني، ومن سرّك فقد سرّني، ومن برّك فقد برّني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني لأنّكِ منّي وأنا منكِ، وأنتِ بضعة منّي وروحي التي بين جنبيّ...

ومنهم: أبو ذرّ الغفاري (رضي اللّه عنه) كما في البحار عن كفاية

الأثر مسنداً في الجزء٣٦ الحديث١١٠ من الباب المذكور، وهو أيضاً كحديث جابر ذكره النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عند وفاته، وقد ورد فيهما أُمور لابدّ للمسلم من معرفتها.

ومنهم: عمرو بن حزم الأنصاري(١)، فروى الشيخ الطوسي (عليه الرحمة) في تلخيص الشافي أنّه لمّا ردّ عمر بن عبدالعزيز فدكاً على ولد فاطمة (رضي اللّه عنها) عاتبه جماعة على فعله، فقال لهم: انّكم جهلتم و علمت ونسيتم وذكرت، أنّ أبابكر(٢) بن محمّد بن عمرو بن حزم حدّثني عن أبيه عن جده أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: فاطمة بضعة مني يسخطني ما أسخطها ويرضيني ما أرضاها الى آخر ما قال.

وروى ابن حجر في الصواعق أنّه دخل عبداللّه بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط (عليه السّلام) على عمر بن عبدالعزيز وهو حديث السن وله وفرة، فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه فلامه قومه، فقال: انّ الثقة حدّثني حتّى كانّي أسمعه من في رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إنّما فاطمة بضعة منّي يسرّني ما سرّها، وأنا أعلم أن فاطمة (عليها السّلام) لو كانت حيّة لسرّها ما فعلت بابنها.

---

(١) صحابي شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي (صلى اللّه عليه وآله) على نجران، وروى عنه كتاباً كتبه له فيه الفرائض والزكاة والديات، وروى لمعاوية وعمرو بن العاص حديث يقتل عمّاراً الفئة الباغية، وقد كلّم معاوية بكلام شديد في أمر بيعته ليزيد لعنه اللّه روى عنه ابنه محمّد وغيره، ترجمه في اسد الغابة والإصابة وغيرهما.

(٢) ترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب، وذكر أنّ أبا بكر اسمه وانه من محدّثي أهل المدينة وثقاتهم، وكان من أهل العبادة والصلاة والعلم بالقضاء، وقد ولاّه عمر بن عبدالعزيز على المدينة، وكتب إليه أن يكتب له من العلم، ولم يكن بالمدينة أنصاري أمير غيره، روى عن جماعة منهم أبوه محمّد، وروى عنه جماعة.

وروى ابن شهرآشوب في المناقب أنّ سهل بن عبداللّه جاء الى عمر بن عبدالعزيز، فقال: انّ قومك يقولون انّك تؤثر عليهم ولد فاطمة، فقال عمر: سمعت الثقة من الصحابة أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: فاطمة بضعة منّي يرضيني ما أرضاها ويسخطني ما أسخطها، فواللّه انّي لحقيق أن أطلب رضا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولايخفى أنّ مراده بالثقة من الصحابة في هذا الخبر غير عمرو بن حزم المذكور في الخبر الأوّل، فانّه مات سنة خمسين أو أقل ولم يدركه عمر بن عبدالعزيز.

وروى الشيخ الثقة الجليل عبداللّه بن جعفر الحميري في كتابه قرب الاسناد عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) قال: لمّا ولى عمر بن عبدالعزيز أعطانا عطايا عظيمة، فدخل عليه أخوه وقال له: انّ بني اُميّة لاترضى عنك بان تفضل بني فاطمة عليهم، فقال: اُفضّلهم لانّي سمعت حتّى لا اُبالي أن أسمع أو لا أسمع أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كان يقول: انّ فاطمة شجنة منّي يسرّني ما أسرّها ويسوئني ما سائها، فأنا أبتغي سرور رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأتّقى مسائته. قوله حتّى لا اُبالي يعني سمعت ذلك كثيراً بحيث لا أحتاج أن أسمع بعد ذلك ولااُبالي أن لاأسمع، كما في البحار باب أحوال أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) من مجلّد تاريخه الجزء ٤٦ ومر معنى الشجنة آنفاً.

ومنهم: أبو بكر وعمر بن الخطّاب حين دخلا على فاطمة في مرضها باذن علي (عليه السّلام) لعيادتها والإعتذار منها، كما روى الصدوق (عليه الرحمة) في كتاب العلل[1] عن الإمام الصادق (عليه السّلام) في حديث

(١) الباب١٤٩ العلّة التي دفنت فاطمة بالليل بإسناده عن الامام الصادق (عليه السّلام) ورواه عنه في البحار باب ما وقع عليها من الظلم ج٤٣ ورواه أيضاً بإختصار عن كفاية الأثر في ذيل الحديث المشار إليه آنفاً عن جابر، ولكن أبهم فيه إسم الرجلين، فلم يصرّح باسمهما، ومثله في كتاب دلائل الامامة للطبري في خبر وفاتها.

طويل يأتي صدره قريباً أنّه بعد ما دخلا عليها وكانت عندها جماعة النساء قالت لهما: أنشدكما باللّه أتذكران أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) استخرجكما في جوف الليل لشيء كان من أمر عليّ (عليه السّلام) فقالا: اللهمّ نعم. فقالت: أنشدكما باللّه هل سمعتما النبي (صلى اللّه عليه وآله) يقول: فاطمة بضعة منّي وأنا منها من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي. قالا: اللهمّ نعم. فقالت: الحمد للّه الى آخر ما قالت في ايذائهما لها وعدم رضاها عنهما ونحوه في كتاب سليم بن قيس الكوفي في أواخره.

وروى ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة(١) أنّها قالت لهما: نشدتكما اللّه ألم تسمعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني، قال نعم سمعناه من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قالت: فانّي أُشهد اللّه وملائكته انّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، الى آخر ما جرى لأبي بكر من فزعه الشديد من قولها وبكائه واستقالة بيعته.

ومنهم: المسور بن مخرمة القرشي الزهري، وحديثه في ذلك هو المشهور بين العامّة في كتبهم، وقد رواه أصحاب الأصول الستّة(٢)

(١) في أوائله عندالكلام في بيعة علي (عليه السّلام) لأبي بكر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في أبواب مناقب فاطمة ومناقب قرابة النبي (صلى اللّه عليه وآله) وذكر أصهار النبي (صلى اللّه عليه وآله) من كتاب بدء الخلق، وفي باب ذبّ الرجل عن ابنته من كتاب النكاح، وباب ما ذكر من درع النبي (صلى اللّه عليه وآله) من كتاب الجهاد، ورواه مسلم بطرق وألفاظ مختلفة في باب فضائل فاطمة (عليها السّلام) من كتاب الفضائل، والترمذي في جامعه،والحاكم في مستدركه ←

وغيرهم عنه بطرق متعدّدة كما نشير إليها.

ومنهم: عبداللّه بن الزبير كما في جامع الترمذي ومستدرك الحاكم(١).

هذا ما وقفت عليه من أسماء من روى الحديث المذكور من الصحابة، ولعلّه يقف المتتبّع على رواية غيرهم أيضاً، فيثبت بذلك قطعاً صحّة الحديث واستفاضته، بل لايبعد دعوى تواتره كما يثبت به أيضاً أنّه قاله النبي (صلى اللّه عليه وآله) مكرّراً في وقائع مختلفة.

وينبغي الكلام هنا فيما تضمّنه حديث المسور في بعض طرقه(٢) وحديث عبداللّه بن الزبير من خطبة علي (عليه السّلام) لبنت أبي جهل اللعين على فاطمة (عليها السّلام) في حياة رسول اللّه(صلى اللّه عليه وآله).

فنقول: روى البخاري في باب ذكر أصهار النبي (صلى اللّه عليه وآله) ومسلم في باب فضائل فاطمة (عليها سلام اللّه) بإسنادهما عن المسور

← في باب ما جاء في فضل فاطمة، وابن ماجة في سننه باب الغيرة من كتاب النكاح، وأبو داود في باب ما يكره أن يجمع بين النساء، والنسائي في خصائصه، وابن حنبل في مسنده في أحاديث المسور، والخوارزمي في مقتله وغيرهم.

(١) رواه فيهما في باب مناقب فاطمة (عليها سلام اللّه) من كتاب الفضائل.

(٢) وفي طريق آخر روى عنه مجرد قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني أو نحوه، كما في البخاري ومسلم باب مناقب فاطمة، وفي طريق ثالث أنّ الحسن بن الحسن المثنّى خطب الى المسور بنته فرده معتذراً بانّه قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة بضعة منّي... وان عندك من بناتها ولو زوّجتك لقبضها. رواه الحاكم في باب فضائل فاطمة من المستدرك ج٣ ص١٥٨ وابن حنبل في المسند في أحاديث المسور، وفي طريق رابع ما يأتي هنا من استيذان بني هشام أقرباء أبي جهل من النبي (صلى اللّه عليه وآله) أن ينكحوا بنته علياً (عليه السّلام).

قال: انّ عليّاً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة فاتت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقالت: يزعم قومك انك لاتغضب لبناتك، وهذا عليّ ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فسمعته حين تشهّد(١) يقول: أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدّثني وصدقني وانّ فاطمة بضعة مني وانّي أكره أن يسوئها، واللّه لاتجتمع بنت رسول اللّه وبنت عدوّ اللّه عند رجل واحد، فترك عليّ (عليه السّلام) الخطبة. وفي نقل آخر(٢) عنه أنه قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): انّ فاطمة منّي واني أتخوف أن تفتن في دينها، قال: ثمّ ذكر صهراً له من بني عبدشمس (يعني أبا العاص) فاثنى عليه في مصاهرته إيّاه فاحسن(٣) قال: حدّثني فصدقني ووعدني فاوفى لي، وانّي لست أُحرّم حلالاً ولا أُحلّ حراماً ولكن واللّه لاتجتمع بنت رسول اللّه وبنت عدوّ اللّه مكاناً واحداً.

وأما حديث عبداللّه بن الزبير فهو مختصر من هذا الحديث.

وهذه القضيّة منكرة ومكذوبة عند أهل العلم من الإماميّة، وقد ورد

---

(١) يعني بعد اتمام الصلاة، أو بعد قول الشهادة في أوّل كلامه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وفي لفظ آخر لمسلم فسمعته وهو يخطب الناس على منبره.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد باب ما ذكر من درع النبي (صلى اللّه عليه وآله) ومسلم في باب فضائل فاطمة (عليها السّلام) وأبو داود وابن ماجة في سننهما في الموضع المشار إليه آنفاً من كتاب النكاح.

(٣) يعني أحسن النبي (صلى اللّه عليه وآله) في ثنائه على أبي العاص، وكأنّه أراد الراوي أنّ ثنائه عليه كان أكثر ممّا رواه في هذا الحديث، وقوله وعدني فاوفى لي إشارة الى ما وقع له في بدر حيث أطلقه النبي (صلى اللّه عليه وآله) واشترط عليه أن يرد زوجته زينب بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الى المدينة ففعل، ولايخفى ما في ظاهر الخبر من التعريض بعلي (عليه السّلام) وانه على خلاف ذلك.

تكذيبها صريحاً في أخبار ائمّتهم، ففي أمالي الصدوق (عليه الرحمة)[١] بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال في حديث يا علقمة : انّ رضا الناس لايملك، وألسنتهم لاتضبط، وكيف تسلمون ممّا لم يسلم منه أنبياء اللّه ورسله وحجج اللّه، ألم ينسبوا يوسف (عليه السّلام) الى أنّه همّ بالزنا الى أن قال: ألم ينسبوا سيّد الأوصياء الى أنّه أراد أن يتزوّج إبنة أبي جهل على فاطمة (عليها السّلام) وانّ رسول اللّه شكاه على المنبر الى المسلمين فقال: انّ علياً يريد أن يتزوّج ابنة عدوّ اللّه على ابنة نبيّ اللّه الا انّ فاطمة بضعة منّي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن سرّها فقد سرّني، ومن غاظها فقد غاظني.

وروى الصدوق أيضاً في كتاب العلل[٢] عن الصادق (عليه السّلام) قال في حديث: جاء شقيّ من الاشقياء الى فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقال لها: أما علمت أنّ علياً قد خطب بنت أبي جهل فقالت: حقاً ما تقول؟ فقال: حقاً ما أقول ثلاث مرّات، فدخلها من الغيرة ما لا تمسك نفسها، وذلك أنّ اللّه تعالى كتب على النساء غيرة الى أن قال: ثمّ تحوّلت فاطمة الى حجرة أبيها، فجاء عليّ فدخل حجرته فلم يرَ فاطمة، فاشتدّ لذلك غمّه وعظم عليه ولم يعلم القصة ما هي، فاستحيى أن يدعوها من منزل أبيها، فخرج الى المسجد يصلّي فيه ما شاء اللّه، ثمّ جمع شيئاً من كثيب المسجد واتّكى عليه، فلمّا رأى النبي (صلى اللّه عليه وآله) ما بفاطمة

---

(١) رواه في المجلس ٢٢ عن أبيه عن علي بن محمّد بن قتيبة عن حمدان بن سليمان عن نوح بن شعيب عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن صالح بن عقبة عن علقمة بن محمّد الحضرمي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) ورواه في البحار عن الأمالي في باب العدالة من كتاب الإيمان والكفر الجزء ٧٠ ولايخفى أنّ سند الخبر قويّ.

(٢) في الباب المتقدّم ذكره آنفاً في حديث أبي بكر وعمر.

من الحزن دخل المسجد، فلم يزل يصلّي وكلّما صلّى ركعتين دعا اللّه أن يذهب ما بفاطمة من الحزن، فلما رأى أنّه لايهنئها النوم قال لها: قومي يا بنيّة فانتهى الى علي (عليه السّلام) وهو نائم، فقال: قم يا أبا تراب اُدع لي أبا بكر من داره وعمر من مجلسه وطلحة، فاستخرجهما واجتمعوا عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقال: يا علي أما علمت أنّ فاطمة بضعة منّي وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي قال علي: بلى يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: فما دعاك الى ما صنعت، فقال علي: والذي بعثك بالحقّ ما كان ممّا بلغها شيء ولا حدّثت بها نفسي، فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله): صدقت وصدقت ففرحت فاطمة. الخبر وهو طويل أخذنا موضع الحاجة وتقدّم آنفاً شطر منه ولعل احضار من ذكر لتشديد الانكار عليهم في هذا الافك.

وقال المحقّق الشريف السيّد المرتضى (رحمه اللّه) وهو من أجلّ علماء الإماميّة في رسالته القيّمة المعروفة بتنزيه الأنبياء في فصل عصمة علي (عليه السّلام) بعد نقل الخبر المذكور عن العامّة: انّ هذا خبر باطل موضوع غير معروف، وإنّما ذكره الكرابيسي[١] للطعن به على أمير المؤمنين (عليه السّلام) معارضاً به لبعض ما يذكره شيعته من الأخبار في أعدائه، وهذا الرجل مشهور بالعداوة لأهل البيت (عليهم السّلام) والمناصبة لهم والازراء على فضائلهم ومآثرهم.

على أنّ هذا الخبر قد تضمّن أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) قد ذمّ هذا

(١) هو الحسين بن يزيد البغدادي صاحب الإمام الشافعي وأشهرهم بانتياب مجلسه وأحفظهم لمذهبه، له تصانيف في اُصول الفقه وفروعه وغير ذلك، ومن تصانيفه كتاب الإمامة، وفيه غمز على علي (عليه السّلام) كما عن فهرست ابن النديم.

الفعل وخطب بانكاره على المنبر، ومعلوم أنّه لو كان أمير المؤمنين (عليه السّلام) فعل ذلك لما كان فعل محظوراً في الشريعة، لأنّ نكاح الأربع حلال على لسان النبي (صلى اللّه عليه وآله) والمباح لاينكره الرسول ولايصرّح بذمّه وبتأذّيه به، وقد رفعه اللّه تعالى عن هذه المنزلة وأعلاه عن كلّ منقصة، مع أنّه لو كان نافراً بقلبه من ذلك الفعل لم يكن ينكره بلسانه ولم يعلن به على المنبر على رؤوس الاشهاد، وإن بلغ من إيلامه كلّ مبلغ، لأنّ ما وصفه اللّه تعالى به من الإختصاص بالحلم والكظم وجميل الأخلاق وكريم الآداب ينافي ذلك ويحيل من نسبته إليه، على أنّ أكثر ما يفعله سائر الناس في مثل هذا الأمر إذا ثقل عليه أن يعاتب سرّاً ويتكلّم في العدول عنه خفياً على وجه جميل وقول لطيف، وهذا المأمون العبّاسي الذي لاقياس بينه وبين الرسول (صلى اللّه عليه وآله) قد أنكح بنته أبا جعفر الجواد (عليه السّلام) فلمّا ذهب بها أبو جعفر الى المدينة ورد كتابها الى المأمون بانّه قد تزوج أو تسرّى عليها، فقال المأمون: إنا ما أنكحناه لنحظر عليه ما أباحه اللّه تعالى، والمأمون أولى بالامتعاض[1] من غيرة بنته، فواللّه أنّ الطعن على النبي (صلى اللّه عليه وآله) بما تضمّنه هذا الخبر الخبيث أعظم من الطعن به على أمير المؤمنين (عليه السّلام) على أنّه لاخلاف بين أهل النقل أنّ اللّه[2] تعالى هو الذي اختار أمير المؤمنين (عليه السّلام) لنكاح سيدّة النساء (صلوات اللّه وسلامه عليها) وانّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) ردّ عنها جلّة أصحابه وقد خطبوها وقال (صلى اللّه عليه وآله): لم اُزوّج فاطمة عليّاً حتى زوّجها اللّه تعالى إيّاه في سمائه، ونحن نعلم أنّ اللّه

---

(١) امتعض من الأمر غضب وشق عليه.

(٢) النصوص الواردة في ذلك من طرق الخاصّة و العامّة كثيرة، ويأتي تفصيلها في الباب العاشر.

سبحانه لايختار لها من بين الخلائق من يغيرها ويؤذيها، فهذا من أدلّ دليل على كذب هذا الخبر.

على أنّ الشيء يحمل على نظائره، وقد علم كلّ من سمع الأخبار أنّه لم يعهد من أمير المؤمنين (عليه السّلام) خلاف على الرسول (صلى اللّه عليه وآله) ولا كان قطّ ما يكرهه في اختلاف الأحوال وتقلّب الأزمان وطول الصحبة، ولاعاتبه على شيء من أفعاله مع أنّ أحداً من أصحابه لم يخل من عتاب على هفوة ونكير على زلّة، فكيف خرق بهذا الفعل عادته وفارق سجيّته وسنّته لولا تخرّص الأعداء وتعدّيهم، على أنّ أعدائه (عليه السّلام) في زمانه من بني أُميّة وشيعتهم لم يجعلوا ذلك فرصة منتهزة للطعن عليه وعنوانا لما يتخرّصونه من العيوب والقروف، فهذا دليل آخر على ان الخبر باطل موضوع.

انتهى كلام السيّد (قدّس سرّه) باختصار يسير وتوضيح قليل، وهو متين جدّاً وحقيق بالتصديق، وقد تبعه الشيخ الطوسي (عليه الرحمة) في كلّ ما ذكر، فذكره بتمامه في كتاب تلخيص الشافي[١].

وحكى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[٢] عند قوله (عليه السّلام) سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم... عن شيخه أبي جعفر الاسكافي أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السّلام) تقتضي الطعن فيه والبرائة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، الى أن قال: وأمّا أبو هريرة فروى

---

(١) في فصل عصمة أمير المؤمنين (عليه السّلام) ج٢ ص٢٧٦ طبعة النجف.

(٢) ج١ ص٣٥٨ طبعة مصر الاولى في أربع مجلدات الخطبة ٥٧.

الحديث الذي معناه انّ علياً خطب إبنة أبي جهل في حياة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) فاسخطه فخطب على المنبر وقال لاتجتمع إبنة ولي اللّه وإبنة عدو اللّه انّ فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها، فان كان علي يريد إبنة أبي جهل فليفارق إبنتي وليفعل ما يريد أو كلاماً هذا معناه، والحديث مشهور من رواية الكرابيسي. إنتهى كلام الاسكافي وذيّله ابن أبي الحديد بكلامه.

أقول: أمّا رواية الحديث عن أبي هريرة، فلم نعثر عليها ولعلّها كانت في كتاب الكرابيسي، وأمّا كلام هؤلاء الأعلام أعني المرتضى والشيخ الطوسي وأبي جعفر الاسكافي فظاهرها أنّهم لم يعثروا على رواية الحديث عن المسور وعبداللّه بن الزبير في صحاح الجمهور ومسانيدهم، أو لعلّهم عثروا عليها لكن لم يعتنوا بها وقاسوها على رواية الكرابيسي في القدح والردّ، وعلى كلّ حال ففيما حقّقه الشريف المرتضى في الكلام المتقدّم كفاية لبطلان الحديث وفساده من المسور وابن الزبير ومن غيرهما أيضاً لو كان لغيرهما حديث في هذا المعنى[1].

ونزيد على ما ذكره الشريف (رضي اللّه عنه) أنّ علياً (عليه السّلام) كان نفس الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بنصّ القرآن في آية التباهل[2] كما نصّ عليه المفسّرون، وقد آخى الرسول[3] (صلى اللّه عليه وآله) بينه وبين نفسه مرّتين وقال له غير مرّة: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وغير ذلك ممّا كان بينهما من الإختصاص الشديد والتواصل العجيب، فلايكاد معذلك

---

(١) كما روى نحوه في مستدرك الحاكم ج٣ ص١٥٨ و١٥٩ باسناده عن سويد بن غفلة وأبي حنظلة رجل من أهل مكّة لكنهما غير صحابي، فيكون حديثهما مرسلاً، كما ذكره الذهبي في تلخيصه فان صح عنهما فقد اخذاه من جاعل أو جاهل.

(٢) كما يأتي بيانه في الباب الثامن عند الكلام في الآية.

(٣) كما في النصوص والتاريخ وتأتي الإشارة الى بعضها في أواخر هذا الباب.

أن يفعل أمراً منافياً لاحترام النبي (صلى اللّه عليه وآله) وبضعته لاسيّما وقد علم أنّ النبيّ (صلى اللّه عليه وآله) لم يتزوّج على خديجة في حياتها إحتراماً لها، فهل كان جاهلاً بأنّ تزويج امرأة موجب لانقباض زوجته بالطبع البشري ومناف لاحترامها وهو أمر طبيعي يعلمه كل أحد بعد ما يرى الغيرة والمخالفات بين الضرائر حتّى أزواج النبي (صلى اللّه عليه وآله) على أنّ فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) وان كانت معصومة منزّهة عن الغيرة المؤذية لضرتها ولو كانت بنت أبي جهل، لكن بنت أبي جهل لم تكن كذلك بالنسبة إليها، فلامحالة تكون سبباً لإيذائها بعدما ترى من الإكرام الكثير لها من أبيها وزوجها، أضف الى ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) كما مرّ في أوّل هذه الفائدة في حديث تزويجها أنّه قال: فواللّه ما أغضبتها ولاأكرهتها على أمر حتّى قبضها اللّه، ولاأغضبتني ولاعصت لي أمراً.

وان تعجب فعجب ما في حديث المسور بالصورة المذكورة من أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) أثنى في كلامه على أبي العاص بن الربيع في مصاهرته له، وأحسن في الثناء عليه وقال: انّه حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي، فانّ ظاهره التعريض بعلي بن أبي طالب (عليه السّلام) وتفضيل أبي العاص عليه، وفيه ما لايخفى من الزور والجزاف المنزّه عمّا دونهما الرسول (صلى اللّه عليه وآله) أليس علي (عليه السّلام) أوّل من آمن به، وضحّى بنفسه في سبيله، وصدقه في جميع أقواله[١] ووفى له بكلّ ما لديه،

(١) قال علي (عليه السّلام) في الخطبة ١٩٠ (القاصعة) من نهج البلاغة: وقد علمتم موضعي من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني الى صدره ويكنفني الى فراشه ويمسّني جسده ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ←

أم هل يجوز بنظر العقل أن يفضّل الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أبا العاص عليه أو يقايسه به ويجعله في عدله مع سوابقه في الإيمان والهجرة والجهاد لمحض أنّ أبا العاص حدّثه فصدقه حيناً ووعده في إبنته زينب بعد وقعة بدر أن يرسلها إليه فوفى به مع أنّه لم يسلم إلاّ قبيل فتح مكّة، وكان في بدر مع الأعداء والمشركين فاسره المسلمون، ثمّ أطلقوه بدون الفداء بشفاعة النبي (صلى اللّه عليه وآله) فرجع الى مكّة مع المشركين، كما هو مذكور في التراجم والتاريخ(١).

أضف الى ذلك أنّ الراوي للخبر عن المسور بتلك الصورة المبتذلة في جميع ما رأيته في صحاحهم(٢) ومسانيدهم امام العترة الطاهرة زين العابدين وسيّد الساجدين علي بن الحسين (عليهما السّلام) وهذا الإمام أعرف بسيرة جدّه مع جدّته من المسور، فقد كان جميع أهل البيت لاسيّما أئمّتهم (عليهم السّلام) إنّما عرفوا عليّاً مفادياً للنبي (صلى اللّه عليه وآله) وبضعته الطاهرة حقّ الفداء، ومراعياً لحرمتهما ورضاهما كمال الرعاية، كما يعلم ذلك كل من ألمّ بشيء من أخبارهم التي أصدروها في شأن

← ولاخطلة في فعل... يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علما الخ.

وقال (عليه السّلام) في الخطبة ١٩٥: ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلى اللّه عليه وآله) اني لم أردّ على اللّه ولا على رسوله ساعة قطّ ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال وتتأخّر فيها الأقدام نجدة أكرمني اللّه بها. وغير ذلك من كلماته (عليه السّلام) في تفانيه للرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وابتعاده عن الرغبة الى ما يسوئه ولو يسيراً.

(١) كما في الإستيعاب والإصابة واسد الغابة وشرح ابن أبي الحديد في شرح واقعة بدر ج٣ ص٣٥٩ وفيها التصريح بانه اقام بمكة على شركه الى قبيل الفتح.

(٢) راجع المصادر التي ذكرناها في مواردها المشار إليها ومسند أحمد في حديث المسور ج٤ ص٣٢٦ واسد الغابة في ترجمته.

علي (عليه السّلام) من إختصاصه الشديد بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) فكيف يروون في حقّه ما لا يليق بشأنه ويحطّ من كرامته وقدره.

على أنّ المسور كان صبيّاً صغيراً في زمان الحديث، فقد ولد بمكّة بعد الهجرة بسنتين، وأسلم أبوه مخرمة بن نوفل القرشي عام الفتح، وكان من المؤلّفة قلوبهم، ثمّ قدم بالمسور في ذاك العام الى المدينة وله ستّ سنين كما نصّ بذلك أهل التراجم(١) وذكر ابن حجر في الإصابة والتهذيب أنّ أهل التاريخ مطبقون على ذلك وقضيّة الخطبة المزعومة على ما قيل كانت بعد الفتح وإسلام بني هشام فكان للمسور حين ذاك ستّ أو سبع سنين، كما صرّح بذلك أيضاً ابن حجر، فمثل هذا الرجل لايكون بحسب العادة والمتعارف حافظاً وضابطاً للحديث عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وما في بعض طرق الحديث من قوله «وانا يومئذ محتلم» مخالف لهذا الاتّفاق، ولذا احتمل ابن حجر في التهذيب وحكاه عن بعض في الإصابة أن يكون المراد به العقل وضبط الحديث من الحلم بالكسر لا بالضمّ.

قلت: معنى الإحتلام عرفاً هو البلوغ، فيكون هذا بنفسه موهنا آخر للخبر.

والراوي له بتلك الصورة عن علي بن الحسين (عليهما السّلام) في جميع ما رأينا من طرقه محمّد بن شهاب الزهري(٢) وقد ذكر ابن أبي الحديد(٣) أنّه كان من المنحرفين عن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وانّه كان ينال منه، وعدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب علي بن

---

(١) أورده ابن قتيبة في المعارف في فصل التابعين قال: كان يعدل بالصحابة وليس منهم وكأنّه لصغره.

(٢) هو محمّد بن مسلم بن عبيداللّه بن عبداللّه بن شهاب من بني زهرة بن كلاب.

(٣) في شرح النهج ج١ ص٣٧٠ طبعة مصر في الخطبة ٥٧.

الحسين (عليهما السّلام) وقال: عدوّ، وذكره محمّد بن جرير الطبري في كتابه المسترشد في الإمامة عند ذكره لرواة العامّة وقال: انّه كان مع هشام بن عبدالملك يلعن (نعوذ باللّه) علي بن أبي طالب (صلوات اللّه عليه) وقال ابن قتيبة في المعارف في فصل التابعين: انّه لم يزل مع عبداللّه بن مروان، ثمّ مع هشام بن عبدالملك، وكان يزيد بن عبدالملك استقضاه، وذكر أيضاً أنّ أبا جدّه عبداللّه بن شهاب شهد مع المشركين بدراً واُحداً، وكان من الذين تعاقدوا يوم اُحد لئن رأوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ليقتلنّه أو ليقتلنّ دونه، وكان أبوه مسلم بن عبيداللّه مع ابن الزبير.

قلت: فعلى هذا يكون معاداته لعلي (عليه السّلام) من الشنشة الأخزميّة، فيمكن أن يكون بلاء الخبر في أصله أو في نسبته الى رواية علي بن الحسين (عليهما السّلام) عن المسور بهذه الصورة المبتذلة الفاسدة من هذا الرجل.

على أنّه قد روي الخبر أيضاً عن المسور في كتب الجمهور[1] بصورة اُخرى وهي أنه قال: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول وهو على المنبر: انّ بني هشام بن المغيرة (يعني اخوة أبي جهل) استأذنوني أن ينكحوا إبنتهم علي بن أبي طالب، فلاآذن ثمّ لاآذن ثمّ لاآذن إلاّ أن يريد ابن أبي طالب أن يطلّق إبنتي وينكح إبنتهم، فإنّما إبنتي بضعة منّي يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها. وهذا على تقدير صحّته لايقدح في علي (عليه السّلام) أصلاً؛ اذ لا ذكر فيه لخطبته لها، فلعله كان إستدعاءاً من بني هشام ليحصّلوا لانفسهم فخراً بمصاهرة علي (عليه السّلام) أو بمكافئة إبنتهم

---

(١) صحيح البخاري باب ذبّ الرجل عن ابنته من كتاب النكاح، وصحيح مسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود وابن ماجة في الموارد التي ذكرناها أوّل الكلام.

لبنت النبي (صلى اللّه عليه وآله) أو ليحطّوا بزعمهم من الإختصاص الشديد والمحبّة الكثيرة الذي كان بين النبي وصهره، أو لغير ذلك من الاغراض الفاسدة، لكن لمّا لم يكن لهم سبيل الى انفاذه اذ لم يكن علي (عليه السّلام) يقبل ذلك منهم ابتداءاً استأذنوا النبي (صلى اللّه عليه وآله) بزعم أنّه يأذن فيه لحبّه لعليّ، لكن لمّا كان (صلى اللّه عليه وآله) يعلم باغراضهم ويعلم بعدم رضاء علي (عليه السّلام) به لم يأذن فيه إلاّ على شرط لايمكن حصوله أبداً وهو تطليق ابنته.

وأمّا حديث عبداللّه بن الزبير، ففيه أيضاً مضافاً الى ما تقدّم من أدلّة إختلاقه أنّ ابن الزبير كان من أشدّ أعداء علي (عليه السّلام) في حياته وبعد شهادته. قال ابن أبي الحديد(١): كان عبداللّه بن الزبير يبغض عليّاً وينال من عرضه، وروي أنّه قال لعبداللّه بن عبّاس: انّي لاكتم بغضكم أهل هذا البيت أربعين سنة، وانّه خطب يوماً فنال من علي، فبلغ ذلك إبنه محمّد بن الحنفيّة، فجاء إليه وهو يخطب فوضع له كرسيّ فقطع عليه خطبته، وقال: يا معشر العرب شاهت الوجوه أينتقص علي وأنتم حضور، انّ علياً كان يد اللّه على أعدائه، وصاعقة من أمره أرسله على الكافرين، فقتلهم بكفرهم فشنؤوه وأبغضوه وأضمروا له السيف والحسد وابن عمّه (صلى اللّه عليه وآله) حيّ، فلمّا نقله اللّه الى جواره أظهرت له رجال أحقادها وشفت أضغانها، فمنهم من ابتزّه حقّه، ومنهم من ائتمر به ليقتله ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل.

وحسبك من ابن الزبير قول(٢) علي (عليه السّلام): ما زال الزبير منّا

---

(١) في شرح النهج ج١ ص٣٥٨ طبعة مصر في الخطبة ٥٧.

(٢) في نهج البلاغة الكلمة ٤٥٣ من فصل الحكم، ورواه في الإستيعاب في ترجمة ابن الزبير بحذف كلمة المشوم.

أهل البيت حتّى نشأ إبنه المشوم عبداللّه، وغير ذلك ممّا ورد في شأنه(١).

على أنّه أيضاً كان صبياً في زمان الحديث ولم يكن سنّه قابلاً لتحمّله، فقد ذكر في الإستيعاب في ترجمة المسور أنّه كان أكبر من المسور بأربعة أشهر.

فحاصل الكلام أنّ حديث خطبة علي (عليه السّلام) لبنت أبي جهل (عليه اللعنة) على فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) مجعول مختلق قد رفعته ألسن النصب والعداء بعد شهادة علي (عليه السّلام) فهي امّا لا أصل لها أصلاً، وإنّما كانت سعاية من مبغضيه وحاسديه ليفرّقوا(٢)

---

(١) كمخالفته لبيعة علي (عليه السّلام) كما في أمالي الطوسي ج٢ ص٣٤٠ ومنعه خالته عائشةعن الإنصراف لمّانبحتهاكلاب حوأب ومنعه أباه عن اعتزال الحرب في الجمل.

(٢) كما أرادوا التفريق بينهما في غير ذلك مراراً منها بعد ما بعثه النبي (صلى اللّه عليه وآله) الى اليمن فاصطفى لنفسه جارية من خمس المغنم وأصاب منها، فاتّخذوه سبيلاً لاسقاطه عن عين الرسول (صلى اللّه عليه وآله) لمكان ابنته فاطمه، فتعاقدوا على أن يشكوه إليه، وكتب به خالد بن الوليد، فلمّا ذكروه له قال (صلى اللّه عليه وآله) مغضباً: ما تريدون من علي انّ علياً منّي وأنا منه وهو ولي كلّ مؤمن بعدي، والحديث مشهور ومروي بألفاظ مختلفة، رواه ابن حنبل في مسنده من حديث عمران بن حصين وفي مواضع من حديث بريدة الأسلمي ورواه الحاكم في باب فضائل علي (عليه السّلام) من مستدركه، وكذا الترمذي في جامعه، وابن حجر في صواعقه ص١٠٣ وابن أبي الحديد في شرحه ج٢ ص٤٣٠ وغير ذلك، وقد جمع بعض ألفاظها المحقّق شرف الدين في المراجعة ٣٦ من مراجعاته، والمجلسي في البحار باب٦١ و٦٧ من مجلّد أحوال أمير المؤمنين (عليه السّلام) والفيروزآبادي في فضائل الخمسة ج٢ الباب٤٦ من فضائله (عليه السّلام) ولايخفى أنّه يستفاد من هذا الحديث أيضاً فساد ما في حديث المسور لأنّه لمّا سمع النبي (صلى اللّه عليه وآله) ذلك في علي لم تأخذه الغيرة لبضعته بل غضب على المبغضين له الساعين إليه، وردّهم بأنّ لعلي من ذلك المال أكثر من الجارية.

بزعمهم بينه وبين الرسول (صلى اللّه عليه وآله) كما تقدّم التصريح بذلك في حديث العلل، أو كان أصلها إستدعاءاً من بني هشام للعلّة التي ذكرناها في الحديث الآخر للمسور، ولكن لمّا كان الغالب في التزويج خطبة الرجل للمرأة دون أقرباء المرأة للرجل توهّم بعض أنّه كان سبب استيذان بني هشام خطبة علي (عليه السّلام) لها، فتقوّله الجاهلون ثمّ رفعه المبغضون بإضافة أشياء أُخر عليه حتّى أدّى ذلك الى شنائة بعض الناصبين، وقدحهم في علي (عليه السّلام) كما صدر ذلك عن مروان[1] بن أبي حفصة، حيث أنشد قصيدة في مدح هارون الرشيد وذكر فيها أولاد فاطمة، فذمّهم وبالغ في قدح أمير المؤمنين (عليه السّلام) وذكر منه هذه القضيّة حيث قال كما في شرح ابن أبي الحديد الجزء ١ ص٣٥٩ طبعة مصر:

علي أبوكم كان أفضل منكم
أباه ذوو الشورى وكانوا ذوي الفضل
وساء رسول اللّه اذ ساء بنته
بخطبته بنت اللعين أبي جهل
فذمّ رسول اللّه صهر أبيكم
على منبر بالنطق ذي الصادع الفصل

ولسيّدنا المغفور له آية اللّه السيّد مهدي بحر العلوم (تغمّده اللّه برحمته) قصيدة في مدح أمير المؤمنين (عليه السّلام) وذمّ ناصبيه تناهز

(١) في تاريخ بغداد ج١٣ مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة كان أبو حفصة مولى مروان بن الحكم أعتقه يوم الدار يعني يوم حصر عثمان، لأنّه أبلى له بلاءاً حسناً واسمه يزيد وقيل: انّه كان يهوديّاً طبيباً أسلم على يد عثمان بن عفّان الى أن قال: قدم مروان بن أبي حفصة بغداد ومدح المهدي والرشيد وكان يتقرب إليه بهجاء العلويّة، ثمّ حكى أنّ ذلك منه لم يكن إلاّ لحبّ المال.

ثلاثمائة بيت أنشدها لمعارضة هذه القصيدة الخبيثة على قافيتها والجواب عن أُسطورتها فقال في ذلك:

وزوّجه المختار بضعته وما ... لها غيره في الناس من كفو عدل
فاكرم بزوجين الاله ارتضاهما[١] ... جليلين جلاّ عن شبيه وعن مثل
لذلك ما هم الوصي بخطبة ... حياة البتول الطهر فاقدة المثل
بذا أخبر المختار والصدق قوله[٢] ... أبو حسن ذاك المصدّق في النقل
فأضحى بريئاً والرسول مبرّء ... وقد أبطلت دعواكم رية الحبل[٣]
بذلك فاعلم جهل قوم تحدّثوا ... بخطبته بنت اللعين أبي جهل
نعم رغبت مخزوم فيه وحاولت ... بذلك فضلا لواجيبت الى الفضل[٤]
فلمّا أبى الطهر الوصي ولم يجب ... رمته بما رامت ومالت الى العذل
وساعدها الرجسان فيه وحاولا ... اثارة بغضاء من الحقد في الأهل

الى آخر القصيدة وهي مذكورة[٥] في ترجمة السيّد المغفور له في مقدّمة كتابه الفوائد الرجالية، وهو مطبوع في النجف الأشرف.

ولايخفى ما في شعره هذا من لطف البيان والاستدلال لنفي القضيّة ببعض ما تقدّم، لكن لم نعلم مراده من الرجسين المساعدين، فلعلّه يقال انّ

---

(١) تقدّم الإستدلال بذلك في كلام السيّد المرتضى.

(٢) إشارة الى ما تقدّم في حديث العلل من قوله (صلى اللّه عليه وآله) صدقت.

(٣) كأنّه مثل يضرب به لمن نقض قوله ودعواه بأمر ثابت قوي يقال روى الحبل إذا فتله بشدّة، وقد ورد هذا المصرع في شعر ابن أبي حفصة بعد الأبيات المذكورة.

(٤) إشارة الى ما ذكرناه في حديث المسور بالصورة الثانية.

(٥) وان أردت تمامها فراجع تحفة العالم في شرح خطبة المعالم للعلامة الجليل السيّد جعفر آل بحر العلوم (رحمه اللّه) ج١ ص٢٤٨ من طبعته الثانية بطهران.

مراده عبدالله بن الزبير والمسور بن مخرمة، وذلك لرواية الحديث عنهما كما تقدّم، وتقدّم في شأن ابن الزبير ما ظهر منه مقدار معاداته لعلي (عليه السّلام) كما أنّه ورد في شأن المسور أيضاً في أثناء الكتب والأخبار ما يظهر منه إنحرافه عنه (عليه السّلام) ففي الإستيعاب في ترجمته أنّه كان في الشورى مع خاله عبدالرحمن بن عوف مقبلا ومدبراً، وذكر فيه وفي غيره انه بعد قتل عثمان انتقل الى مكّة وسكن بها، فكأنّه لم يكن مع علي (عليه السّلام) في حروبه، بل في رواية[١] أنّه بعد ما بويع علي (عليه السّلام) بالخلافة بعد عثمان ثمّ خالفه جماعة كان المسور مع الذين خالفوه كالزبير وإبنه ومروان، وذكر في الإصابة وغيرها أنّه بمكّة كان مع ابن الزبير، فلمّا كان الحصار الأول أصابه حجر من المنجنيق فمات به، وعن تاريخ بغداد[٢] أنّه كان أخيراً لايذكر معاوية إلاّ استغفر له.

لكن قد يعارض ذلك بانّه ذكر في أُسد الغابة أنّه كان في الشورى مع خاله عبدالرحمن، وكان هواه مع علي (عليه السّلام) وذكره الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب علي (عليه السّلام) وقال: كان[٣] رسوله الى معاوية، وروي[٤] أنه لمّا أراد الإمام الحسين بن علي (عليهما السّلام)

(١) رواها الشيخ الطوسي في أماليه في الجزء الثاني ص٣٣٩ في حديث بيعته.

(٢) كما في قاموس الرجال لبعض المعاصرين، وروى عبدالرزاق الصنعاني في المصنف ج١١ باب من أذلّ السلطان حديثاً مضمونه أنّ المسور كان يطعن أوّلاً على معاوية، فوفد عليه حيناً فتكلّم معه معاوية حتّى خصمه، فكان المسور بعد ذلك إذا ذكر معاوية دعا له بخير.

(٣) هذا غير معهود ولامذكور في سائر التواريخ كما أنكره بعض المترجمين، ولايبعد كونه اشتباهاً بغيره أو من سهو القلم أو النسخة.

(٤) حكاه المعاصر الشيخ محمد باقر القرشي في كتاب حياة الحسين (عليه السّلام) الجزء٣ عن تاريخ ابن عساكر من مصوّرات مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) في النجف الأشرف.

التوجّه من مكّة الى العراق، كتب المسور إليه إيّاك أن تغترّ بكتب أهل العراق ويقول لك ابن الزبير ألحق بهم فانّهم ناصروك... فلمّا قرأ الإمام كتابه أثنى على عواطفه وقال لرسوله: أستخير اللّه في ذلك، فلعلّه ان صحّ جميع ذلك كان الرجل متلوّنا ضعيفاً شأن أكثر العامّة، واللّه العالم.

الفائدة الثالثة: البضعة بالفتح وقد تكسر بمعنى القطعة من الشيء إلاّ أنّ الأكثر إستعمالها في اللحم، يقال بضع اللحم أي قطع منه قطعة، ونحوها الحذية والحذوة بالحاء المهملة المكسورة والذال المعجمة، فانّها أيضاً بمعنى القطعة من اللحم، كما في لسان العرب قال: ومنه الحديث إنّما فاطمة حذية منّي يقبضني ما يقبضها. ونحوهما المضغة بضمّ الميم في قوله (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة مضغة منّي فمن آذاها فقد آذاني، أو يقبضني ما قبضها ويبسطني ما بسطها، أو نحو ذلك.

فحاصل معنى الحديث في هذه العبارات أنّ فاطمة كجزء من بدن النبي (صلى اللّه عليه وآله) في الحرمة والكمال. أمّا في الحرمة، فلما رتّب عليه أنّ من آذاها فقد آذاني، ومن سرّها فقد سرّني. وأمّا في الكمال، فلما تقدّم أنّه لمّا سمع النبي (صلى اللّه عليه وآله) قولها القويم في إحتجابها عن الأعمى وفيما هو خير للمرأة قال: انّ فاطمة بضعة منّي، ومقتضى الحديث حرمة إيذائها في كلّ أمر من الأمور، لانّ ظاهره العموم، وهذا لايتمّ إلاّ بالحكم بعصمتها، لأنه اذا حرم إيذائها في أمر يعلم منه أنّ الحقّ في هذا الأمر في جانبها، وإلاّ لم يحرم ايذاء أحد في غير حقّه، مثلا لو ادّعت لنفسها فدكاً عن أبيها إرثاً أو نحلة، أو ادّعت علماً بشيء من أحكام اللّه تعالى، فردت عن قولها ودعواها فتأذّت به وسخطت كان مقتضى عموم الحديث حرمة ردّها عن ذلك، فحينئذ إمّا أن يكون الحق في جانبها وانها لاتكذب ولاتخطأ فيه، أو أنّه يحرم ردّها وان كانت كاذبة أو مخطئة،

ولاريب في بطلان الثاني عقلاً وشرعاً، لأن أحكام اللّه تعالى على جميع الامّة على حدّ سواء، فتعيّن الأول، وهذا هو العصمة، وسيأتي الكلام انشاء اللّه تعالى في ذلك في فصل عصمتها بمزيد البيان.

والمستفاد من الحديث أيضاً حرمة إيذائها في الأمور التي تباح لسائر الناس بالنسبة الى غيرها، وذلك مثل أن يصاحب الانسان مؤمناً وكان ذلك سببا لتاذّى مؤمن آخر لأجل هنات وهفوات كانت بينهما في مال أو عرض، فان مثله مباح شرعاً سيّما اذا كان تركه سبباً لتأذّي المؤمن الأول، لكن مقتضى عموم الحديث أنّه اذا كان سبباً لتأذّي الزهراء (سلام اللّه عليها) فهو حرام لكونه سبباً لتأذّي النبي (صلى اللّه عليه وآله) ولذا يصح أن يقال انّ مقتضاه حرمة تزويج إمرأة اُخرى عليها لعلي (عليه السّلام) سواء كانت بنتَ أبي جهل أو غيرها، وسواء قلنا بصحّة ما في حديث المسور من قضيّة الخطبة المزعومة ومنع الرسول (صلى اللّه عليه وآله) أم لاحيث قد صدر الحديث عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) لعلي (عليه السّلام) مراراً منها عند تزويجها منه كما تقدم، ولاجل ذلك قد ورد في أخبارنا(١) انّ اللّه تعالى حرّم على علي (عليه السّلام) النساء ما دامت فاطمة حيّة، والغرض من ذلك هو التقدير والمثال، وإلاّ فشأن علي (عليه السّلام) في مراعاته لحرمة الرسول وبضعته كان أرفع من أن يسوئهما

---

(١) رواه الطوسي (عليه الرحمة) في أماليه ج١ ص٤٢ طبعة النجف بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) ورواه المجلسي عنه في البحار في باب كيفيّة معاشرتها، وفي آخر الخبر ذكر الراوي قلت: فكيف؟ قال (عليه السّلام): لأنّها طاهرة لاتحيض.

أقول: لعلّ المراد أنّه كيف كان علي (عليه السّلام) يصبر عليها وهي امرأة تعتلّ كسائر النساء، فأجاب (عليه السّلام) بأنّها كانت طاهرة، واحتمل في البحار أن يكون المعنى أنّ جلالتها منعت من ذلك، فعبّر عنه ببعض الصفات المختصّة بها، واللّه العالم.

ويكدّر خاطرهما بذلك سواء حرم عليه أم لا.

واستدلّ بالحديث أيضاً على أفضليّة الزهراء (سلام اللّه عليها) على غيرها من سيّدات النساء، وهنّ مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة (رضي اللّه تعالى عنهن) فانّ نبيّنا (صلى اللّه عليه وآله) كان أفضل من جميع الناس، فطبعاً كانت بضعته أيضاً مثله في الفضل وأفضل من غيرها، وتمام الكلام في ذلك يأتي إنشاء اللّه تعالى عند البحث عن تفضيلها من السنّة.

الفائدة الرابعة: روى العامّة[١] في أحاديثهم عن عمرو بن العاص وأنس بن مالك أنّه قيل لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة، قيل: من الرجال؟ قال: أبوها. ولاينبغي الريب في أنّ هذا موضوع في أيّام بني اُميّة من أشياعهم ودجاجيلهم ليعارضوا به ما ثبت عنه (صلى اللّه عليه وآله) في فضل علي وفاطمة على ما اقتضته سياستهم ودعايتهم ضدّ أهل البيت (عليهم السّلام) فقد كثر في دولتهم وضع هذا النحو من الحديث في الفضائل المزعومة كما أخبر النبي (صلى اللّه عليه وآله) بكثرة الكذابة عليه في حياته وبعد وفاته[٢].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه باب مناقب عائشة بإسناده عن عمرو بن العاص وأنس بن مالك والبخاري ومسلم في صحيحيهما باب مناقب أبي بكر بإسنادهما عن عمرو بن العاص، وابن ماجة في مقدمة سننه بإسناده عن أنس.

(٢) روى شيخنا الطبرسي في كتاب الإحتجاج عن الإمام أبي جعفر الجواد (عليه السّلام) أنّه قال في مناظرته ليحيى بن أكثم القاضي، بمحضر المأمون العباسي وجماعة كثيرة من الأعيان انّه قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في حجّة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عنّي فأعرضوه على كتاب اللّه وسنّتي، فما وافق كتاب اللّه وسنّتي ←

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام)(١) في جواب من سأله عمّا في أيدي الناس من الأخبار المختلفة: انّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً، الى أن قال: ولقد كذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) على عهده حتّى قام خطيباً، فقال: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار، وإنّما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان متصنّع بالإسلام ولايتأثم ولايتحرّج يكذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) متعمّداً، فلو علم الناس أنّه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنّهم قالوا صاحب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) رآه وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله، وقد أخبرك اللّه عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك، ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا الى أئمّة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلاّ من عصم اللّه... وذكر ابن أبي الحديد في شرحه لهذا الكلام اموراً

← فخذوا به وما خالف كتاب اللّه وسنّتي فلاتأخذوا به، ثمّ أبطل الإمام (عليه السّلام) بذلك عدّة أحاديث أرسلها يحيى في فضائل أبي بكر وعمر.

وروى ابن حنبل في مسنده باسانيده عن كعب بن عجرة والنعمان بن بشير وحذيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدري عنه (صلى اللّه عليه وآله) واللفظ للأوّل أنّه قال: سيكون بعدي أُمراء يكذبون ويظلمون، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منّي ولست منه وليس بوارد عليّ الحوض الخبر، ونحوه في مستدرك الحاكم ج١ ص٧٨ و٧٩ بأسانيده عن كعب وخباب وجابر بن عبداللّه عنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

(١) كما في نهج البلاغة في الخطبة ٢٠٨ ونحوه في الكافي كتاب العلم باب اختلاف الحديث، وخصال الصدوق في أبواب الأربعة وزاد فيهما بعد قوله (عليه السّلام) خطيبا فقال: ايها الناس قد كثرت عليّ الكذابة وبعد قوله من النار: ثم كذب عليه من بعده.

كثيرة في أسباب وضع الحديث في فضائل الصحابة في أيام معاوية فممّا ذكر فيه أنّ معاوية كتب الى عمّاله في الآفاق: ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان وأهل ولايته الذين يروون فضائله فقرّبوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكلّ ما يروون، ثمّ كتب اليهم: أنّ الحديث في عثمان قد كثر فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولاتتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وأتوني بمناقض له في الصحابة، فرويت في فضائل الصحابة أخبار كثيرة مفتعلة... وتقدّم في هذا الباب عند البحث عن حديث المسور كلام آخر لابن أبي الحديد عن شيخه الاسكافي في ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السّلام) وجعل لهم عليه جعلاً يرغب فيه فاختلقوا ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة.

ومما يدلّ على بطلان الحديث المذكور مضافاً الى ما تقدم في هذا الباب وغيره من النصوص المتواترة في فضل علي وفاطمة وشدّة إختصاصهما بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) حبّاً وكرامة وجوه.

أحدها: ما ورد من التصريح في أخبار مستفيضة عن جمع من الصحابة حتى عن عائشة بأنّ أحبّ الناس الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) علي وفاطمة فقد رواه الترمذي في جامعه باب فضل فاطمة والحاكم في مستدركه باب مناقبها من الجزء الثالث وابن عبدالبر في استيعابه في ترجمتها بأسانيدهم عن عائشة[1] وبريدة الأسلمي.

---

(١) رواه عن عائشة جميع بن عمير التيمي وقد حسّن الترمذي حديثه هذا ورواه في المستدرك عنه بإسنادين ذكر في أحدهما أنه قال دخلت مع اُمي على عائشة فسمعتها من وراء الحجاب وهي تسئلها عن علي (عليه السّلام) فقالت تسئلني عن رجل واللّه ما أعلم رجلاً أحبّ الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) منه ولا في الأرض امرأة ←

وروى المحبّ الطبري في ذخائر العقبى عن أُسامة بن زيد أنّه قالوا: يا رسول اللّه من أحبّ إليك؟ قال: فاطمة. ونحوها في البحار عن أمالي الطوسي ومناقب ابن شهرآشوب، وروى الحاكم أيضاً بإسناده عن عمر بن الخطّاب أنّه دخل على فاطمة فقال: واللّه ما رأيت أحداً أحبّ الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) منك الخبر. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الثاني: أنّ الراوي للحديث المذكور إنّما هو عمرو بن العاص وأنس بن مالك، وحال الأوّل في معاداته الشديدة لأمير المؤمنين (عليه السّلام) واقامة الحروب الدامية عليه بصفّين وسبّه على المنابر مشهورة متواترة لايجهلها أحد ولاينكرها الا مكابر.

وقد ورد في كتاب[1] سليم بن قيس الكوفي أنّه وضع هذا الحديث

← أحبّ إليه من امرأته ثم قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجه الشيخان.

أقول: جميع بالجيم المضمومة هو من بني تيم بن ثعلبة ترجمه ابن حجر في تهذيبه وحكى عن جماعة تصديقه وإتهام الذهبي له من جهة أن بنائه على تضعيف من نسب إليه التشيع أو روى حديثاً في تفضيل أهل البيت (عليهم السّلام) ويأتي تمام حديثه هذا عن عائشة في بحث آية التطهير، وهذا الحديث منها إنّما كان بعد وقعة الجمل ورجوعها الى المدينة، كما صرّح به في عدّة من ألفاظه، وقد وقعت عائشة بعد تلك الوقعة في ارتباك عظيم وتحسّر شديد حتّى تمنّت أن لو ثكلت بعشرة أولاد ولم تخرج إليها حيث قد رجعت خائبة خاسرة ومصابة بقتل طلحة والزبير من أقربائها وبلوم النساء لها، فلذا قد لهجت في بعض تلك الأوقات بما كان لعلي وفاطمة (عليهما السّلام) من المنزلة العظيمة إظهاراً للندامة وموافقة للناس فيما يرونه في شأنهما، كما روت لهما حديث الكساء واختصاصهمابنزول آية التطهير.

(١) في الصفحة ١٧٢ طبعة النجف وهذ الكتاب فيه مطالب جليلة في قضيّة السقيفة وغيرها، وذكر المجلسي (عليه الرحمة) في مقدّمة البحار أنّه في غاية الإشتهار وانّه طعن فيه جماعة وأنّ الحق أنّه من الأصول المعتبرة.

لمعاوية بالشام حيث قال: بعثني رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) على جيشه(١) فيهم أبو بكر وعمر، فظننت أنّه إنّما بعثني لكرامتي عليه فلما قدمت قلت: يا رسول اللّه أي الناس أحبّ اليك، فقال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، أيّها الناس وهذا عليّ يطعن على أبي بكر وعمر وعثمان، فبلغ ذلك علياً (عليه السّلام) فقام وقال: العجب لطغام أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو ويصدّقونه وقد بلغ من حديثه وكذبه وقلّة ورعه أن يكذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الى أن قال: واللّه ما أراد بقوله في عائشة وأبيها إلاّ رضا معاوية ولقد استرضاه بسخط اللّه تعالى.

أقول:وأعجب من هذا بكثير أنّ البخاري ومسلم ومن حذا حذوهما من رواة العامّة الذين يزعمون لانفسهم بثّ العلم ونشر صحاح السنن يخرجون في صحاحهم أحاديث عن عمرو بن العاص بعدما اشتهر عنه في الآفاق من الرذائل والأحداث في صفّين وبعدها من قتل المسلمين وتأمير معاوية ومحاربة الإمام الحق الذي جعله اللّه تعالى نفس رسوله لمباهلة أهل الكتاب وجعله الرسول(صلى اللّه عليه وآله)أخاه وبمنزلة هارون من موسى.

---

(١) أي في غزوة ذات السلاسل وكانت سنة سبع من الهجرة وقد بعثه النبي (صلى اللّه عليه وآله) أولاً في ثلاثمائة ثمّ ألحق بهم أبا عبيدة بن الجراح في مأتين فيهم أبو بكر وعمر، وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين أنّ عمراً بن العاص رفع في صفّين شقة خميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس هذا لواء عقده له رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يعني: في الغزوة المذكورة، فبلغ ذلك علياً، فقال: إنّما أخرج رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) هذه الشقة وقال: من يأخذها بما فيها، فقال عمرو: ما فيها؟ فقال: أن لاتقاتل به مسلماً ولاتقربه من كافر، فأخذها فواللّه قرّبه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين، وواللّه ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً رجعوا الى عدوانهم إلاّ أنّهم لم يدعوا الصلاة.

وحسبنا في شأن عمرو أنّه كان امام الفئة الباغية بنصّ قول النبي(١) (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لعمّار تقتلك الفئة الباغية. وقال أمير المؤمنين (عليه السّلام) كما في الخطبة ٨٢ من النهج: عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة وانّي رجل تلعابة، لقد قال باطلاً ونطق آثماً، أما وشرّ القول الكذب انه ليقول فيكذب ويعد فيخلف الى آخر ما ذكر من معايبه.

وأمّا أنس بن مالك، فهو أيضاً ضعيف عند الإماميّة،لما ورد(٢)

---

(١) قال ابن عبدالبرّ في الإستيعاب وابن حجر في الإصابة أنّه تواترت الآثار عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية، ثمّ قال في الإستيعاب: وهذا من إخباره بالغيب واعلام نبوّته وهو من أصحّ الأحاديث انتهى.

(٢) رواه الخاصّة والعامّة، كشيخنا المفيد في إرشاده في أواخر فضائل أمير المؤمنين (عليه السّلام) عن طلحة بن عميرة على ما في نسخة الإرشاد لكن صوابه عن طلحة يعني ابن مصرف عن عميرة بن سعد الهمداني، كما صرّح بذلك في غيره، ورواه الكشي في رجاله في ترجمة البراء بن عازب عن زرّ بن حبيش، والبلاذري في أنساب الأشراف في ترجمة أمير المؤمنين (عليه السّلام) بإسناده عن أبي وائل شقيق بن سلمة، وقال ابن أبي الحديد في شرح الخطبة ٥٧: ذكر جماعة من شيوخنا أنّ عدّة من الصحابة والتابعين والمحدّثين كانوا منحرفين عن علي (عليه السّلام) ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعدائه ميلاً مع الدنيا وإيثاراً للعاجلة، فمنهم أنس بن مالك، ثمّ ذكر القصّة، وذكرها أيضاً في شرح الكلام ٣١١ من حكم النهج، وان شئت المزيد فراجع كتاب الغدير الجزء١ وذيل احقاق الحق الجزء٦ في أخبار المناشدة والجزء٨ باب استجابة دعاء أمير المؤمنين (عليه السّلام) وبحار الأنوار الجزء٣٧ من طبعة طهران الإسلاميّة باب أخبار الغدير والجزء٣٨ باب خبر الطير والجزء٤١ باب استجابة دعواته (عليه السّلام) ص٢٠٤ وما بعدها متعدّداً، والجزء٦٠ باب فضل الإنسان، لكن المذكور في بعضها أنّ دعاء أمير المؤمنين على أنس كان لأجل أنّ أنساً ردّه (عليه السّلام) عن الدخول على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في قضيّة الطير المشوي حيث دعا بقوله اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذاالطير، ←

مستفيضاً من كتمانه الشهادة لأمير المؤمنين (عليه السّلام) بقول النبي (صلى اللّه عليه وآله) في غدير خُم من كنت مولاه فعلي مولاه، وذلك بعدما جمع أمير المؤمنين (عليه السّلام) الناس في رحبة الكوفة، وقال: أنشد اللّه رجلاً سمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول يوم غدير خُم ما قال إلاّ قام وشهد، فقام له جمع من الصحابة[1] وشهدوا بأنّهم سمعوا ذلك منه

← فسمعه أنس وكان حاجباً له في ذاك اليوم وأحبّ أن يكون الداخل رجلاً من قومه، وفي خبر أنّه كان لأجل أنّه كتم الشهادة بهذه القضيّة في الشورى، وذكر السيّد الرضي (رضى اللّه تعالى عنه) في الحكم ٣١١ من النهج أنّه لأجل أنّ الإمام (عليه السّلام) بعثه يوم الجمل الى طلحة والزبير يذكّرهما ما سمعه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فاعتذر بالنسيان إلاّ أنّ المشهور هو الأوّل كما في شرح ابن أبي الحديد، ويمكن صحّة غيره أيضاً وتأخّر استجابة دعائه (عليه السّلام) واللّه العالم.

(١) النصوص في عددهم مختلفة، ففي بعضها اثنا عشر صحابيّاً، وفي آخر كما في مسند ابن حنبل ج١ ص١١٩ من أحاديث علي (عليه السّلام) عن عبدالرحمن بن أبي ليلى اثنا عشر بدريا وفي ج٤ ص٣٧٠ من أحاديث زيد بن ارقم ثلاثون من الناس يعني الصحابة، وفيه أيضاً عن أبي نعيم وهو بعض رواته أنّه قام ناس كثير فشهدوا أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) أخذ بيد علي (عليه السّلام) وقال للناس: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، فالمستفاد من الجميع أنّهم كانوا ثلاثين أو أكثر فيهم اثنا عشر بدرياً، ولاينافيه ما في أخبار أُخر من أنّهم كانوا أقلّ لجواز أنّه أخبر كلّ أحد من رواة القضيّة بما رآه من الشهود.

وعلى كلّ حال فأصل قضيّة المناشدة من أمير المؤمنين (عليه السّلام) في رحبة الكوفة وشهادة جمع من الصحابة له من القضايا المشهورة المسلّمة التي رواها أهل التاريخ عن جماعة من أصحابه (عليه السّلام) فراجع الغدير وذيل احقاق الحق فيما أشرنا إليه منهما، والمراجعات في المراجعة٥٦ والبحار ج٣٧ باب أخبار الغدير، وكانت القضيّة بعد ورود أمير المؤمنين (عليه السّلام) الكوفة من الجمل قبل وقعة صفّين، فأتمّ بذلك حجّته على الناس في ولايته ووجوب طاعته عن اللّه ورسوله ولزوم اتّباعه في قتال المخالفين.

فقال (عليه السّلام) لأنس: ما يمنعك أن تشهد وقد سمعت ما سمعوا، فقال: يا أميرالمؤمنين كبرت ونسيت، فقال (عليه السّلام): اللهم ان كان كاذباً فاضربه ببياض لاتواريه العمامة، فأصابه البرص حتّى رؤى بين عينيه.

وروى شيخنا الصدوق(عليه الرحمة) في كتاب الخصال عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: ثلاثة يكذبون على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أبو هريرة وأنس بن مالك وامرأة.

وحكى ابن أبي الحديد في شرح الخطبة ٥٧ ج١ ص٣٦٠ طبعة مصر عن شيخه الاسكافي عن أبي يوسف قال: قلت لأبي حنيفة: الخبر يجيء عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يخالف قياسنا ما تصنع به؟ قال: اذا جائت به الرواة الثقاة عملنا به وتركنا الرأي فقلت: ما تقول في رواية أبي بكر وعمر؟ فقال: ناهيك بهما، فقلت: علي وعثمان قال كذلك فلما رآني اعدّ الصحابة قال: والصحابة كلّهم عدول ما عدا رجالاً ثمّ عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك.

قلت: وربّما يشهد له إكثار أنس للحديث عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كما صرّح باكثاره في الإصابة وأُسد الغابة وغيرهما اذ من المعلوم أنّ تحمّل الحديث بحقّه والتحفّظ عليه بتمامه لايجتمع غالباً مع اكثاره، ولذا ورد النهي عنه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) كما في أخبار أهل السنّة(١).

(١) في مقدّمة سنن ابن ماجة باب التغليظ في الكذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ومقدّمة سنن الدارمي باب اتّقاء الحديث عنه بإسنادهما عن أبي قتادة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) يقول على المنبر إيّاكم وكثرة الحديث عنّي، فمن قال فليقل حقّاً أو صدقاً، وقد ورد أيضاً عن بعض الصحابة أنّهم كانوا يتشدّدون في نقل الحديث كماعن زيد بن أرقم،راجع كتاب الأضواء لأبي ريّةوغيره ممّاكتب في علوم الحديث.

على أنّ الراوي للحديث المذكور عن أنس حميد الطويل، والراوي له عن حميد هو المعتمر بن سليمان، وكلاهما بصريّ والبصريّون متّهمون بالإنحراف عن علي (عليه السّلام) كما حكاه ابن أبي الحديد في شرح تلك الخطبة عن شيخه الاسكافي والثقفي صاحب الغارات، وذلك لما كان في نفوسهم من أحقاد يوم الجمل وكانت فيهم امارة أعدائه زياد بن أبيه وابنه عبيدالله[1] وسمرة بن جندب عليهم لعائن اللّه، فكانوا يسعون فيهم بالنصب ومعاداته وهذا طبعاً يؤثر في نفوسهم، لأنّ الناس على دين ملوكهم غالبا الا من عصم اللّه كما مر قريبا عن أمير المؤمنين(عليه السّلام).

أضف الى ذلك ما قيل كما في تهذيب التهذيب: انّ المعتمر بن سليمان كان سيّء الحفظ وحميد الطويل كان مدلّساً يأخذ الحديث عن ثابت البناني ويسنده الى أنس بن مالك، فلعلّه إنّما أخذ الحديث المذكور عن أبي عثمان النهدى[2] ثمّ أسنده الى أنس، وذلك لأنّ أبا عثمان هو الذي روى هذا الحديث عن عمرو بن العاص، كما تجده في صحيحي البخاري ومسلم واحد طريقي الترمذي. وقد كان هذا الرجل معاصراً لأنس بن مالك وساكناً معه في البصرة مدّة طويلة حيث أنّ أنساً كان كذلك، فيمكن أن يكون حميد الطويل وهو أيضاً كان في البصرة إنّما

---

(١) روى الثقفي في الغارات ج٢ باب من فارق علياً (عليه السّلام) عن أبي غسّان البصري قال: بنى عبيداللّه بن زياد (لعنه اللّه) مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي (عليه السّلام) والوقيعة فيه مسجد بني عدي ومسجد بني مجاشع...

(٢) هو عبدالرحمن بن ملّ بالميم المثلثة واللام المشدّدة من رواة العامّة، ترجمه ابن حجر في التهذيب، فذكر أنه سكن الكوفة، ثمّ تحوّل الى البصرة بعد قتل الحسين (عليه السّلام) ومات حدود سنة المأة وله مأة وثلاثون أو مأة وأربعون سنة، وروى عن جماعة من الصحابة منهم عمرو بن العاص، وروى عنه جماعة منهم حميد الطويل.

سمع هذا الحديث من أبي عثمان وأسنده الى أنس تدليساً، والتدليس في اصطلاح أهل الرجال أن يسمع الحديث من أحد ويسنده الى غيره مسامحة، وهو من آفات الحديث قد ابتلى به أحاديث الخاصّة والعامّة كثيراً، فعلى هذا يكون المرجع في هذا الحديث عمرو بن العاص الذي قد عرفت حاله وحال حديثه المذكور.

الثالث: أنّ الحديث اذا كان مخالفاً للكتاب والسنن القطعيّة فهو زخرف باطل، وقد أمر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)(١) بعرض الحديث عليهما وطرد ما خالفهما، وقد أنزل اللّه تعالى في ذمّ عائشة وصاحبتها حفصة قوله: «ان تتوبا الى اللّه فقد صغت قلوبكما»(٢) أي زاغت(٣) عن

---

(١) أرسل شيخنا المحقّق الحلّي في أوّل كتابه المعتبر عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ستكثر بعدي القالة عليّ، فإذا جائكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب اللّه العزيز، فان وافقه فاعملوا به وإلاّ فردّوه. والنصوص بذلك من طرق الإماميّة عن الأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام) كثيرة مستفيضة، منها: ما تقدّم في أوّل هذه الفائدة عن الإمام الجواد (عليه السّلام) وقد رواه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) عند المأمون ويحيى بن أكثم القاضي وجماعة، فراجع البحار كتاب العلم باب علل اختلاف الأخبار وهو في جزئه الثاني من طبعة الإسلاميّة ص٢١٩.

(٢) لم يختلف أحد في أنّ الآية خطاب لعائشة وحفصة على طريقة الالتفات، كما صرّح به في التفاسير ووردت به النصوص من العامّة والخاصّة، ففي بعضها كما في تفسير الطبري وصحيح البخاري أنّ ابن عبّاس سأل عنها عمر بن الخطّاب فقال: هما عائشة وحفصة، وذكر في ذلك كلاماً طويلاً.

(٣) في الطبري بإسناده عن ابن عبّاس قول اللّه تعالى «فقد صغت قلوبكما» يقول: زاغت قلوبكما يقول: فقد أثمت قلوبكما. وفيه بإسناده عن مجاهد قال: كنّا نرى أن قوله تعالى «فقد صغت قلوبكما» شيء هيّن حتّى سمعت قراءة ابن مسعود: «ان تتوبا الى اللّه فقد زاغت قلوبكما».

←

الحق والصواب من طاعة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وحسن معاشرته بالمحافظة على سرّه وترك إيذائه، ثمّ قال لهما: «وان تظاهراً عليه» أي تتعاونا على إيذائه والبقاء على فعل ما يسوئه: «فانّ اللّه هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» يعني: لايضرّه كيدكما ولاسوء معاشرتكما له، لأنّ مولاه هو اللّه يتولّى اُموره، ثمّ بعد ذلك يظاهره جبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة. ويجوز كون المراد: أنّ اللّه تعالى مولاه وجبريل وصالح المؤمنين وبعد ذلك يظاهره الملائكة.

وعلى كلّ فقد أمرهما بالتوبة لزيغ قلوبهما عن الحقّ وليس ذلك إلاّ لعصيانهما وتفريطهما فيما هو الواجب عليهما من حقّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وإلاّ لم تستحقّا هذا التكليف والعتاب والتهديد الآتي.

والمستفاد من كلمات المفسّرين من العامّة أنّ عصيانهما له إنّما كان بما أشار إليه في أوّل السورة، وهو أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حرّم على نفسه ما أحلّ اللّه له وهو العسل، أو مارية القبطيّة على اختلاف في ذلك بين اخبارهم في سبب نزولها، فالقى النبي (صلى اللّه عليه وآله) ذلك سراً مع سرّ آخر الى حفصة فافشته حفصة لعائشة، فاظهرتا السرور بما فعله النبي (صلى اللّه عليه وآله) من التحريم المذكور، لأن هواهما كان في ذلك

← أقول: لعلّ ابن مسعود إنّما قرأ كذلك تفسيراً لا تلاوة، كما قد روى مثله في غير هذه الآية كثيراً مثل قرائة أنس بن مالك وأصوب قيلاً في قوله تعالى: «وأقوم قيلا» وقرائة علقمة بن قيس فخاطبها من تحتها في «فناداها من تحتها» وقرائة اُبيّ بن كعب وسعد بن أبي وقّاص: «وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو اُخت من اُمّ» بزيادة من اُمّ كما في الكشّاف عنهما، وحكاه شيخنا في ارث الجواهر عن ابن مسعود، وقرائة ابن مسعود أيضاً وغيره وأقيموا الحجّ والعمرة الى البيت في «وأتمّوا الحج والعمرة» كما في الدرّ المنثور.

والحال أنّه كان الواجب على حفصة أن لاتفشي سرّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) وكان الواجب عليهما أيضاً أن لاتظهرا السرور بتحريمه، بل تحبّان ما أحبّه وتكرهان ما كرهه، كما هو مقتضى حسن المعاشرة معه، ولم يكن تحريمه لشيء من العسل أو مارية لكراهته لهما في نفسه بل كان لمرضاة الزوجين حيث كانتا مصرّتين لهذا التحريم، فبذلك قد صغت قلوبهما ووجب عليهما التوبة الى اللّه تعالى وان لاتتظاهرا عليه بترك التوبة والبقاء على شأنهما.

لكنّ الظاهر من لحن الآية بهذا النحو من العتاب ثمّ التعريض بهما للطلاق في الآية الأخرى ثمّ ضرب المثل لهما بامرأتي نوح ولوط (عليهما السّلام)وإنّهمالم يغنيا عنهما من اللّه شيئاً أنّ الخطب كان أعظم وإيذائهما له أكثر، ويؤيّده الخبر الطويل المروي في صحيح البخاري في كتاب التفسير سورة التحريم وتفسير الخازن عن ابن عبّاس عن عمر بن الخطّاب حيث أنّ مفاده أنّهما قد تظاهرتا.

وقد ورد أيضاً في أخبار كثيرة أنّ عائشة كانت تغضب النبي (صلى اللّه عليه وآله) وتوذيه بغيرتها على أزواجه المؤمنات سيّما على سيّدتهنّ خديجة الكبرى التي توفّيت من قبل، فكان النبي (صلى اللّه عليه وآله) يذكرها كثيراً بخير ويثني عليها كثيراً، ويطلب لها الرحمة من اللّه تعالى، ويكرم صدائقها لما تحمّلت في الاسلام من الإيمان باللّه ورسوله والبلاء العظيم بنفسها ومالها.

فعن عائشة قالت[١]: ما غرت على امرأة لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كما غرت على خديجة لكثرة ذكره إيّاها وما رأيتها قطّ. وفي خبر

(١) صحيح مسلم باب فضائل خديجة ونحوها في البخاري وطبقات ابن سعد.

آخر[١] قالت: وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) اذا ذبح الشاة يقول: ارسلوا بها الى أصدقاء خديجة قالت: فاغضبته يوماً وقلت خديجة فقال (صلى اللّه عليه وآله): انّي قد رزقت حُبّها.

وروي أيضاً عنها قالت[٢]: ذكر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يوماً خديجة فاطنب في الثناء عليها، فادركني ما يدرك النساء من الغيرة فقلت: لقد أعقبك اللّه من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، فتغيّر وجه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) تغيّراً لم أره تغيّر عند شيء قطّ إلاّ عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتّى يعلم رحمة أو عذاب.

ومثل ذلك ما ورد أنّها كانت تكسر بمحضر النبي (صلى اللّه عليه وآله) أواني أزواجه اذا أتت واحدة منهن بطعام إليه، فقد فعلت ذلك مرّة باناء اُم سلمة، كما في سنن النسائي باب الغيرة من كتاب عشرة النساء ج٧ واُخرى بإناء حفصة كما في المسند ج٦ ص١١١ وثالثة بإناء صفيّة كما فيه ص٢٧٧ وفي سنن النسائي أيضاً، وقد ذكر في المسند أنّها قالت: فنظر اليّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فعرفت الغضب في وجهه فقلت: أعوذ برسول اللّه أن يلعنني اليوم الخبر.

الى غير ذلك من أفعالها غير المرضيّة، وسوء أدبها ومعاشرتها مع النبي (صلى اللّه عليه وآله) كرفع صوتها عليه، ومخاصمتها له الى أبيها أبي بكر، ومدّ رجليها قدّامه في قبلته حينما يصلّي، واحتيالها مع حفصة في اعتزاله عن زوجته أسماء بنت النعمان قبل أن يدخل بها، واحتيالهما ليمتنع

---

(١) صحيح مسلم الباب المذكور وقولها خديجة انكار لقوله هذا ولكثرة ثنائه عليها.

(٢) رواه كذلك في مسند ابن حنبل ج٦ ص١٥٤ ونحوه في ص١٥٠ ورواه في الاستيعاب في ترجمة خديجة، الاّ أنّه قالت: فغضب حتّى اهتزّ مقدّم شعره من الغضب، ثمّ قال: لا واللّه ما أبدلني اللّه خيراً منها آمنت بي إذ كفر الناس...

عن شرب العسل عند زوجته أُم سلمة أو زينب بقولها كذباً أجد من فيك ريح مغافير.

ومن أراد تفصيل ذلك وغيرها والإشارة الى مداركها فليراجع كتاب أحاديث عائشة للسيّد العسكري، وكتاب السبعة من السلف للسيد الفيروزآبادي، وكتاب المراجعات في المراجعة٧٦ وما بعدها، وكتاب النصّ والاجتهاد في طبعته الثانية للسيّد المحقّق المتتبّع شرف الدين، وغير ذلك من كتب الإماميّة، فقد ذكروا في ذلك أخباراً كثيرة من كتب أهل السنّة، وما ورد فيه من أخبار الإماميّة أكثر وأصرح.

ومن أشنع ما ثبت في ذلك عن عائشة غيرتها وفريتها على جارية النبي (صلى اللّه عليه وآله) المؤمنة مارية القبطيّة حيث أعطاها اللّه تعالى جمالاً رائقاً ووهب لها من النبي (صلى اللّه عليه وآله) غلاماً زكيّاً، فلم تملك عنها عائشة نفسها حتّى اتّهمتها مع المنافقين في ولدها بما يجب أن يكرم عنه النبي (صلى اللّه عليه وآله) وتنزّه عنه ساحته.

وحاصل القضيّة أنّه لمّا كتب النبي (صلى اللّه عليه وآله) الى المقوقس ملك الاسكندريّة يدعوه الى الإسلام وأرسل كتابه مع حاطب بن أبي بلتعة أكرم المقوقس كتابه ورسوله، ثمّ أهدى اليه مع حاطب هذه الجارية وأُختها سيرين وأشياء أُخر، وبعث مع مارية عبداً أسود إسمه مابور كان أخا مارية[١] أو ابن عمها وكان شيخاً مجبوباً ليخدمها وبعث معهم جماعة من أهل بلده لمحافظتهم الى الحجاز، فعرض حاطب الاسلام على مارية فاسلمت

(١) ورد في بعض التراجم أنّه كان أخاها، كما في الإصابة في ترجمة مارية، وعن طبقات ابن سعد في ترجمة ابراهيم، وفي آخر أنّه كان ابن عمّها كما في أُسد الغابة في ترجمة مابور، واحتمل ابن حجر في الإصابة في ترجمة مأبور أنّه كان أخاها لامّها فلامنافاة.

هي واُختها، فلمّا وصلوا الى المدينة قبل النبي (صلى اللّه عليه وآله) تلك الهدايا، فوهب سيرين لحسّان بن ثابت، واتّخذ مارية لنفسه جارية، وكان (صلى اللّه عليه وآله) يكرمها ويقسم لها كأزواجه وضرب عليها الحجاب.

قالت عائشة كما في ترجمة مارية من الإصابة: ما غرت على امرأة إلاّ دون ما غرت على مارية وذلك انها كانت جميلة جعدة، فاعجب بها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وكان أنزلها أوّل ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا، فكان عامّة الليل والنهار عندها حتّى يعني أو عناها فجزعت فحوّلها الى العالية وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك اشدّ علينا انتهى كلام عائشة بلفظه على ما في الإصابة.

فلمّا ولدت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إبنه الكريم ابراهيم، وكان أشبه الناس به، وكان (صلى اللّه عليه وآله) يحبّه كثيراً اشتدّت غيرة عائشة عليها اذ لم يكن لها ولد منه، ثمّ وجد المنافقون من أعدائه فرصة للافتراء عليه فقال أهل الأفك والزور منهم: انّه لحاجته الى الولد ورغبته فيه ادعى ولد غيره يعني ان ابراهيم ولد لمابور (نعوذ باللّه من الرذالة) فرفع ذلك الى النبي (صلى اللّه عليه وآله) وكان ابراهيم يغذي بلبن الضأن اذ كانت اُمه قليلة اللبن.

قالت عائشة كما في مستدرك الحاكم ج٤ ص٣٩: دخل النبي (صلى اللّه عليه وآله) عليّ بابنه ابراهيم ذات يوم فقال: كيف ترينّ؟ فقلت: من غذّى بلبن الضأن يحسن لحمه قال: ولا الشبه قالت: فحملني ما يحمل النساء من الغيرة ان قلت ما رأيت شبها أرادت بذلك تأييد افك الآفكين لقولها فحملني ما يحمل النساء من الغيرة فلمّا طالت عليه الألسنة وقوى الافتراء قال (صلى اللّه عليه وآله) لعليّ (عليه السّلام): اذهب الى مأبور واقتله فقال علي (عليه السّلام): أكون كالسكّة المحماة أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله): بل الشاهد يرى ما لا يرى

الغائب، فجاء علي (عليه السّلام) فوجده مجبوباً ممسوحاً، فرجع الى النبي (صلى اللّه عليه وآله) فأخبره، فقال (صلى اللّه عليه وآله): الحمد للّه الذي صرف عنّا السوء. وان اردت تفصيل القضيّة فراجع طبقات ابن سعد والإصابة والإستيعاب واسد الغابة في ترجمة ابراهيم وأُمه مارية ومأبور وحاطب بن أبي بلتعة، ومستدرك الحاكم والبحار باب عدد أولاد النبي (صلى اللّه عليه وآله) من المجلد السادس من الطبعة القديمة وهو في الجزء ٢٢ من الطبعة الجديدة وغير ذلك.

وحاصل البحث انه بعد ملاحظة ما ذكرنا في شأن أم المؤمنين عائشة والتأمّل فيه ورعاية الإنصاف هل يمكن أن يعترف القلب حقيقة بأن تكون عائشة محبوبة للنبي (صلى اللّه عليه وآله) اصلاً فضلاً عن أن تكون أحبّ النساء إليه؟ كلاّ واللّه العظيم.

أضف الىٰ ذلك أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) أخبرها منذراً بأنّها تخرج بعده من بيتها على جمل أدبب، فتهتك سترها وحرمته فتحارب عليّاً أخاه ووصيّه ويقتل دونها الوف من المسلمين، فكيف تكون مع ذلك أحبّ إليه وقد جعل (صلى اللّه عليه وآله) حرب عليّ حربه، كما تقدّم عن النصوص الصحيحة حتّى بالنسبة الى بضعته المرضيّة التي أنزل اللّه تعالى في شأنها ما أنزل من آيات نذكر بعضها في التالي ونوّه النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بفضائلها المتكثّرة وخصائصها المتظافرة.

أم كيف يكون أبوها أبو بكر أحبّ الرجال إليه حتّى بالنسبة الى علي (عليه السّلام) مع أنّ عليّاً كان بمنزلة نفس النبي (صلى اللّه عليه وآله) كما في آية المباهلة وجعله النبي (صلى اللّه عليه وآله) أخاه مرّتين(١) وبمنزلة

---

(١) وذلك حينما آخى بين أصحابه مرة في مكّة بين المسلمين الأولين قبل الهجرة، ←

هارون من موسى، وانّه (صلى اللّه عليه وآله) في يوم خيبر أعطى رايته أبا بكر فتقدّم بها ولكن رجع خائباً، ثمّ دفعها الى عمر فرجع كذلك، ثمّ قال (صلى اللّه عليه وآله) كما في الإستيعاب[1] وغيره: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله ليس بفرّار يفتح اللّه على يديه فدعا بعلي (عليه السّلام) و هو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه الراية ففتح اللّه عليه، فانّ الظاهر من هذا الكلام في ذاك المقام هو التعريض بصاحبيه وانّهما

← وأُخرى بعد الهجرة بخمسة أشهر في المدينة بين المهاجرين والأنصار، ففي كلتيهما اصطفى منهم لنفسه علياً، وقال له في كلّ مرّة: أنت أخي في الدنيا والآخرة، كما ذكره في الاستيعاب في ترجمته، والسيرة الحلبيّة ج٢ ص٢٠ و٩١ وغيرهما، وقد ذكر المحقّق شرف الدين في المراجعة٣٢ من مراجعاته تحقيقاً لطيفاً حول القضيّة ينبغي أن يراجعه أهله فيعرف انه كيف فضّل اللّه ورسوله عليا على جميع الصحابة.

(١) رواه في الاستيعاب في ترجمة علي (عليه السلام) عن سعد بن أبي وقّاص وسهل بن سعد وأبي هريرة وبريدة الأسلمي وأبي سعيد الخدري وعبداللّه بن عمر وعمران بن حصين وسلمة بن الأكوع كلّهم بمعنى واحد، ونحوه في خصال الصدوق ومناقب الخوارزمي بإسنادهما عن أبي الطفيل عامر بن واثلة في حديث الشورى حيث احتجّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) به في فضائله على أهل الشورى فاعترفوا له بذلك جميعاً، وفي بعض الأخبار زيادة لفظ كرّار غير فرّار، كما في تاريخ اليعقوبي، ومجمع البيان في تفسير سورة الفتح، وأمالي شيخنا الطوسي (عليه الرحمة) في حديث الشورى ج٢ ص١٦٠ عن أبي ذر الغفاري (رضى اللّه عنه).

أقول: ولاهميّة قصّة خيبر وفتحها على يد علي (عليه السّلام) وقول النبي (صلّى اللّه عليه وآله) في شأنه وظهور المعجزة له ألّف شيخنا المحدّث المتتبع قوام الدين القمي الوشنوي (حفظه اللّه) رسالة جمع فيها ما أورده أهل السنّة في كتبهم من التاريخ والفضائل مما يقرب من ستّين كتاباً عن أكثر من عشرين صحابياً، وقد ورد قول النبي (صلّى اللّه عليه وآله) في بعضها بنقيصة من اللفظ المذكور، لكن أكثرها متفقة على لفظة يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله.

ليسا بهذه الصفات.

هذا وقد شطّ بنا القلم وطال الكلام في هذا الباب حتّى صار بحمد اللّه كرسالة مستقلّة، وذلك لسعة جوانبه واستدعاء كلّ جانب منه الى التحقيق لئلاّ يشذّ منه شيء دخيل فيه، وتعرّضنا أيضاً في اثنائها لمطالب أُخر مفيدة في البحث أو لمحض الاستطراد، سيّما في هذه الفائدة الأخيرة التي بحثنا فيها عن شيء من أحوال أُم المؤمنين عائشة، حيث انّ اخواننا أهل السنّة قد بالغوا في رفع شأنها بمالا تقول به عائشة لنفسها، حتّى أنّ ابن حزم الأندلسي ذكر في كتابه الفصل عند التكلم في وجوه الفضل بين الصحابة من جزئه الرابع أن أفضل الامة بعد نبيها (صلى اللّه عليه وآله) عائشة معتمداً فيه على وجوه باردة منها الحديثان المذكوران في فضلها عن أنس وعمرو بن العاص، وذكر نحوه أيضاً في رسالته في المفاضلة بين الصحابة.

وهذا الرّجل كان من أهل النظر والإستدلال كما يظهر من كتابه المحلى في الفقه، فربّما يفتي فيه بما يراه حقّاً وان كان مخالفاً لجميع سلفه، كتحريم القياس في أحكام الشرع، لكن كان له أيضاً نوادر وآراء سخيفة مبنيّة على اعوجاج السليقة. وذكر ابن خلكان في وفياته انّ جدّه كان من موالي يزيد بن أبي سفيان، فينبغي أن يقال له ما كتبه أمير المؤمنين (عليه السّلام) الى معاوية، كما في نهج البلاغة في المكتوب ٢٨: وزعمت أنّ أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً ان تمّ اعتزلك كلّه، وان نقص لم يلحقك ثلمته، وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم الى آخره. وان شئت العثور على بعض نوادره وما قيل في شأنه فراجع الفصول المهمّة لشرف الدين في الفصل العاشر منه، وكتاب

الغدير[١] لشيخنا الأميني (رحمهما اللّه) في الجزء الأوّل والثالث، والحمد للّه رب العالمين.

الباب الثامن: في فضلها وسيادتها على النساء

انّ اللّه تعالى خصّ بعض عباده المؤمنين بفضائل عظيمة من العلم والحكمة والطهارة والرسالة والعصمة والإخلاص، وغير ذلك من البركات والكمالات المعنويّة، ففضّلهم بها على سائر خلقه، وجعلهم أئمّة يهدون بامره، كما قال تعالى: «ان اللّه اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذريّة بعضها من بعض واللّه سميع عليم» وقال (عزّوجلّ): «يختصّ برحمته من يشاء واللّه ذوا الفضل العظيم» وغير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في شؤون الأنبياء وتفضيلهم ووجوب طاعتهم وولايتهم.

وقد خصّ اللّه تعالى من جماعة النساء مريم بنت عمران بالتفضيل والتكريم ما كاد يلحقها بمقام الأنبياء، فقال عزّ من قائل «وإذ قالت الملائكة يا مريم انّ اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين» فذكر في هذه الآية من كراماتها تكليم الملائكة لها وإصطفائها مرّتين[٢] وتطهيرها من الفواحش الظاهرة والأرجاس الروحيّة من الشكّ في اللّه والشرك والكفر ورذائل الأخلاق، ويحتمل كون المراد أعمّ منها ومن دنس الطمث

(١) فممّا حكي عنه أنّ قاتل أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقاتل عمّار بن ياسر (رضى اللّه عنه) معذوران لخطائهما في الإجتهاد على خلاف الضرورة والنصوص الكثيرة الثابتة عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) في عظم ذلك.

(٢) قيل في تفسير المرّتين وجوه، ولايبعد أن يكون المراد بيان نفس التعدّد.

العارض لطبيعة النساء، كما ورد في بعض الأخبار انّها بتول لم تر حمرة قطّ(١).

ومن كراماتها في القرآن انّ اللّه تعالى تقبّلها بقبول حسن أي لخدمة الكنيسة إجابة لدعاء اُمها ولم تكن الأُنثى لائقة لهذا المقام، وأنّه تعالى أنبتها نباتاً حسناً أي كان نموها أحسن من غيرها في الطبيعة البشريّة وكفّلها زكريّا أي صيّر زكريّا النبي (عليه السّلام) كفيلاً لها حيث أنّها أوتمت من أبيها، فتشاحّ في كفالتها أحبار بني اسرائيل إذ كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فأقرعوا لها، كما قال اللّه تعالى «وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون(٢) فأخرج اللّه القرعة لزكريّا (عليه السّلام) وهو زوج خالتها أو اُختها على اختلاف الأخبار، والخالة أو الأُخت الكبرى بمنزلة الأُمّ، وقد ورد في الأخبار أنّ مريم اُوتمت من الأم أيضاً.

ثمّ ذكر اللّه سبحانه من كراماتها العالية أنّه رزقها من عنده بغير الأسباب العادية «كلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند اللّه»(٣) فروي أنّه كانت عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس، وانّه كلّمتها الملائكة مرّة اُخرى وقالت «يا

---

(١) تقدّم ذلك في باب أسماء فاطمة (عليها السّلام) لكن روي أيضاً كما في البحار باب قصص مريم ج١٤ من الطبعة الجديدة خلافه والترجيح للأول، فإنّه أوفق بعموم ظاهر الآية وما ورد في تكريمها.

(٢) قيل: إنّ القرعة لاتكون إلاّ بعد التشاح، فقوله تعالى «إذ يختصمون» اشارة الى أنّ تشاحّهم كان على حدّ الخصومة، وورد في بعض الأخبار أنّهم تقارعوا فيها مرّة اُخرى بعد ما ولدت عيسى، فراجع البحار باب قصصها.

(٣) تقدمّ في الباب السادس أن هذه الكرامة ثبتت للزهراء (سلام اللّه عليها) أيضاً.

مريم انّ اللّه يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين ويكلّم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين» ثمّ أرسل اللّه إليها روحه «فتمثّل لها بشراً سوياً» فانكرته واستعاذت منه باللّه العظيم، فقال لها الروح الأمين «إنّما أنا رسول ربّك لأهب لك غلاماً زكيّاً» بقدرة اللّه وإرادته من غير زوج ليكون آية للناس ورحمة، ثمّ لمّا أجائها المخاض أي وجع وضع الحمل الى جذع نخلة للراحة واستوحشت من الوحدة وخافت تهمة قومها ناداها ولدها المبارك لانسها وطيب نفسها من رحمها أو من وجه الأرض، وقيل: ناداها الملك حيث كان محافظاً لها في مكان أسفل من موضعها «أن لاتحزني قد جعل ربّك تحتك سرياً» أي جدولاً من عذب ماء[1] «وهزّي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً» أي طرياً كالمجنيّ باليد في الطراوة والسلامة بخلاف ما يسقط منها بنفسه أو بهزّ الريح فانّه معيب غالباً أو يابس، وروي أنّ اللّه تعالى أظهر لها في تلك الحال جدول الماء وأحيى لها جذع النخلة اليابسة وأثمرها الرطب دفعة في غير أوانه، كما أنبت شجرة من يقطين على يونس النبي (عليه السّلام) واخرج ماء زمزم بمكة لاسماعيل (عليه السّلام).

وبالجملة قد جعل اللّه تعالى هذه المرأة المكرّمة من آياته البيّنة ودلائله القيّمة على قدرته وتوحيده، كما قال (عزّوجلّ) «وجعلناها وابنها آية للعالمين» فبذلك فضّلها على سائر الناس وجعلها سيّدة النساء.

ثمّ جعل اللّه سبحانه في اُمّة الإسلام بضعة سيّد أنبيائه (صلوات اللّه

---

(١) تفسير السرى بذلك معروف، كما في جامع الطبري والدرّ المنثور، إلاّ أنّهم اختلفوا في أنّه بلغة الحجاز أو النبط، وقيل: هو بمعنى الشريف، فالمراد ولدها المبارك لشرفه وسيادته، والأوّل أظهر وأنسب بما بعده، ورواه الطبرسي في تفسيره الجوامع عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) مرسلاً.

عليه وعلى آله) عديلة مريم في التفضيل والسيادة بل أفضل منها[١] فقد خصّها من نساء المؤمنين بفضائل عظيمة وأنزل في شؤونها العالية آيات كريمة، ووردت عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في صحاح الخاصّة والعامّة سنن قويمة يقصر عن إحصائها هذا المختصر، فإنّما نذكر في هذا الباب يسيراً منها، كما أنّ جميع ما مرّ من النصوص في الأبواب السابقة سيّما الباب الثاني مصرّحة بذلك.

فممّا نزل فيها من الآيات القرآنيّة قوله تعالى[٢] «فمن حاجّك فيه من بعد ما جائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة اللّه على الكاذبين» ومجمل القضيّة[٣] أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كتب في السنة العاشرة من

---

(١) أفضليتها على مريم (عليها السّلام) أمر مفروغ عنه عند أئمّة العترة الطاهرة وأوليائهم من الشيعة الإماميّة، ويأتي تحقيقه انشاء اللّه تعالى في آخر هذا الباب من هذه الرسالة.

(٢) هذه هي الآية الإحدى والستّون من سورة آل عمران، والمستفاد من بعض النصوص أنّها وآيتين قبلها نزلت في قضيّة وفد نجران منفردة عمّا قبلها من آيات أوّل السورة، ولكن ورد في بعض ما رواه في البحار لهذه القضيّة، وفيما حكاه الواحدي في أسباب النزول، والسيوطي في الدرّ المنثور في أوّل تفسيرهما للسورة عن غير واحد أنّ جميعها الى بضعة وثمانين آية نازلة فيهم، وانّ كلّ واحدة منها ناظرة الى بعض أمورهم مثل أن قوله تعالى: «زين للناس حبّ الشهوات» الخ اشارة الى ما كانوا عليه من التجمّل، وهذا ربّما يكون مخالفاً لما رووه في جملة منها من شأن نزول آخر لها، نعم لاريب أنّها مرتبطة بالقضيّة في المعنى حتّى قيل: إنّها من قبيل براعة الاستهلال، والتفصيل في ذلك خارج عن حدّ المجال، واللّه العالم بأسرار كلامه.

(٣) تفصيلها مذكور في كتب السير والأخبار، لاسيّما بحار الأنوار في بابي المباهلة من الجزء ٢١ و٣٥ من الطبعة الجديدة، حيث أورد فيهما كثيراً ممّا رواه الخاصّة والعامّة وأورد في أوّلهما خبراً طويلاً عن السيّد ابن طاووس (رحمه اللّه تعالى) في اقباله ←

الهجرة الى أسقف نجران وأهلها يدعوهم الى الإسلام وعبادة اللّه وتوحيده، وان أبوا فالجزية، وإلاّ فالحرب العوان[١] وكان أهل نجران نصارى متعبّدين متعصّبين في ديانتهم. وقد روى الكليني (رحمه اللّه) في الكافي باب أرواح الكفّار من كتاب الجنائز عنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) انّ شرّ النصارى نصارى نجران. وروى السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية عنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول: ليت بيني وبين أهل نجران حجاباً، فلاأراهم ولايروني من شدّة ما كانوا يمارونه.

فلمّا قرأ الأسقف كتابه فزع شديداً ودعا أهل مشورته وأعلمهم به، فكانت بينهم المؤامرات في ذلك والمقاولات حوله وما يلزمهم من الأعمال تجاهه، حتّى اجتمع رأيهم على أن يأتوا النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في

← ذكر فيه ما حدث في نجران من المؤامرات والمناظرات الكثيرة بين رؤسائهم وما ذكروه من البشائرالواردة في كتب الأنبياء(عليهم السّلام)في شأن نبينا(صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأوصافه وفضائل بضعته الطاهرة وعترته الأطيبين، ثمّ ذكر فيه تفصيل قدومهم المدينة ومناظرتهم للنبي وكيفيّة خروجه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) للمباهلة وإقدامه عليها ونكوصهم عنها، فالحقّ كما نبّه عليه سيّدنا المحقّق شرف الدين (رحمه اللّه تعالى) في رسالته الكلمة الغرّاء أن يخرج الخبر من كتاب الإقبال وينشر كرسالة على حدة بعد التحقيق في تفسير كلماته الغريبة وتوضيح مواضعه المشكلة، والرجوع لذلك الى سائر النصوص الواردة في بشائر النبوّة، بل الحقّ أيضاً أن يترجم بغير العربية تتميماً لفوائده، وقد روى في البحار باب تفضيل الأئمّة على الأنبياء ج٢٦ شطراً من هذا الخبر عن كتاب تفضيل الأئمّة للحسن بن سليمان الحلّي عن جمع من الصحابة، وفي عدّة مواضعه زيادة على ما في الإقبال لايستغني عنها الباحث.

(١) ورد نصّ كتابه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في تاريخ اليعقوبي والدرّ المنثور، وحكاه شيخنا الأحمدي (سلّمه اللّه) في الجزء الأوّل من مكاتيب الرسول عن غيرهما.

المدينة فيناظروه ويحاجّوه في دينهم ودينه، فركب منهم أربعون فارساً من أعيانهم، وقيل: ستّون، وفي بعض الأخبار سبعون، وفيهم أربعة عشر من زعماء القوم وفي الأربعة عشر ثلاثة يؤول إليهم الأمور في نجران وهم السيّد وإسمه الأيهم وهو ثمالهم(١) وصاحب رحلهم، والعاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم الذي لايصدرون إلاّ عن أمره ورأيه وإسمه عبدالمسيح، وأبو حارثة أو أبو الحارث بن علقمة وإسمه حصين كما في خبر الاقبال، وهو أسقفهم الأول(٢) وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وكنائسهم، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم شرّفوه وموّلوه وبنوا له الكنائس لعلمه وإجتهاده فوفدوا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعليهم ثياب الحبرات وأردية الحرير متختّمين بالذهب، وقال من رآهم من الصحابة: ما رأينا وفداً من وفود العرب الذين قدموا المدينة تلك الأيام أجمل من هؤلاء، فأعرض عنهم النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حتّى غيّروا ما عليهم من الثياب والخواتيم.

ثمّ جرت بينهم كلمات ومناظرات وكانت عمدة مناظراتهم في شأن عيسى المسيح (سلام اللّه عليه) فممّا قال أبو حارثة الأسقف: ما تقول في المسيح؟ فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): هو عبداللّه ورسوله، فقالوا: ان كان عبداً فمن أبوه ولايكون بشر من غير أب؟ فأنزل اللّه

---

(١) بكسر الثاء المثلثة أي من يقوم بأمرهم والأيهم بفتح الهمزة وزان جعفر.

(٢) الأسقف لفظة معربة يقال لرئيس النصارى في الدين وهو فوق القسيس دون المطران، والمستفاد من أخبار القضيّة أنّه كان في نجران يوم ذاك أساقفة، وكان أبو حارثة مقدمهم وأسنّهم. وفي الدر المنثور عن ابن عبّاس ما يدلّ على أنّ السيّد والعاقب أيضاً من الأساقفة.

سبحانه «انّ مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» فلمّا أصرّوا على جهلهم ولجاجهم وأنزل اللّه تعالى فيهم «فمن حاجّك فيه» الخ قال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ان اللّه تعالى أمرني بمباهلتكم على أن نجعل اللعنة على الكاذب، فرضوا به وقالوا: أنصفت، فتواعدوا لها غداً.

فلمّا رجعوا الى منازلهم قال الأسقف وغيره من رؤسائهم: ان باهلنا بقومه وأصحابه باهلناه فانه ليس بنبيّ، وان باهلنا باهله خاصّة فاحذروا مباهلته فانه صادق، فلمّا أصبحوا غدا النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) محتضناً للحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها، وفي رواية أُخرى آخذاً بيد علي والحسنان بين يديه وفاطمة تتبعه، وفي ثالثة كان بيمينه علي وبيساره الحسن والحسين ومن ورائهم فاطمة[1] وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فامّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو سألوا اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلاتباهلوهم فتهلكوا ولايبقى على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة، ففزعوا وأرسلوا الى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يقيلهم ويعفيهم عن المباهلة[2] ويرضى

---

(١) حاول السيّد بن طاووس (رحمه اللّه) في كتابه سعد السعود للجمع بين ذلك بأنّ مكان المباهلة كان بعيداً عن بيته (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فاختلف نظم حركتهم، فروى كلّ أحد من الناس ما رآه.

(٢) المستفاد من نصوص الباب أنّ استقالتهم كانت بعدما حضر النبي وأهله (عليهم الصلاة والسّلام) موضع المباهلة وتهيّؤوا لها منتظراً لحضور الخصم، وقد أقبل الناس من المهاجر والأنصار وغيرهم لينظروا الأمر، فعند ذلك قال الأسقف: جثي واللّه محمّد كما يجثوا الأنبياء للمباهلة، فخافوا وقالوا: يا أبا القاسم أقلنا. وفي الخبر كما في البحار عن سعد السعود ونحوه عن الأقبال أنّه لما رفع النبي (صلّى اللّه عليه ←

عنها بالمصالحة على حكمه في أموالهم بما يريد، فأقالهم وصالحهم على الجزية في كلّ سنة، وكتب لهم بها كتاباً[1] وقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كما في كشّاف الزمخشري وتفسير الرازي والسيرة الحلبيّة: والذي نفسي بيده أنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران ولولاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل اللّه نجران وأهله حتّى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلّهم حتى يهلكوا اقول ليتهم قد فعلوا ليأمن المسلمون من فتنهم ولكن للّه الامر.

وروي أيضا كما في البحار فيما حكاه عن كتاب الإقبال وسعد السعود والإختصاص أنّه قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) للسيّد والعاقب: أما انّكم لو باهلتموني بمن تحت الكساء لاضرم اللّه عليكم الوادي ناراً تأجج، ثمّ لساقها اللّه (عزّوجلّ) في أسرع من طرف العين الى من ورائكم فحرّقتهم تأجّجاً. والمراد بمن تحت الكساء علي وفاطمة والحسنان (عليهم السّلام) حيث أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أمر بقصد شجرتين فكنس ما بينهما، ثمّ أمر بكساء أسود فنشر عليهما وأدخلهم تحته، كما ورد

← وآله وسلّم) يده الى السماء اصفرّ لون السيّد والعاقب وزلزلا حتى كاد أن تطيش عقولهما. هذا وقد صرّح في النصوص أيضاً بأنّهم اعترفوا بنبوّة نبيّنا (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قبل أن يقدموا المدينة وأنّه انقطع عذرهم بحضورهم عنده، فكان قبولهم للمباهلة أولاً لجاجاً كما قال اللّه تعالى «من بعد ما جائك من العلم» ونكوصهم عنها لمشاهدة امارات الهلاك.

(١) قدوردنصّ الكتاب في كتب السير، كإرشادالمفيدوتاريخ اليعقوبي على اختلاف يسيرفي ألفاظهما، وأورده شيخنا الأحمدي الميانجي (حفظه اللّه تعالى) في أوّل الجزء الثاني من كتابه القيّم مكاتيب الرسول بصورة مبسوطة وشرحه بما ينبغي مراجعته، وحاصل الجميع أنّه صالحهم على ألفي حلّة من حلل الأواقي يؤدّونها ألفاً في رجب وألفاً في صفر، وشرط عليهم اُموراً اُخر مذكورة فيها.

ذلك في صدر هذا الخبر(١).

وقد أشار الإمام موسى بن جعفر (عليهما السّلام) إليه في مناظرته لهارون، فقال كما رواه الصدوق في كتابه العيون في الحديث التاسع من الباب السابع: ولم يدّع أحد أنّه أدخل النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) تحت الكساء عند المباهلة للنصارى إلاّ علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) فكان تأويل قوله تعالى «أبنائنا» الحسن والحسين (عليهما السّلام) «ونسائنا» فاطمة «وأنفسنا» علي بن أبي طالب. ويأتي في شرح آية التطهير أنّ قضيّة الكساء متعدّدة، وهذه منحازة عما كان في بيت أُمّ سلمة وغيره عند نزول تلك الآية، واللّه العالم.

وروى في مجمع البيان في تفسير الآية، وفي الإصابة في ترجمة السيّد النجراني من حرف السين، أنّ السيّد والعاقب لم يلبثا إلاّ يسيراً حتّى رجعا الى النبي (صلى اللّه عليه وآله) في المدينة وأسلما، فأنزلهما النبي (صلى اللّه عليه وآله) في دار أبي أيّوب الأنصاري، كما ورد في عدّة أخبار أنّ أبا حارثة الأسقف أيضاً كان عارفاً بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) ومقراً به لقومه قبل قدومه المدينة وبعده، لكن لم يسلم حرصاً على موقعه ورياسته التي حازها من قبل ملوك الروم، وقد صرّح بذلك لاخيه كرز بن علقمة وقال له: انّه النبي الذي كنّا ننتظره، فأضمر أخوه على ذلك حتّى إذا قدم المدينة أسلم كما ذكره صاحب مجمع البيان في كتابه اعلام الورى.

فظهرت بذلك كلّه بحمد اللّه أعلام النبوّة ودلائلها لكلّ أحد من المؤمن والكافر الى يوم القيامة؛ لأنّ آية المباهلة في القرآن باقية إليها ببيان

---

(١) يظهر من ذلك أنّ مكان المباهلة كان خارج المدينة، ومرآنفاً عن ابن طاووس (رحمه اللّه) أنّه كان بعيداً عن بيت النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وسمعت من بعض الحجاج الزائرين أنّه الآن معروف عند الشيعة يزورونه وراء مقبرة البقيع.

واضح وحجّة بالغة، كما ظهر بها أيضاً فضل أهل بيته الأطيبين (عليهم السّلام) فضلاً لايواسيه فضل ومكرمة لم يثبت مثلها لأحد غير المقرّبين والمرسلين، حيث قد صاروا برهاناً قاطعاً لتوحيد اللّه ورسالة نبيّه (صلى اللّه عليه وآله) وكانت آثار القدس والجلال الإلهي والقرب من اللّه تعالى مشهودة من ظواهر أحوالهم لخصومهم الذين هم من أهل الكتاب وذوي المعرفة بشؤون الأنبياء (عليهم السّلام) وذلك لما ورد في الأخبار من قول الأسقف لأصحابه: انّي لارى وجوهاً لو سألوا اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، كما نصّ بذلك في تفسير الثعلبي والزمخشري والرازي والخازن والبيضاوي وغيرها من كتب التفسير والسير. وقال الزمخشري في آخر القصّة: وفيه دليل لاشيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء.

أضف الى ذلك قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) لهم: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فانّه (صلى اللّه عليه وآله) على جلالته وثقته بنفسه في القرب من اللّه تعالى واستجابة دعواته يرى تأمينهم لدعائه متمّماً لغرضه في الإستجابة فقرن انفسهم بنفسه قربا وكرامة عند اللّه عزّوجلّ.

وأيضاً مقتضى قوله تعالى: «ونسائنا» أنّه (صلى اللّه عليه وآله) كان مأموراً بدعوة عدّة من نسائه وأقلّهن ثلاث، كما هو مفاد صيغة الجمع في العرف واللّغة، لكن لم يدع منهنّ أحداً من أزواجه المؤمنات وقراباته المهاجرات، كعمتّه المكرّمة صفيّة وبنات أعمامه وعمّاته وامامة بنت كريمته زينب من أبي العاص بن الربيع، وكانت أيّام المباهلة مبلغ[١] النساء، وكان (صلى اللّه عليه وآله) يحبّها كثيراً ويكرمها كما في ترجمتها من الإستيعاب

---

(١) فانّه تزوّجها علي (عليه السّلام) بعد وفاة فاطمة (عليها السّلام) بثلاثة أيّام في السنة الحادية عشر، وكانت المباهلة في السنة العاشرة.

والإصابة، فلم يخرج منهنّ أحداً إلاّ بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) فهذا دليل على أنّه لم يكن عنده لهذه المهمّة غيرها من النساء، كما لم يكن عنده من الأنفس والابناء غير علي وولديه (عليهم السّلام) وقد تواترت النصوص من طرق الشيعة والسنّة على أنّه (صلى اللّه عليه وآله) لم يخرج لها غيرهم.

فقد مرّ آنفاً عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السّلام) أنّه قال لهارون: لم يدّع أحد أنّه أدخل فيها إلاّ إيّاهم. وروى مسلم في صحيحه والترمذي في جامعه باب فضائل علي (عليه السّلام) ومناقبه بإسنادهما عن سعد بن أبي وقّاص أنّ معاوية بن أبي سفيان أمره فقال له: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال له سعد: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فلن أسبّه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ الي من حمر النعم الى أن قال: ولمّا نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم» الخ دعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي. ورواه ابن حنبل في مسنده ج١ ص١٨٥ والحاكم النيشابوري في مستدركه ج٣ ص١٥٠والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عند آية المباهلة، وشيخنا الطوسي في أماليه ج١ ص٣١٣ طبعة النجف بإسنادهم عن سعد بن أبي وقّاص، لكن بدون ذكرهم لقصّة معاوية معه وامره اياه يعني بالسبّ.

وقال الحاكم النيسابوري في كتابه معرفة علوم الحديث ص٥٠ طبعة بيروت: قد توارت الأخبار في التفاسير عن عبداللّه بن عبّاس وغيره أنّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أخذ يوم المباهلة بيد علي والحسن والحسين وجعلوا فاطمة ورائهم، ثمّ قال: هؤلاء أبنائنا وأنفسنا ونسائنا فهلمّوا أنفسكم وأبنائكم ونسائكم ثمّ نبتهل.

وقال الجصّاص(١) في أحكام القرآن: نقل رواة السير ونقلة الاثر لم يختلفوا فيه أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة (رضي اللّه عنهم) ثمّ دعا النصارى الذين حاجّوه الى المباهلة فاحجموا عنها، وقال بعضهم لبعض: ان باهلتموه اضطرم عليكم الوادي ناراً ولم يبق نصراني ولانصرانية الى يوم القيامة.

وقال شيخنا الطبرسي في مجمع البيان: أجمع المفسّرون على أنّ المراد بأبنائنا الحسن والحسين وبنسائنا فاطمة لأنّه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء، ثمّ قال: لا أحد يدّعي دخول غير علي وزوجته وولديه فيها.

وقال الفخر الرازي في تفسير الآية بعد إيراد القصّة مفصّلاً: وروي أنه (صلى اللّه عليه وآله) لّما خرج في المرط الأسود جاء الحسن فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ فاطمة، ثمّ علي (رضي اللّه عنهم) ثمّ قال (صلى اللّه عليه وآله): «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» ثمّ قال الرازي: واعلم أنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث. ونحوه في تفسير النيسابوري بعدما نسب فيه الرواية الى عائشة، وسيأتي البحث فيها في ذكر آية التطهير إنشاء اللّه تعالى.

وبالجملة النصوص وكلمات أعلام الفريقين في اختصاص هذه الفضيلة العظيمة بهؤلاء الخمسة (عليهم السّلام) كثيرة لايكاد ينكره إلاّ مكابر، وقد احتجّ بها أمير المؤمنين (عليه السّلام) بصورة المناشدة في سائر فضائله تارة على أبي بكر لاحقيّته منه بالخلافة، واُخرى على أصحاب

(١) هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي الفقيه الحنفي، قال الخطيب في تاريخه ج٤ ص٣١٤: امام أصحاب الرأي في وقته، كان مشهوراً بالزهد والورع، ورد بغداد في شبيبته ودرس الفقه ولم يزل حتى انتهت إليه الرياسة ورحل إليه المتفقّهة الى آخر كلامه فيه توفّى سنة سبعين وثلاثمائة وكتابه المذكور تفسير لآيات في فروع الاحكام بترتيب القرآن وذكر ما في المتن هنا في سورة آل عمران.

الشورى لأولويّته منهم بالبيعة، وثالثة على جماعة المهاجرين والأنصار أيّام خلافة عثمان لافضليّته على جميع الصحابة، ففي كلّ هذه المواقف كانوا يصدقونه في اختصاص الآية به وبأهله وولديه (عليهم السّلام)(١).

واحتج بها الإمام الحسن (عليه السّلام) يوم وادع معاوية في خطبته المشهورة على رؤوس الاشهاد والجمّ الغفير فقال في جملة فضائلهم وخصائصهم: أخرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) للمباهلة من الأنفس معه أبي، ومن البنين إيّاي وأخي، ومن النساء اُمّي من الناس جميعاً، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه(٢).

ومثله الامام الحسين (عليه السّلام) في مشهد منى قبل موت معاوية بسنة أو سنتين، وكان ذلك بعد ما حذّر معاوية الناس شديداً عن ذكر فضيلة لعلي (عليه السّلام) وأمرهم بوضع الفضائل المزعومة للخلفاء ونشرها بين عوام الناس، فجمع الامام (عليه السّلام) هناك بني هاشم وكثيراً ممّن حجّ من الصحابة والتابعين المعروفين بالصلاح فقام فيهم خطيباً، وأجهر بفضائل كثيرة لأمير المؤمنين (عليه السّلام) من جملتها أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يأت لمباهلة النصارى إلاّ به وبصاحبته وابنيه

---

(١) كما في احتجاج الطبرسي في حديثي إحتجاجه (عليه السّلام) على أبي بكر وأصحاب الشورى، وخصال الصدوق (عليه الرحمة) في حديث إحتجاجه على أبي بكر من أبواب الأربعين، وأمالي الطوسي حديث يوم الدار ج٢ ص١٦٣ طبع النجف، وكتاب سليم بن قيس، وصواعق ابن حجر في بابه الحادي عشر، حيث روى عن الدارقطني أنّ علياً (عليه السّلام) إحتجّ على أهل الشورى فقال: أنشدكم باللّه هل فيكم أحد أقرب الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في الرحم منّي ومن جعله نفسه وأبنائه أبنائه ونسائه نسائه غيري؟ قالوا اللهمّ لا.

(٢) كما في أمالي الطوسي ج٢ ص١٧٧ ونحوه في ص١٧٢.

فعرفه الحاضرون وقالوا: اللهمّ نعم[١].

ثمّ انّه بعد ملاحظة هذه النصوص والكلمات وغيرها ممّا لم نذكر سيّما ما ورد في كتب أهل السنة[٢] من الأخبار وكلمات الأعلام يجزم كلّ معتدل منصف باختلاق ما رواه الحلبي في سيرته مرسلاً، وتبعه الدحلاني أنّ عمر بن الخطّاب قال للنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): لولاعنتهم يا رسول اللّه بيد من كنت تأخذ قال: آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة. وما رواه ابن عساكر كما في تفسير الآلوسي عن جعفر بن محمّد عن أبيه (رضي اللّه عنهم) أنّه لما نزلت الآية جاء بأبي بكر وولده وبعمر وولده وبعثمان وولده وبعلي وولده، وقد اعترف الآلوسي على تعصّبه بأنّ المشهور المعوّل عليه لدى المحدّثين هو الأوّل، وانّ هذا خلاف ما رواه الجمهور.

وأفظع من ذلك ما حكاه صاحب المنار في تفسيره عن استاده أنّه قال: الروايات متّفقة على أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديهما: ويحملون كلمة «نسائنا» على فاطمة، وكلمة «أنفسنا» على علي فقط، ومصادر هذه الروايات الشيعة ومقصدهم منها معروف، وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا حتّى راجت على كثير من أهل السنة، ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فانّ كلمة

(١) كما في كتاب سليم بن قيس الهلالي، وحكاه عنه في البحار في المجلّد الثامن من الطبعة القديمة الكمبانية ص٥٦٤.

(٢) ألّف شيخنا المحدّث المتتبّع قوام الدين الوشنوي (سلّمه اللّه تعالى) رسالة في أهل البيت وآية المباهلة، جمع فيها جملة ضافية ممّا أورده أهل السنّة في كتب التفسير والحديث والتاريخ، ثمّ ذكر فيها أنّ نقل أحاديث الباب من طرق الشيعة الإماميّة ونقل كلمات أعلامهم يحتاج الى رسالة مفردة أُخرى.

«نسائنا» لايقولها العربي ويريد بها بنته لاسيّما اذا كانت له أزواج،ولايفهم هذا من لغتهم وأبعد من ذلك أن يراد بأنفسنا علي (عليه الرضوان) ثمّ ان وفد نجران الذين قالوا: إنّ الآية نزلت فيهم لم يكن معهم نسائهم وأولادهم وكلّ ما يفهم من الآية أمر النبي (صلى اللّه عليه وآله) أن يدعو المحاجّين والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب الى الاجتماع رجالاً ونساءاً وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنين رجالاً ونساءاً وأطفالاً، ويبتهلون إلى اللّه تعالى بأن يلعن الكاذب فيما يقول عن عيسى الى آخر كلامه.

هذا كلامه المنقول بعين لفظه، وكأنّه أنكر أصلاً خروجه (صلى اللّه عليه وآله) وإقدامه وإقدام النصارى للمباهلة، وإنّما طلب منهم ذلك فلم يقبلوه ولو قبلوه كان اللازم خروج المؤمنين رجالاً ونساءاً لها، وإنّ الروايات الواردة في خروجه (صلى اللّه عليه وآله) بأهل بيته كلّها موضوعة من جهة الشيعة لترويج مذهبهم وأهل السنة أخذوها منهم وأدرجوها في كتبهم من غير علم. وهذا ممّا لا ينبغي أن يتفوّه به من له أدنى بصيرة واطّلاع، إذ كيف يمكن أن يكون ما أخرجه مسلم في صحيحه، والترمذي في جامعه، وابن حنبل في مسنده، والحاكم النيسابوري في مستدركه، والإمام الطبري في تفسيره الجامع، والواحدي في أسباب النزول، وغيرهم من قدماء أهل الحديث والتفسير بأسانيدهم الكثيرة عن سعد بن أبي وقاص[1] وعبداللّه بن عباس وجابر بن عبداللّه الأنصاري كلّها مأخوذة من أخبار الشيعة وموضوعة من قبلهم بنحو لم يعلم به أهل السنة، وقد سمعت

---

(١) ذكرنا فيما سبق رواية سعد بن أبي وقاص عن مسلم والترمذي وغيرهما، ورواية ابن عبّاس فيما حكيناه عن الحاكم النيسابوري، وأمّا عن جابر بن عبداللّه فقد رواه عنه الواحدي في أسباب النزول، وابن الجوزي في تذكرة الخواص، وقال: رواه عنه أهل السير. وإن شئت المزيد فراجع الدرّ المنثور للسيوطي.

ما عن الحاكم النيسابوري في كتاب معرفة علوم الحديث، والجصّاص في أحكام القرآن، وهما من أعلام السنّة من دعوى تواتر الأخبار عن ابن عباس وغيره وعدم اختلاف نقلتها فيه.

وأمّا قوله «انّ كلمة نسائنا لايقولها العربي ويريد بها بنته لاسيّما اذا كان له أزواج» فهو حقّ لو كان المراد هنا استعمال لفظة النساء في البنت الواحدة على نحو تكون مدلولها المطابقي ولو مجازاً، لكنّه ليس كذلك وإنّما هو في هذا المقام من باب الاتيان بالمصداق الممكن، كما يقال لأحد: أنفق أموالك في سبيل اللّه، ولم يكن عنده ممّا يصلح للإنفاق إلاّ ثوب أو درهم واحد، ونظيره في القرآن كثير منها قوله تعالى: «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم» فان القائل المذكور كان واحداً، ويشهد لذلك أنّ المفسّرين من أعلام الأدب والعربيّة كالزمخشري والبيضاوي لم يستشكلوا في الآية بذلك ولم يحتمل أحد منهم كونه مخلاً ببلاغتها القرآنيّة.

وأمّا قوله «انّ وفد نجران لم تكن معهم نساء وأولاد» فيرده أوّلاً أنّه تخرّص على الغيب، حيث لم تكن القضيّة بحقّها وتفصيلها محفوظة في التواريخ، مع أنّها كانت مهمّة في الغاية، ولم يكن حمل النساء والأولاد في الأسفار خارجاً عن عادة العرب، بل يقال كما في تفسير الكشّاف في شرح الآية: انّهم كانوا يسوقون النساء معهم في الحروب لتمنعهم من الهرب، وقد ذكر الطبرسي (رحمه اللّه تعالى) في كتاب أعلام الورى أنّه في المباهلة غدا العاقب والسيّد بابنين على أحدهما درّتان كانّهما بيضتا حمام. وذكر اليعقوبي في تاريخه أنّهما غديا بابنين لهما عليهما الدرّ والحلي. وفي خبر الأقبال لإبن طاووس (رحمه اللّه) انّهما خرجا بولديهما صبغة المحسن وعبدالمنعم وسارة ومريم أي فكانت سارة ومريم نسائهما.

وثانياً: أنّ عدم وجود النساء والأولاد معهم لايوجب ريباً في

القضيّة، لجواز أن يكون الأمر بدعائهم لتفخيم شأن المباهلة والمبالغة في إتمام الحجّة عليهم، كما في قوله تعالى في المعارضة للقرآن الكريم «وادعوا من استطعتم من دون اللّه إن كنتم صادقين» ومقتضى ذلك في المقام هو الترخيص لهم في الإقدام على مباهلة كاملة ليستعينوا باعزّتهم في الإبتهال الى اللّه (عزّوجلّ) وقد كان في وسعهم أن يستمهلوا النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لذلك الى حين قريب، فاذ لم يفعلوه لزمهم أن يحضروا لها بأنفسهم، لأنّ الأصل في المباهلة إجتماع الخصمين للدعاء على الكاذب، وليس حضور الأهل والأولاد شرطاً في صحّتها، كما قلنا آنفاً ان ظاهر الآية أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أيضاً كان مأموراً بدعوة عدّة من نسائه وأنفسه، لكن لم يكن عنده لهذه المهمّة غير علي وفاطمة (عليهما السّلام).

بقي الكلام فيما ذكره بعض مفسّري العامّة، كالزمخشري في الكشّاف على ما يظهر من لحن كلامه من أنّ المراد من أنفسنا نفس النبي (صلى اللّه عليه وآله) على رغم ما رووه جميعاً من أنّ علياً (عليه السّلام) كان معه في المباهلة.

وهذا باطل من وجوه: الأول أنّ الإنسان لايدعو نفسه للخروج ولايقال عرفاً لمن خرج الى شيء انّه دعا نفسه للخروج إليه، وقياسه على قوله تعالى: «فطوّعت له نفسه قتل أخيه» مع الفارق كما لايخفى، إذ المراد بالنفس في هذه الآية هو الهوى والميل النفساني، وهذا قد يدعو الشخص الى الفساد كما قال تعالى «ان النفس لأمّارة بالسوء» وأمّا في تلك الآية فالمراد ذاته وعينه.

وثانياً: أنّه لو كانت هذه الكلمة محذوفة وكانت الآية: «ندع أبنائها وأبنائكم ونسائنا ونسائكم ثمّ نبتهل» لم يكن معناها أن يرسل إبنيه وفاطمة

دون أن يخرج بنفسه معهم فبناءاً على ما ذكر يلزم أن يكون ذكر كلمة أنفسنا بلافائدة لكونه معلوماً.

وثالثاً: أنه على ما ذكر فمقتضى ترتيب البيان أن يذكره قبل أبنائنا ونسائنا لأنّهم كانوا بتبعه في الدعوة وكان (صلى اللّه عليه وآله) هو الأصل فيها، واهتمام الإنسان بحفظ أهله وأولاده مقدماً على نفسه لايقتضي تقديمهم بالذكر في مقام يكون الإحتجاج بهم على الخصم بتبع الإحتجاج بنفسه كان يقول دعوت اهلي واولادي ونفسي الى اثبات حقي.

ورابعاً: أنّه على هذا التقدير لم يكن وجه لإخراجه (صلى اللّه عليه وآله) معه عليّاً اذ كان خارجاً عمّا أمره اللّه تعالى، وقد تقدّم في خبر الحاكم أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله) بعدما خرج معهم للمباهلة قال لخصومه: هؤلاء أبنائنا وأنفسنا ونسائنا، فهلمّوا أنفسكم وأبنائكم ونسائكم، فالمراد بأنفسنا في الآية ليس إلاّ من كان بمنزلة نفسه الشريفة، وقد ثبت بالنصوص الكثيرة المتقدّمة وغيرها المقبولة عند الجميع أنّه لم يكن معه من الأنفس إلاّ علي (عليه السّلام).

فهـو في آيـة التباهل نفس المصطفى ليس غيره إيّاها(١)

ولذلك روى شيخنا المفيد (عليه الرحمة) -كما في الفصول المختارة(٢) أنّه قال المأمون العباسي للرضا (عليه السّلام): أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين (عليه السّلام) يدلّ عليها القرآن، فقال (عليه السّلام): فضيلته في المباهلة قال اللّه تعالى: «فمن حاجّك...» الآية فدعى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الحسن والحسين فكانا إبنيه، ودعا فاطمة فكانت في هذا الموضع نسائه، ودعا أمير المؤمنين فكان نفسه بحكم اللّه (عزّوجلّ) وقد

(١) للشيخ كاظم الأُزري (رحمه اللّه تعالى) في قصيدة طويلة هائيّة.

(٢) ص١٧ طبعة النجف، ورواه عنه في البحار ج١٠ ص٣٥٠ وج٣٥ ص٢٥٨.

ثبت أنّه ليس أحد من خلق اللّه سبحانه أجلّ من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأفضل، فوجب أن لايكون أحد أفضل من نفس رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بحكم اللّه (عزّوجلّ) الى آخر كلامه لدفع الشبهة عن كون المراد بأنفسنا شخص الرسول (صلى اللّه عليه وآله) على نحو ما تقدّم آنفاً.

وروى شيخنا الصدوق (عليه الرحمة) في عيون الأخبار بإسناده عن الإمام الرضا (عليه السّلام) أنّه في مجلس المأمون احتجّ على جماعة من علماء عراق وخراسان لفضل العترة الطاهرة بآيات من القرآن منها هذه الآية وقال: فبرز النبي (صلى اللّه عليه وآله) عليّاً والحسن والحسين وفاطمة (صلوات اللّه عليهم) وقرن أنفسهم بنفسه، فهل تدرون ما معنى قوله وأنفسنا؟ قالوا: عني به نفسه فقال الرضا (عليه السّلام): لقد غلطتم إنّما عنى بها علي بن أبي طالب، وممّا يدلّ على ذلك قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) لينتهنّ بنو وليعة[1] أو لابعثنّ إليهم رجلاً كنفسي يعني علي بن أبي طالب، ثمّ قال: فهذه خصوصيّة لايتقدّمهم فيها أحد، وفضل لايلحقهم فيه بشر، وشرف لايسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي كنفسه.

أقول: قضيّة بني وليعة مذكورة في شرح ابن أبي الحديد عند كلامه (عليه السّلام) في ذمّ الأشعث بن قيس ج١ ص٩٧ طبعة مصر ففيه: لمّا قدمت كندة حجاجاً قبل الهجرة عرض رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) نفسه عليهم كما كان يعرض نفسه على أحياء العرب، فدفعه بنو وليعة من بني عمرو بن معاوية ولم يقبلوه، فلمّا هاجر (صلى اللّه عليه وآله) وتمهّدت دعوته وجائته وفود العرب جائه وفد كندة فيهم الأشعث بن قيس وبنو وليعة فاسلموا، فأطعم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بني وليعة طعمة من

---

(١) في القاموس بنو وليعة كسفينة حيّ من كندة.

صدقات حضرموت، وكان قد استعمل على حضرموت زياد بن لبيد البياضي الأنصاري، فدفعها زياد إليهم فأبوا أخذها وقالوا: لاظهر(١) لنا فابعث بها إلى بلادنا على ظهر من عندك، فأبى زياد وحدث بينهم شرّ كاد أن يكون حرباً، فرجع منهم قوم الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وكتب زياد إليه يشكوهم، وفي هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لبني وليعة: لتنتهنّ أو لأبعثنّ عليكم رجلاً عديل نفسي يقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم، قال عمر بن الخطاب: فما تمنّيت الامارة إلاّ يومئذ وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول هو هذا، فأخذ بيد عليّ وقال: هو هذا الى آخر القصة من ردّة بني وليعة وأول أمرهم الى السبي والقتل.

وروى شيخنا الصدوق (عليه الرحمة) في كتاب الخصال في احتجاج أمير المؤمنين (عليه السّلام) يوم الشورى من أبواب الأربعين بإسناده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أنّه قال في فضائله: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لينتهنّ بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي طاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي يغشاهم بالسيف غيري قالوا اللهمّ لا. ونحوه في مناقب الخوارزمي باب فضائل شتّى بإسناده عن عامر بن واثلة، وفي أمالي الطوسي عن أبي ذرّ الغفاري (رضي اللّه عنه) ج٢ ص١٦٠ طبعة النجف، ولفظه فيهما: لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم الخ بصيغة الخطاب.

وقد ورد أيضاً عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) نحو هذا الكلام لعلي (عليه السّلام) في قضيّة وفد ثقيف، فروى الخوارزمي في مناقبه باب

(١) أي الحمولة لتحملها الى بلادهم.

أنّه أقرب الناس الى رسول اللّه بإسناده عن المطلب بن عبداللّه بن حنطب[١] أنّه قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لوفد ثقيف حين جاؤوه: لتسلمنّ أو ليبعثنّ اللّه رجلاً منّي أو قال مثل نفسي، فليضربنّ أعناقكم بالسيف وليسبينّ ذراريكم وليأخذنّ أموالكم، قال عمر بن الخطّاب: فواللّه ما تمنّيت الامارة إلاّ يومئذ، وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول هو هذا، قال: فالتفت إلى علي بن أبي طالب فأخذ بيده وقال: هو هذا هو هذا. ونحوه في الإستيعاب في ترجمة علي (عليه السّلام) عن المطلب بن عبداللّه، وفي السيرة الحلبيّة ج٣ باب غزوة خيبر مرسلا[٢] ولفظه فيهما: لتسلمنّ أو لأبعثنّ رجلاً الخ.

وروى الحاكم في مستدركه ج٢ ص١٢٠ كتاب الجهاد بإسناده عن المطلب بن عبداللّه عن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه أنّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بعدما رجع عن حصر الطائف قال: أيّها الناس إنّي لكم فرط وإنّي أُوصيكم بعترتي خيراً وموعدكم الحوض، والذي نفسي بيده لتقيمنّ الصلاة ولتؤتنّ الزكاة أو لأبعثنّ عليكم رجلاً منّي أو كنفسي، فليضربنّ أعناق مقاتليكم وليسبينّ ذراريكم، فرأى الناس أنّه يعني أبا بكر أو عمر، فأخذ بيد علي (عليه السّلام) فقال: هذا، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ونحوه في أمالي الطوسي ج٢ ص١١٨ وزاد عليه أنّه قال

---

(١) المطلب بن عبداللّه لم يكن من الصحابة وإنّما يحدث عنهم وقد يروي عن أبيه وهو على ما قيل صحابي كما في أُسد الغابة في ترجمته وحنطب على وزن جعفر.

(٢) حاول في السيرة الحلبية للجمع بين ما قاله عمر بن الخطاب في هذا المقام وقوله في خيبر ما أحببت الامارة إلاّ ذاك اليوم بعدما سمع النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ اللّه ورسوله.... فراجع وقد مرّ آنفاً أنّ عمر قال ذلك في قضية بني وليعة أيضاً.

المطلب بن عبدالله قلت لمصعب: فما حمل أباك على ما صنع (يعني في الشورى حيث صرف بيعته الى عثمان) قال: أنا والله أعجب من ذلك.

وروى أيضاً في الأمالي في الصفحة المذكورة باسناده عن جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) عن جابر بن عبدالله الأنصاري (رضي الله عنه) أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال لوفد الطائف: أما والذي نفسي بيده ليقيمنّ الصلاة وليؤتنّ الزكاة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً هو منّي كنفسي، فليضربنّ أعناق مقاتليهم وليسبينّ ذراريهم هو هذا وأخذ بيد علي (عليه السّلام) الحديث. ونحوه في الصفحة ١٩٢ من الجزء المذكور بإسناده عن أبي ذر (رضي الله عنه) وزاد فيه أنه قال أبو بكر وعمر: ما رأينا كاليوم في الفضل قطّ[١].

ثمّ أقول: وأمّا ما ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلّم) من أنّ عليّاً مني وأنا منه، فكثير لايحصى من أخبار الخاصّة والعامّة، فمنها في غزوة أُحد حينما كان يقاتل ويدافع وحده وأبلى في ذلك بلاءاً عظيماً، فقال جبرئيل: يا محمّد أترى هذه المواساة من علي، فقال (صلى الله عليه وآله وسلّم): إنّه مني وأنا منه، فقال جبرئيل (عليه السّلام) وأنا منكما. كما في خصال الصدوق، وأمالي الطوسي، ومناقب الخوارزمي في حديث المناشدة[٢] يوم

---

(١) المتحصّل من هذه الأخبار وما في كتب السير والمغازي أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعد ما غزى حنيناً وهزم هوازن أقبل على الطائف فحصرها لكن لم يؤذن له من الله تعالى في فتحها، فرجع فجائه وفدهم لإسلام قومهم بشروط منها أن لايخضعوا لصلاة وزكاة، فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): لاخير في دين لاركوع فيه ولاسجود، ثمّ قال لهم: لتقيمنّ الصلاة ولتؤتنّ الزكاة الى آخر ما مرّ، وللتوسع في ذلك راجع البحار الجزء٢١ باب غزوة حنين.

(٢) تقدّم شطر منه قريباً، ويأتي الكلام في بعض شؤونه عند ذكر آية التطهير.

الشورى، وأورده الطبري في تاريخه والجزري في كامله في قضيّة وقعة أُحد ورواه الحافظ الگنجى في كفايته باسناده عن أبي رافع الصحابي.

ومنها: في حديث عمران بن حصين الذي رواه أعلام المحدّثين كالترمذي في جامعه باب مناقب علي (عليه السّلام) والنسائي في خصائصه، وابن حنبل في مسنده، والحاكم في المستدرك وغيرهم بإسنادهم عنه وفي ألفاظه فيها زيادة واختلاف يسير.

وحاصله أنّه قال: بعث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) سريَة واستعمل عليهم علياً، فمضى (عليه السّلام) في السريّة وأصاب الغنيمة، فاصطفى لنفسه من خمسها جارية، فتعاقد أربعة منهم على شكايته، فلمّا قدموا المدينة قام أحدهم فقال: يارسول اللّه ألم تر أنّ علياً صنع كذا فأعرض عنه وكذا الثاني والثالث، ثمّ قام الرابع فقال مثل ماقالوا، فأقبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عليهم والغضب يبصر في وجهه وقال: ما تريدون من علي انّ علياً منّي وأنا منه، وهو ولي كلّ مؤمن بعدي.

ومثله حديث بريدة الأسلمي إلاّ أنّ فيه أن خالداً بن الوليد كتب معه الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال بريدة: فلمّا أتيت بالكتاب وقرأ عليه رأيت الغضب في وجهه، فقلت: يارسول اللّه هذا مكان العائذ، فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): لاتقع في علي فانّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي قاله مرّتين من قوله فانّه منيكما في مسند احمد ج٥ ص٣٥٦.

وقد أبان سيّدنا المحقّق الشريف في كتابه المراجعات عن شأن الحديثين ومصادرهما الكثيرة، وطرقهما المستفيضة المعتبرة وألفاظهما المتقاربة، وحكى عن الطبراني تفصيلاً في الحديث الثاني، فجاء في آخره انّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) خرج مغضباً وقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً من أبغض علياً فقد أبغضني، ومن فارق علياً فقد فارقني انّ علياً منّي وأنا

منه، خُلق من طينتي وأنا خُلقت من طينة ابراهيم وأنا أفضل من ابراهيم ذرّية بعضها من بعض، الحديث. ورواه ابن حجر في صواعقه في المقصد الثاني من آية المودّة عن الطبراني.

وروى الخوارزمي في مقتله ومناقبه باب أنّ علياً (عليه السّلام) أقرب الناس الى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) باسناده عن الامام الباقر عن أبيه عن جدّه (عليهم السّلام) قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): كنت أنا وعلي نوراً بين يدي اللّه (عزّوجلّ) من قبل أن يُخلق آدم(١) باربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق اللّه تعالى أبي آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل اللّه تعالى ينقله من صلب الى صلب حتّى أقرّه في صلب عبدالمطلب، فقسمه قسمين قسماً في صلب عبداللّه وقسماً في صلب أبي طالب، فعليّ مني وأنا منه لحمه لحمي ودمه دمي. الحديث.

وبإسناده في المناقب أنّ عائشة قالت: من خير الناس بعدك يارسول اللّه؟ قال: علي بن أبي طالب هو نفسي وأنا نفسه.

وبالجملة النصوص في ذلك كثيرة جداً بالغة حدّ التواتر، وهي باسرها شاهدة على تأويل قوله تعالى وأنفسنا، وليس المقام موضوعاً لسردها، فمن أراد التوسّع فيها فليراجع بحار الأنوار ج٣٥ باب نزول سورة البرائة وج٣٧ باب مناقب أصحاب الكساء وج٣٨ باب جوامع الأخبار الدالّة على امامة علي (عليه السّلام) وباب أنّه أخص بالرسول وأحبّهم إليه، وغير ذلك من الأبواب المناسبة، كما يأتي بعضها في أواخر هذه الرسالة، ولايفوتنّ باحثاً ما أودعه سيّدنا المحقّق شرف الدين في كتابه أبو هريرة في البحث عن حديث تأمير أبي بكر على الحج، فانّ فيه من

(١) تقدّم في الباب الثاني من هذه الرسالة أخبار كثيرة بهذا المعنى مع شرحها يسيراً.

التحقيق ما يزيح العلة ويجلى الحقيقة عن مقام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وأولويّته بالرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حياً وميتاً وأحقيّته بخلافته والحمد للّه.

تتميم: قال الرازي في تفسيره في آية المباهلة: انّه كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي[١] وكان معلم الاثنى عشرية وكان يزعم أنّ علياً (رضى اللّه عنه) أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد (صلّى اللّه عليهم) واستدل[٢] بقوله تعالى: «وأنفسنا» إذ المراد به غير شخص النبي (صلّى اللّه عليه وآله) وليس هو إلاّ علي (عليه السّلام) فدلّت الآية على أنّ نفس علي نفس محمّد، ومعناه أنّ نفسه بمنزلة نفسه، ومقتضى ذلك مساواتهما في جميع الوجوه، وخرج عن هذا العموم النبوّة وأفضليّة النبي من علي (عليهما السّلام) للاجماع فيبقى فيه غيرهما، وقد ثبت بالاجماع أنّ نبيّنا (صلّى اللّه عليه وآله) أفضل من جميع الأنبياء، فوجب أن يكون على كذلك، ثمّ أيّده بما رواه الموافق والمخالف[٣] عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قال: من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحاً في طاعته وابراهيم في خلّته

---

(١) هو الشيخ الجليل سديد الدين محمود بن علي بن الحسن الحمصي من فقهاء الإماميّة ومتكلّميهم، روى عنه الشيخ منتجب الدين وورام بن أبي فراس وابن ادريس، كما في بحث ميراث المجوس من السرائر، وترجمه الشيخ النوري في خاتمة المستدرك ج٣ ص٤٧٨ وكذا في أمل الآمل وروضات الجنات وغيرهما، وقد وقع الخلاف في ضبط الحمصي ومعناه، فقيل: انّه بالحاء والصاد المهملتين، وعن الشيخ البهائي أنّ حمص قرية بالري وهي الآن خراب، وقيل غير ذلك.

(٢) يظهر نحو هذا الاستدلال من كلام الإمام الرضا (عليه السّلام) للمأمون فيما تقدّم من المتن قريبا وكذا من كلامه الاخر لجماعة العلماء المتقدم ايضا.

(٣) كما في البحار ج٣٩ باب أنّ في عليّ (عليه السّلام) خصال الأنبياء (عليهم السّلام) ومناقب ابن المغازلي والخوارزمي وذخائر العقبى وكفاية الطالب باسانيد عن جمع من الصحابة وفيها اختلاف في ذكر الخصال وعدد الأنبياء.

وموسى في هيبته وعيسى في صفوته، فلينظر الى علي بن أبي طالب (عليه السّلام) حيث دل على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم.

ثمّ قال الرازي: وأمّا سائر الشيعة، فقد كانوا يستدلّون بالآية على أنّ عليّاً أفضل من الصحابة، وأجاب عن الحمصي بانّ الاجماع منعقد أيضاً على أن النبيّ أفضل ممّن ليس بنبيّ، فيخص به ظاهر الآية كما خصّ بأفضليّة نبيّنا (صلّى اللّه عليه وآله) منه بالاجماع انتهى كلامه ملخّصاً[١] فراجعه بتمامه، وأنعم النظر فيه تجده أنّ الرازي مع اشتهاره في التشكيك قد اعترف في لحن كلامه بتماميّة الاستدلال بالآية لأفضليّة علي (عليه السّلام) على جميع الصحابة بل وبتماميّة الاستدلال بها لأفضليّته على سائر الأنبياء لولا ما ادّعاه من الاجماع على أفضليّة كل نبيّ على غيره، لكن هذا الاجماع المدّعى غير ثابت عند الاماميّة ودلّ على خلافه النصوص الواردة عن المعصومين «عليهم السّلام) كما ذكره المجلسي (عليه الرحمة) في البحار في ذيل البحث عن الآية الجزء٣٥ وغيره، ثمّ انّ في المقام مطالب أُخر أجملنا عن ذكرها لخوف الاطناب.

ومن الآيات في تفضيل الزهراء (سلام اللّه عليها) قوله تعالى في سورة الأحزاب «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» فانّها نزلت في رسول اللّه وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) خاصّة بحكم النصوص المتواترة من طرق الشيعة والسنة، فقد رواه جمع من الصحابة منهم أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة (رضى اللّه عنها) حيث كان نزول الآية في بيتها فروى عنها جماعة.

---

(١) وذكر نحوه في كتابه الأربعين، كما حكاه عنه المجلسي في البحار ج٣٥ باب آية المباهلة.

منهم ١ـ الإمام السجاد علي بن الحسين ((عليهما السّلام) كما في أمالي شيخنا الطوسي ج١ ص٣٧٨ طبعة النجف، ورواه عنه في البحار ج٣٥ باب آية التطهير.

٢ـ حكيم بن سعد كما في تفسير الطبري عند الآية، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عند ذكر نزولها في أهل البيت لكن باختصار وكذا ابن المغازلي في مناقبه عند ذكر الآية باسناده.

٣ـ عبداللّه بن ربيعة مولى أُمّ سلمة، كما في شواهد التنزيل، ورواه في أمالي الطوسي بإسناده عن عبداللّه بن مغيرة مولى أُمّ سلمة، كما في طبعة النجف ج١ ص٢٦٩ أو عبداللّه بن معين، كما في نسخة قديمة من الأمالي مصحّحة، وكذا عنه في البحار الباب المذكور آنفاً، وعلى كلّ فالظاهر اتّحاد الرجلين وكون أحدهما مصحّفاً أو منسوباً الى الجدّ، وذلك لاتّحاد رواتهما ومتن الخبر، ويحتمل التعددّ فانّ المستفاد من التراجم وأسانيد أخبار أُمّ سلمة وغيرها أنّه كان لها (رضي اللّه عنها) جماعة من الموالي وان لم يكن بعضهم معروفاً.

٤ـ عبداللّه بن وهب بن زمعة[1] كما في الطبري وشواهد التنزيل.

٥ـ عطاء بن يسار كما في شواهد التنزيل وأُسد الغابة في ترجمة أُمّ

---

(١) هو زمعة بن الأسود بن المطلب الأسدي زوج قريبة أُخت أُم سلمة قتل في بدر كافراً وأبوه الأسود من الذين قال اللّه تعالى فيهم «إنّا كفيناك المستهزئين» وإبنه وهب أبو عبداللّه كان من مسلمة الفتح، وقد روى في مسند أحمد وسنن أبي داود أنّه في حجة الوداع كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عند أُمّ سلمة مساء يوم النحر، فدخل عليها وهب بن زمعة ورجل من آل أبي أُمية يعني من أقرباء أُمّ سلمة متقمّصين، فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لوهب: هل أفضت يا أبا عبداللّه الخ. وهو أخو عبداللّه بن زمعة ابن أُخت أُمّ سلمة وصهرها علي بنتها زينب.

سلمة، ومستدرك الحاكم ص١٤٦ من جزئه الثالث، وقال الحاكم بعد ايراده: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه، وأقرّه الذهبي في تلخيصه ونحوه في جزئه الثاني ص٤١٦ ورواه الخوارزمي في مناقبه.

٦ـ شهر بن حوشب، كمافي الطبري ومسند ابن حنبل في عدّة موارد من أحاديث أُمّ سلمة، وجامع الترمذي باب فضل فاطمة (عليها السّلام) من مناقبه، قال: حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روى في هذا الباب، ورواه في شواهد التنزيل بأسانيد كثيرة عن أكثر من عشرة رجال يروونه عن شهر عن أُمّ سلمة بالتفصيل، وذكر بعدها أنّه رواه عنه جماعة سوى هؤلاء.

٧ـ أبو سعيد الخدري (رضي اللّه عنه) كما في الطبري وشواهد التنزيل والدرّ المنثور للسيوطي، لكن يأتي هذا فيما نرويه عنه بنفسه.

٨ـ أبو عبداللّه الجدلي، كما في البحار عن تفسير فرات الكوفي، وعن يحيى بن الحسن بن بطريق صاحب كتابي العمدة والمستدرك في الفضائل، والجدلي كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) وصاحب راية المختار على شرطته.

٩ـ أبو ليلى الكندي، كما في شواهد التنزيل، ومسند ابن حنبل ج٦ ص٢٩٢ في آخر حديث عطاء بن أبي رباح عمّن سمع ام سلمة.

ورواه في البحار عن ابن طاووس في كتابه سعد السعود.

١٠ـ أبو هريرة كما في الطبري وشواهد التنزيل.

١١ـ عطيّة الطفاوي عن أبيه، كما في مسند ابن حنبل ج٦ ص٢٩٦ و٣٠٤ وهذا ليس فيه ذكر لنزول الآية إلاّ أنّه مشتمل على حديث الكساء في الجملة ونحوه في تفسير الحبري(١) عند سورة الاحزاب.

---

(١) هو الحسين بن الحكم الكوفي المحدث المتوفى ٢٨٦ وتفسيره طبع جديداً بتحقيق العلامة السيد محمد رضا الجلالي (حفظه اللّه).

١٢ـ عمرة بنت أفعى الهمدانيّة، كما في شواهد التنزيل[١] وأمالي الصدوق في مجلسه الثاني والسبعين، وفي البحار عن تفسير فرات.

هذا ما عثرت عليه من أسماء من روى الحديث عن أُمّ سلمة من الصحابة والتابعين، ويأتي في أحاديث أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنّه لمّا ذكر الحديث في جماعة المهاجرين والأنصار قالوا كلّهم: نشهد أنّ أُمّ سلمة حدّثتنا بذلك، فرحم اللّه أُمّ المؤمنين وجزاها عن نبيّه وأهل بيته خيراً حيث اهتمّت بنشر هذه الفضيلة المهمّة لهم إخلاصاً للّه تعالى ومودّة فيهم، كما اهتمّت بنشر فضائل أمير المؤمنين (عليه السّلام) بعدما وقعت الفتنة واختلف الناس فيه[٢].

ومحصّل ما روي عنها في المقام أنّ الآية نزلت في بيتها على النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فدعا عليّاً وفاطمة وابنيهما فجلّلهم بكساء وقرأ عليهم الآية، ودعا لهم بقوله اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة: وأنا معكم أو قالت: أنا من أهل بيتك يارسول اللّه، فقال لها: انّك الى خير. وفي بعض هذه الأخبار ـ كما في مسند أحمد وغيره ـ أنّها رفعت الكساء لتدخله طلباً لفضل الآية، فجذبه

---

(١) رواه بإسناده عن عمّار الدهني عنها عن أُمّ سلمة، ثمّ رواه أيضاً بإسناده عنه عن عقرب عن أُمّ سلمة بمضمون الأوّل وظاهره تعدّدهما، ولكنّ المظنون أنّ عقرباً لقب لعمرة المذكورة لكون أبيها مسمّى بأفعى، واللّه العالم.

(٢) كما ورد ذلك في كتب الخاصّة والعامّة كالمسند ومستدرك الحاكم في باب فضائله، وروى في اختصاص المفيد وشرح ابن أبي الحديد عند كلامه (عليه السّلام) في ذمّ النساء أنّه لمّا أرادت عائشة أن تخرج من مكّه الى البصرة ذكّرتها أُمّ سلمة بفضائله لتصرفها عن مقصدها، ثمّ كتبت إليه وهو في المدينة بما يريدون وبعثت إليه إبنها عمر ليشهد مشاهده.

النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من يدها. وفي خبر الإمام السجّاد (عليه السّلام) عنها قالت: جئت لادخل معهم، فقال: كوني مكانك إنّك الى خير أنت من أزواج نبي اللّه. ونحوه في غيره، وقد ود في بعض هذه النصوص أنّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال لها بعد سؤالها أن تكون منهم انّك على خير، ومقتضى الجمع بينهما أنّه قال لها كلتا الكلمتين فاختصره الرواة، ويؤيّده ما يأتي في حديث الامام الحسن (عليه السّلام) من أنّه قال لها: يرحمك اللّه أنت على خير والى خير وما أرضاني عنك ولكنّها خاصّة لي ولهم.

وعل كلّ ففي جملة ممّا روي عنها في ذلك زيادات على ما ذكر، وبينها اختلاف كثير في خصوصيّات القضيّة، ولذلك استظهر محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى والسيّد ابن طاووس في طرائفه أنّه وقعت القضيّة في بيتها مكرّرا، وذلك لأنّ في بعضها أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كان في بيتها فأمرها بإحضار أولئك الأربعة، وفي جملة أُخرى أنّه كان في بيتها فجائته فاطمة فأمر فاطمة بإحضار زوجها وولديها، كما أنّ في كيفيّة تجليلهم يظهر من كثير من النصوص أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أخذ الكساء بكلّه فألقاه عليهم وجلّلهم ونفسه به.

مثل ما في مسند أحمد وشواهد التنزيل أنّه قالت أُمّ سلمة: فاجتذب من تحتي كساءاً خيبريّاً كان بساطاً لنا على المنامة فلفّه عليهم جميعاً، فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى الى ربّه (عزّوجلّ) وقال: اللهمّ أهل بيتي أذهب عنهم الرجس الخ. وغير ذلك ممّا تضمّن التعبير بأخذ الكساء، أو انتزاعه، أو تضمّن التعبير بالقائه عليهم، أو اثارته، أو إدارته، ونحوها من الكلمات والعبارات الدالّة على رفعه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لأصل الكساء على رؤوسهم وتغطيتهم به مع نفسه، وأنّ أُم سلمة

رفعت طرفه بعد نزول الآية لتدخل معهم، ومع ذلك ورد في النصوص أيضاً أنّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أجلسهم على الكساء وأخذ بأطرافه الأربعة بشماله فضمّه فوق رؤوسهم وأومأ بيمناه الى ربّه فقال: اللهمّ هؤلاء أهل البيت أذهب عنهم الرجس الخ، كما صرّح بذلك في حديث أبي هريرة عن أُم سلمة.

وفي مسند أحمد وغيره عن عطاء بن أبي رباح[1] عمّن سمعها قالت: دخلوا على النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فجلسوا وهو على منامة له تحته كساء خيبري وأنا أُصلّي في الحجرة، فأنزل اللّه تعالى «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس» الآية، فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به، ثمّ أخرج يده فالوى بها الى السماء، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي (حامّتي) فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يارسول اللّه قال: انّك الى خير، ثمّ ذكر في المسند ص٢٩٢ من جزئه السادس أنّه روى مثل ذلك عن أُمّ سلمة أبو ليلى وحوشب.

قلت: الصواب شهر بن حوشب، وأبو ليلى هو الكندي كما في شواهد التنزيل، حيث روى الحديث عنهما بواسطة أحمد بن حنبل وغيره، واختلفت النصوص أيضاً في هيئة اجتماعهم وفي كون الكساء فدكيّاً أو خيبريّاً، وغير ذلك من وجوه الاختلاف التي يطول الكلام بنقلها. ويمكن أن يظهر لمن راجعها في المصادر المذكوة أنّه كانت القضيّة في بيت أُم سلمة أكثر من مرّتين، ولابعد فيه اذ كانت القضيّة مهمّة جدّاً، واللّه العالم.

ولايخفى أنّ قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لأُمّ سلمة (رضي اللّه

---

(١) بالباء الموحّدة، والظاهر أنّه من فقهاء العامّة المشهورين.

عنها) انّك الى خير أو على خير ردّ لها عن قولها: «أنا معكم» وردع عن سؤالها أن تكون منهم على وجه المجاملة والإكرام دون المجابهة بالإنكار كما كان ذلك من خلقه الكريم في ردّ السائلين وليس معناه نعم انّك من أهلي بالنسبة الى حكم الآية، لمنافاته لظهور النصوص الكثيرة في حصرها على الأربعة، وأنّه مرّ آنفاً عن الإمام الحسن (عليه السّلام) أنّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال لها: ما أرضاني عنك ولكنّها خاصّة لي ولهم، وانّه في بعض النصوص[١] قال لها: انّك الى خير أنت من أزواج نبي اللّه، فان ظاهره حصر منزلتها في زوجيّته، فأراد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) تكريمها واقناعها بذلك عمّا سألته، حيث أنّ زوجيّتها له فضل عظيم، وإلاّ فكونها من أزواجه معلوم لها ولغيرها، بل قد ورد في بعضها[٢] أنّه لم يقل لها انّك من أهل البيت.وأنّه لو قال لها ذلك كان أحبّ إليها ممّا تطلع عليه الشمس وفيما يأتي عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) أيضاً تصريح بحصر الآية فيهم.

وروى أبو عطيّة الطفاوي، كما في مسند أحمد فيما أشرنا إليه أوّلاً عن اُمّ سلمة قالت: بينما رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في بيتي إذ قالت الخادم: انّ عليّاً وفاطمة بالسدّة، فقال لي: قومي عن أهل بيتي، فتنحّيت في ناحية البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين (عليهم السّلام) فأخذهما وقبّلهما ووضعهما في حجره، واعتنق عليّاً وفاطمة ثمّ أغدف عليهما ببردة له، وقال: اللهمّ إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، فقلت: يارسول اللّه وأنا، فقال: وأنت.

وهذا أيضاً ظاهر كالصريح في حصر أهل بيته فيهم، ولاينافيه ما في

---

(١) كما في البحار وتفسير الطبري وشواهد التنزيل في روايات علي بن الحسين (عليهما السّلام) وأبو سعيد الخدري (رضي اللّه عنه).

(٢) كما في الطبري عن حكيم بن سعد والبحار وشواهد التنزيل عن عمرة الهمدانيّة.

آخره كما لايخفى. وهذا وان لم تكن آية التطهير مذكورة فيه لكنّ المستفاد منه عموم الحصر للآية، لما يأتي في آخر البحث من أنّ المراد بالبيت فيها وفي حديث الثقلين بيت النبوّة لا السكنى.

والأغداف بالغين المعجمة والفاء قال ابن الأثير في نهايته: في الحديث انّه (عليه السّلام) أغدف على علي وفاطمة ستراً أي أرسله وأسبله. والبردة نوع من كساء جامع. وفي الموضع الآخر من المسند في هذا الحديث فاغدف عليهم خميصة سوداء. والخميصة ثوب مربّع من خزّ أو صوف معلّم، فهي أيضاً نوع من الكساء، كما أنّه ورد التعبير عنه أيضاً في بعض الأخبار بالعباء فانّه أيضاً نوع منه إلاّ أنّه يمكن أنّ ذلك من تعدّد القضيّة.

وروى الكلينّي (رحمه اللّه) في الكافي باب ما نصّ اللّه ورسوله على الائمّة (عليهم السّلام) من كتاب الحجّة، والعيّاشي في تفسيره عند قوله تعالى في سورة النساء أطيعوا اللّه ورسوله وأُولي الأمر منكم عن الإمام الصادق (عليه السّلام) أنّه قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بعدما نزلت الآية وأدخلهم في الكساء: اللهم انّ لكلّ نبيّ أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي، فقالت اُم سلمة: ألست من أهلك؟ فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): انّك الى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي[1]. فاتّضح بحمد اللّه أنّ

(١) ورد ذلك في حديث طويل ذكر فيه الإمام (عليه السّلام) أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ذكر لأمته إمامة أهل بيته بقوله أوصيكم بكتاب اللّه وأهل بيتي، ونحو ذلك وأنزل اللّه تعالى تصديقاً له: «إنّما يريد اللّه» الآية فبيّنهم (صلّى اللّه عليه وآله) بقضيّة الكساء لئلاً يدّعي الإمامة غيرهم من أقربائه بزعم أنّهم من أهل بيته. وممّا ذكر في الحديث التصريح بأنّ اللّه تعالى أذهب عنهم الرجس، ويأتي جزء آخر منه في أواخر البحث عن الآية، والراوي له عن الإمام (عليه السّلام) أبو بصير وهو امّا المرادي أو الأسدي، وكلاهما من أجلاّء أصحابه الثقاة سيّما الأوّل وهو هنا أظهر، وقد رواه عنه في الكافي بإسنادين صحيحين والحمد للّه.

ما في مسند أحمد وشواهد التنزيل بإسنادهما عن عبدالحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أُمّ سلمة من أنّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال لها بلى وأدخلها في الكساء بعدما قضى دعائه لهم شاذ لايعبأ به، وقد تفرّد عبدالحميد بذلك، وسائر ما روى عن شهر في هذه القضيّة وهي كثيرة رواها عنه جماعة من الرواة كما تقدّم خالية عنه، وقد ذكر الآلوسي في تفسيره أنّ أخبار ادخاله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عليّاً وفاطمة وابنيهما (رضى اللّه عنهم) تحت الكساء وقوله اللهمّ هولاء أهل بيتي وعدم ادخاله أُمّ سلمة أكثر من أن يحصى.

وممّن روى من الصحابة حديث الكساء وتلاوة الآية واثلة بن الأسقع(١) فقد أخرج عنه المحدّثون أنّه شهدها في بيت فاطمة، ففي مسند ابن حنبل ج٤ ص١٠٧ بإسناده عن شدّاد(٢) قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا(٣) عليّاً (عليه السّلام) فلمّا قاموا قال لي: ألا أُخبرك بما رأيت من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) قلت: بلى، قال: أتيت

---

(١) في الإستيعاب أنّه أسلم والنبي (صلّى اللّه عليه وآله) يتجهّز الى تبوك ويقال: انّه خدم النبي (صلّى اللّه عليه وآله) ثلاث سنين وكان من أهل الصفة يقال: انّه نزل البصرة ثمّ سكن الشام، ثمّ تحول الى بيت المقدس ومات بها وهو ابن مائة وقيل: بل توفي بدمشق روى عنه الشاميّون مكحول وعبداللّه بن عامر وشدّاد، وذكر في الإصابة أنّه آخر من مات بدمشق من الصحابة.

(٢) هو أبو عمّار ابن عبداللّه الدمشقي حكى ابن حجر في التهذيب توثيقه عن جماعة، والأخبار المرويّة عن واثلة في هذه القضيّة أكثرها بواسطة هذا الرجل، رواها عنه الأوزاعي امام أهل الشام وغيره، وفي مناقب الخوارزمي باب أنّ عليّاً من أهل البيت روى مثل ذلك عن واثلة بواسطة أبي الأزهر وكأنّه المغيرة بن قروة الثقفي الدمشقي.

(٣) يعني بما لاينبغي من الشتم كما في الطبري (نعوذ باللّه من الضلال).

فاطمة أسألها عن علي قالت: توجّه الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فجلست أنتظره حتّى جاء رسول اللّه ومعه علي والحسن والحسين (عليهم السّلام) آخذ كلّ منهما بيده حتّى دخل فأدنى علياً وفاطمة فاجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه، ثمّ لف عليهم ثوبه أو قال كساه، ثمّ تلى هذه الآية: «إنّما يريد اللّه ليذهب....» وقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق.

ونحوه في تفسير الطبري وفيه التصريح بقوله سألت عن علي في منزله، ومستدرك الحاكم ج٢ ص٤١٦ عند تفسير سورة الاحزاب وج٣ باب مناقب أهل البيت (عليهم السّلام) ص١٤٧ وشواهد التنزيل بعدّة أسانيد، وعن تفسير الثعلبي وغيره، لكن في بعضها زاد على ما ذكر أنّ واثلة قال: يا رسول اللّه وأنا من أهلك فقال: وأنت من أهلي أو نحو هذا الكلام، فقال واثلة: انّها لمن أرجى ما ارتجى.

أقول: الزيادة غير معتبرة عندنا، كما يتّضح ممّا ذكرناه آنفاً في حديث اُمّ سلمة، وعلى تقدير صحّتها يمكن أن يكون المراد منها أنّه منهم في بعض شؤون المعيشة، أو بعض مراتب الاحترام، لأنّه كان من خدّام النبي (صلّى اللّه عليه وآله) لا دخوله معهم في حكم الآية، وإلاّ لم يكن للفّ الثوب عليهم حكمة، ولا لقوله (صلّى اللّه عليه وآله): اللهمّ هولاء أهل بيتي معنى، ولعلّه (صلّى اللّه عليه وآله) قال لواثلة كلمة خير ليردّه بها عما سأله على وجه جميل، مثل ما قاله لاُمّ سلمة فظنّ واثلة من كلمته ما سأله أو ظنّه بعض الرواة من كلام واثلة؛ اذ النقل بالمعنى كان شايعاً في الأخبار وكان موجباً لتمويهات كثيرة.

وعلى كلّ فصريح هذه الأخبار أنّ هذه القضيّة وقعت في بيت فاطمة، فهي غير ما وقع في بيت اُمّ سلمة.

نعم في رواية اخرى[١] عن واثلة قال: رأيتني ذات يوم وقد جئت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وهو في بيت أُمّ سلمة، فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبّله، وجاء الحسين فأخذه وأجلسه على فخذه اليسرى وقبّله، وجائت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثمّ دعا عليّاً فجاء، ثم أغدف عليهم كساءً خيبريّاً كانّي أنظر إليه، ثمّ قال: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس....» الآية.

وهذا إمّا محمول على أنّ واثلة شهد القضيّة في بيت أُمّ سلمة أيضاً، كما استظهره ابن طاووس في الطرائف، فلعلّه لاجل خدمته كان يتردّد في بيوت النبي (صلّى اللّه عليه وآله) فشهدها مكرّراً، أو يحمل على اشتباه بعض الرواة وكان الصواب في بيت فاطمة، لأن وقوعها في بيت أُمّ سلمة معروف، فانصرف ذهن الراوي إليها، واللّه العالم.

وممّن شهد القضيّة ورواها عائشة، كما روى الثعلبي[٢] في تفسيره كشف البيان باسناده عن رجل من بني الحارث بن تيم اللّه يقال له مجمع[٣] قال: دخلت مع أُمّي على عائشة فسألتها أُمّي عن خروجها يوم الجمل، فقالت: كان قدراً من اللّه ثم سألتها عن علي (عليه السّلام) فقالت:

(١) شواهد التنزيل ورواه ابن طاووس في طرائفه عن مسند ابن حنبل، لكن لم أعثر عليه في المسند في أحاديث واثلة، ولعلّ مراده بالمسند كتاب فضائل ابن حنبل.

(٢) هو أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم النيسابوري المتوفّى٣٣٧ قال ابن خلكان: انّه أوحد زمانه في علم التفسير، وتفسيره كبير فاق غيره من التفاسير.

أقول: والرواية المذكورةأوردها في آية التطهير، وقد أخذتها من النسخة المخطوطة في مكتبة السيّد المرعشي بقم، ورواها عنه شيخنا الطبرسي في مجمع البيان.

(٣) هو جميع بن عمير التيمي، فذكر ابن حجر في التهذيب أنّه يقال له أيضاً مجمع وجامع، وتقدّم شطر من حديثه هذا في أوائل الفائدة الرابعة من الباب السابق، وذكرنا شيئاً من ترجمته وما قيل في حديثه.

تسألني عن أحبّ الناس الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) وزوج أحبّ الناس إليه، لقد رأيت عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً جمع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) بثوب عليهم، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاءِ أهل بيتي وحامّتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ونحوه في شواهد التنزيل في عدّة روايات[1] ومفادها أيضاً اختصاص أهل بيته (عليهم السّلام) بهؤلاء واختصاص دعائه بهم.

وروى مسلم في صحيحه باب فضائل الحسن والحسين (عليهما السّلام)باسناد آخرعن عائشةأنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله)خرج غداة وعليه مرط[2] مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جائت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس....» الآية. ونحوه في مستدرك الحاكم ج٣ ص١٤٧ وتفسير الطبري وشواهد التنزيل. وذكرالحافظ الگنجي في كفاية الطالب انّ هذا حديث متّفق على صحّته، وأورده الزمخشري في الكشّاف، والرازي في تفسيره عند آية المباهلة لتتميم قصّتها، كما مرّ عن الرازي مع قوله بأنّه كالمتّفق على صحّتهِ بين أهل التفسير والحديث، فمقتضاه أنّ عائشة شهدت ذلك عند خروج النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الى المباهلة، فهي قضيّة اُخرى غير ما كان في بيت اُمّ سلمة

---

(١) رواها بأسانيد عن العوام بن حوشب عن جميع، وهو ابن عمّ العوام، وذكر في بعضها أنّ جميعاً قال: دخلت اُمّي على عائشة فذهبت لأدخل فقالت عائشة: انّي أراه قد احتلم فحجبتني وسألتها اُمّي عن علي فقالت... مثل الكلام المتقدم.

(٢) المرط بالكسر كساء. والمرحّل بتشديد الحاء المهملة كما في نهاية ابن الأثير ما فيه صور الرحال، أو بالجيم المعجمة ما فيه صور الرجال. ويحتمل أن يكون من المرجل أي آلة كالمشط يضرب به الكساء لتسويته.

وفاطمة، ويؤيده ما يأتي في رواية سعد بن أبي وقّاص.

وممّن رواها من الصحابة جابر بن عبدالله الأنصاري، ففي شواهد التنزيل بإسناده عنه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) دعا عليّاً وابناه وفاطمة، فالبسهم من ثوبه ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهلي.

وفيه أيضاً باسناد آخر عنه قال: نزلت هذه الآية على النبي (صلّى الله عليه وآله) وليس في البيت إلاّ فاطمة والحسن والحسين وعلي (عليهم السّلام): «إنّما يريد الله....» فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم): اللهمّ هؤلاء أهلي.

وروى علي بن محمّد الخزّار القمّي، وهو من علماء الاماميّة في أوائل القرن الخامس في كتابه كفاية الأثر(١) بإسناده عن جابر قال: كنت عند النبي (صلّى الله عليه وآله) في بيت أُمّ سلمة فأنزل الله هذه الآية: «إنّما يريد الله....» فدعا بالحسن والحسين وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا عليّاً فأجلسه خلف ظهره وقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. قالت أُم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله، قال: أنت على خير، فقلت: يا رسول الله لقد أكرم الله هذه العترة الطاهرة والذريّة المباركة بذهاب الرجس عنهم، قال: لأنّهم عترتي من لحمي ودمي فأخي سيّد الأوصياء، وابنيّ خير الأسباط، وابنتي سيّدة النسوان ومنّا المهديّ الخبر.

ومنهم: عمر بن أبي سلمة ابن أُمّ سلمة، ففي جامع الترمذي(٢)

(١) ص٦٦ من طبعته الجديدة بقم وله طبعة قديمة مع كتاب الأربعين للمجلسي، ورواه في البحار عنه باب نصوص الرسول (صلّى الله عليه وآله) على الأئمّة الجزء٣٦.

(٢) في كتاب التفسير عند سورة الأحزاب، وكتاب المناقب باب مناقب أهل البيت (عليهم السّلام)

بإسناده عنه قال: نزلت هذه الآية على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): «إنّما يريد اللّه...» في بيت أُمّ سلمة، فدعا (صلّى اللّه عليه وآله) فاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّلهم بكساء وعليّ خلف ظهره فجلّله بكساء، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول اللّه، قال: أنت على مكانك وأنت الى خير. ورواه في ذخائر العقبى عن الترمذي وفي كفاية الطالب عن الطبراني.

ورواه أيضاً في تفسير الطبري باسناده عن عمر بن أبي سلمة ولفظه: فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا عليّاً فأجلسه خلفه فتجلّل هو وهم بالكساء، ثمّ قال: هؤلاء أهل بيتي... ونحوه في شواهد التنزيل بإسناده عن عمر بن أبي سلمة بطريقين إلاّ أنّه أورده في أحاديث أُمّ سلمة، وذكر أنّ عمر قد رواه عنها، لكنّ الظاهر من متن الخبر في جميع ما ذكر أنّه قد رواه من نفسه، فيمكن أنّه كان في بيت أُمّه وشهد القضيّة.

ومنهم: عبداللّه بن جعفر بن أبي طالب (رضي اللّه عنه) كما في مستدرك الحاكم[1] بإسناده عنه قال: لمّا نظر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) الى الرحمة[2] هابطة قال: ادعوا لي ادعوا لي فقالت صفية من يارسول اللّه؟ قال: أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، فجيىء بهم فألقى عليهم كسائه، ثمّ رفع يديه ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وآل محمّد، وأنزل اللّه (عزّوجلّ): «إنّما يريد اللّه....» الآية.

وفي تفسير الثعلبي وشواهد التنزيل بإسنادهما عنه لمّا نظر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الى الرحمة هابطة من السماء قال: من يدعو؟

---

(١) ج٣ ص١٤٨ باب مناقب أهل البيت (عليهم السّلام) وقال: صحيح الاسناد.

(٢) يعني الوحي وآية الكتاب قال اللّه تعالى: «وانّه لهدى ورحمة للمؤمنين».

مرّتين. قالت زينب: أنا يارسول اللّه، فقال أُدعي لي علياً وفاطمة والحسن والحسين، قال ابن جعفر: فجعل حسناً عن يمينه وحسيناً عن يساره وعلياً وفاطمة وجاهه، ثمّ غشّاهم كساءاً خيبريّاً، ثمّ قال: اللهمّ لكلّ نبي أهل وهؤلاء أهلي، فأنزل اللّه تعالى «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس» الآية فقالت زينب: ألا أدخل معكم؟ فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): مكانك فانّك الى خير إنشاء اللّه.

أقول: زينب هذه إمّا بنت أُمّ سلمة ان كانت القضية في بيتها كما روي عنها في ذخائر العقبى[١] حديثاً آخر يشبه حديث الكساء، أو بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أو بنت جحش زوج النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ومنهم: .عبداللّه بن عبّاس، كما في مسند ابن حنبل[٢] ومستدرك

---

(١) باب أنّهم (عيهم السّلام) أهل البيت، رواه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه يعني عبداللّه بن عمرو بن العاص أنّه دخل على زينب بنت أبي سلمة، فحدّثته أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) كان عند أُمّ سلمة، فجعل حسناً من شقّ وحسيناً من شقّ وفاطمة في حجره، فقال: رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت انّه حميد مجيد وأنا وأُمّ سلمة جالستان فبكت أُمّ سلمة، فنظر إليها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فقال: ما يبكيك؟ فقالت: يا رسول اللّه خصصتهم وتركتني وابنتي فقال: انّك وابنتك من أهل البيت.

ونحوه في مجمع الزوائد ج٩ ص١٧١.

ومن الظاهر أنّ هذا الخبر ليس من حديث الكساء لعدم ذكر الكساء فيه ولا نزول آية التطهير ولادخول علي (عليه السّلام) فيه، فقول النبي لأُمّ سلمة إنّك وابنتك من أهل البيت يعني من حيث دخولهما في قوله رحمه اللّه وبركاته عليكم أهل البيت، كما هو مقتضى المقام.

(٢) ج١ ص٣٣١ وفي المستدرك ج٣ ص١٣٣ ورواه في شواهد التنزيل عن ابن عبّاس مقتصراً على هذه الجملة، وذكر فيه أنّه اختصره من كلام طويل قبله وبعده.

الحاكم وغيرهما بإسنادهم عنه في حديث طويل ذكر فيه عشر فضائل لعلي (عليه السّلام)[١] فقال: وأخذ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ثوبه، فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: «إنّما يريد اللّه...» الآية.

وقد تقدّم في أوّل الباب السابق خبران آخران عن ابن عبّاس في هذا المعنى، ويأتي أيضاً خبر آخر عنه في مرور النبي (صلّى اللّه عليه وآله) على بيتهم وقرائة الآية عليهم.

ومنهم: سعد بن أبي وقّاص، فروى الشيخ الطوسي في أماليه ج٢ ص٢١٢ باسناده عن ابن عبّاس قال: كنت عند معاوية وقد نزل بذي طوى، فجائه سعد بن أبي وقّاص فسلّم عليه، فقال معاوية: يا أهل الشام هذا سعد وهو صديق لعليّ، فطأطأ القوم رؤوسهم فسبّوا عليّاً، فبكى سعد، فقال معاوية: ما الذي أبكاك؟ قال: ولم لا أبكي لرجل من أصحاب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) يسبّ عندك ولاأستطيع أن اُغيّر، وقد كان في عليّ خصال لأن تكون فيّ واحدة منهنّ أحبّ اليّ من الدنيا وما فيها، الى أن قال: والخامسة نزلت هذه الآية: «إنّما يريد اللّه....» فدعا النبي (صلّى اللّه عليه وآله) عليّاً وحسناً وحسيناً وفاطمة.فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وروي في خصائص النسائي وشواهد التنزيل بإسنادهما عن عامر بن سعد[٢] قال: مرّ معاوية بسعد فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب، فقال: أما ماذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فلاأسبّه، لأن

---

(١) في مستدرك الحاكم وتلخيص الذهبي: بضع عشر فضائل ليست لاحد غيره، وهذا صريح بإختصاص هذه الفضائل به (عليه السّلام).

(٢) هو ابن سعد بن أبي وقّاص.

تكون لي واحدة منها أحبَّ اليّ من حمر النعم، الى أن قال: ولمّا نزلت هذه الآية: «إنّما يريد اللّه...» دعا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: هؤلاء أهلي.

وروى الحاكم في مستدركه ج٣ ص١٠٨ و١٤٧ والطبري في جامعه عند آيةالتطهير بإسنادهما عن سعد أنّه نزل على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) الوحي، فأدخل عليّاً وفاطمة وابنيها تحت ثوبه، ثمّ قال:ربّ هؤلاء أهلي وأهل بيتي.

وفي شواهد التنزيل بإسناده عنه أنّه قال لمعاوية بالمدينة: لقد شهدت من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في عليّ ثلاثاً لأن تكون لي واحدة منها أحبّ اليّ من حمر النعم، شهدته وقد أخذ يدي ابنيه الحسن والحسين وفاطمة وقد جأر[1] الى اللّه تعالى وهو يقول: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهذا صريح في أن سعداً شهد ذلك بنفسه، ولعلّه كان عند خروج النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) للمباهلة، لما مرّ آنفاً في حديث عائشة.

هذا وقد تقدّم في آية المباهلة عن صحيح مسلم وجامع الترمذي أنّ سعداً قال لمعاوية في سبب امتناعه عن سبّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) انه لّما نزل قوله تعالى «فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم» الخ. دعا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللهمّ هؤلاء أهلي. ومقتضى الجمع بين ذلك وما ذكر هنا أنّه قال له نزول كلتا الآيتين، وأنّ قول النبي (صلّى اللّه عليه وآله) كان بعد كلتيهما، فاختصره الرواة فذكر بعضهم آية التطهير وآخر آية المباهلة، واقتصر ثالث على ذكر نزول

(١) أي تضرّع، كما قال تعالى: «فإليه تجأرون».

الوحي، كما مرّ عن مستدرك الحاكم وجامع الطبري. ويحتمل أنّ قضيّة معاوية مع سعد كانت مرّتين، فاكتفى سعد في كلّ مرّة بذكر احدى الآيتين، وعلى كلّ يدلّ ما تقدّم منه في آية المباهلة على حصر أهله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بهؤلاء الأربعة، فيكون لامحالة تفسيراً لآية التطهير أيضاً، ودليلاً على اختصاصها بهم (عليهم السّلام).

ومنهم: أبو سعيد الخدري (رضي اللّه عنه) ففي شواهد التنزيل بأسانيد عن عطية العوفي عنه في قول اللّه (عزّوجلّ): «إنّما يريد اللّه...» الآية قال: جمع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)عليّاً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) ثمّ أدار عليهم الكساء، فقال: هؤلاء أهل بيتي اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ونحوه في تاريخ بغداد(١).

وفي الدرّ المنثور للسيوطي قال: أخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد قال: كان يوم اُمّ سلمة فنزل جبرئيل على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) بهذه الآية «إنّما يريد اللّه...» فدعا بحسن وحسين وفاطمة وعليّ، فضمّهم إليه ونشر عليهم الثوب والحجاب على اُمّ سلمة مضروب، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قالت اُم سلمة: وأنا معهم يانبيّ اللّه، قال: أنتِ على مكانك وانّك على خير. ويأتي عن أبي سعيد خبران آخران في اختصاص الآية بهم عند ذكر تمام النصوص.

وممّن روى من الصحابة قضيّة حديث الكساء أصحابه الذين نزلت فيهم الآية المباركة، فقد روي بصورة مفصّلة مبسوطة عن فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) وهو بتلك الصورة معروف عند الشيعة الاماميّة، يتبركون بذكره في محافلهم ويتوسّلون به الى اللّه تعالى في حوائجهم وشدائدهم،

(١) ج١٠ ص٢٧٨ باسناده عنه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

ونظمه جمع من الشعراء بالعربيّة والفارسيّة(١) وقدرواه الشيخ الجليل المتتبّع فخرالدين الطريحي صاحب مجمع البحرين في كتابه المنتخب مرسلاً، وأورده الفقيه البارع السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي نزيل مدينة قم (تغمّده اللّه برضوانه) في آخر تعاليقه على الجزء الثاني من احقاق الحق مسنداً الى جابر بن عبداللّه الأنصاري عن الزهراء(سلام اللّه عليها)وقد نقل ذلك عن كتاب عوالم العلوم(٢) بواسطة العالمين الجليلين الشيخ محمّد تقي البافقي اليزدي، والشيخ محمّد الصدوقي اليزدي(٣) (رحمهما اللّه تعالى)

---

(١) أورد السيد العالم محيى الدين الغريفي في رسالة آية التطهير عدة منظوماته العربية وممن نظمه بالفارسية الشاعر المخلص المعروف بوفائى كما في ديوانه أوله:

حديثى است از حضرت فاطمة ... كه بى واهمه گويش با همه

(٢) للشيخ المتبحّر عبداللّه بن نور الدين البحراني تلميذ المجلسي ومعينه في تأليف بحار الأنوار، وكتابه العوالم كبير جداً على غرار البحار، ولم يطبع منه قبل ذلك إلاّ مقتل الحسين (عليه السّلام) وأجزائه المخطوطة نادرة الوجود، وذكر الشيخ البافقي في رسالته المذكورة أنّ سبعين جزءاً منها موجودة في بلدة يزد بمكتبة ميرزا سليمان، وانّ هذا الحديث مذكور في جزئه الحادي عشر في أحوال سيّدة النساء (سلام اللّه عليها) وقد وقف أخيراً بعض الأفاضل بمدينة قم على بعض نسخ الكتاب، فطبع عدّة أجزائه مع التحقيق بصورة حسنة منها الجزء الحادي عشر، وليس فيه هذا الحديث، ثمّ وقف على نسخة أُخرى من هذا الجزء وفيه الحديث مسنداً بهامشها، فطبعه ثانياً وطبع فيه بالأُوفست عين الصفحة التي فيها الحديث أيضاً، فجزاه اللّه تعالى عن أهل بيت نبيّه خيراً حيث اشاد مدرسة باسم الامام المهدي لتحقيق وجمع آثارهم (عليهم السّلام).

(٣) هذا الشيخ الجليل كان في السابق مقيماً في بلدة قم ومدرّساً بها، وقرأت عنده اللمعة والقوانين، ثمّ انتقل الى بلدة يزد علماً بها ومن المجاهدين، وأخيراً كان إمام الجمعة إلى أن اغتيل في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ألف واثنتين وأربعمائة بعد صلاة الجمعة بأيدي الأشرار، فلحق بشهداء الفضيلة من العلماء الأخيار الذين استشهدوا في سبيل الإسلام في أعوام الثورة الإسلاميّة الإيرانية بقيادة الإمام الخميني (رحمه اللّه تعالى).

في رسالتهما إليه، ولكنه ذكر في رسالة الصدوقي أنّ الحديث وإسناده مكتوب في هامش الكتاب.

أقول: ولمّا كانت العظمة والإهتمام لاصل القضيّة، وهو نزول آية التطهير للخمسة المذكورين (عليهم السّلام) وقد بان ذلك جلياً بالصحاح الصريحة والنصوص المستفيضة من طريق العترة الطاهرة وغيرهم بحيث لامجال فيه لإرتياب أحد غير مكابر، أجملنا عن نقل السند المشار إليه لهذا الخبر والبحث حوله لثبوت مهمّته بدون ذلك وسائر ما تضمّنه تلك الصورة من الفضائل العظيمة لهؤلاء الخمسة عند اللّه تعالى وبركات ذكر حديثهم هذا في مجالس شيعتهم قد ثبت أيضاً في سائر الأخبار الواردة عنهم (عليهم السّلام) وقد مرّ بعضها في الباب الثاني من هذه الرسالة، كما أن إشتهار متنه في كتب الأدعية والزيارات وغيرها من المؤلفات[1] أغنانا عن نقله بطوله في هذا المختصر.

وورد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) أيضاً رواية أصل الحديث واحتجاجه به على الصحابة في شتّى مواقف، فلم ينكر عليه أحد منهم، فتارة احتجّ به في سائر خصائصه وفضائله على أبي بكر لافضليّته وأولويته منه بالخلافة، كما رواه شيخنا الصدوق (عليه الرحمة) في كتابه الخصال[2] فقال له: أنشدك باللّه ألي ولاهلي وولدي آية التطهير من

---

(١) ألّف الفاضل المحترم السيد حسين الكرماني (حفظه اللّه) رسالة مفصّلة في حديث الكساء سمّاها مجمع الأنوار، وأورد في أوّلها متنه العربي بالسند المذكور، ثمّ شرحه بالفارسية بما ينبغي من التحقيق وساعده التوفيق.

(٢) في أبواب الأربعين بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) و نحوه في إحتجاج الطبرسي مرسلاً، وأورده عنهما في البحار في المجلّد الثامن من طبعته القديمة باب إحتجاجه (عليه السّلام) على أبي بكر في أمر البيعة.

الرجس أم لك ولاهل بيتك قال أبو بكر بل لك ولاهل بيتك، قال (عليه السّلام): فأنشدك باللّه أنا صاحب دعوة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأهلي وولدي يوم الكساء اللهمّ هولاء أهلي إليك لا إلى النار أم أنت، قال: بل أنت وأهلك وولدك.

وأُخرى احتجّ به علي أبي بكر أيضاً بمحضر المهاجرين والأنصار في أمر فدك، حيث انتزعها أبو بكر من يد الصديقة (سلام اللّه عليها) ولم يقبل منها دعواها النحلة فقال له أمير المؤمنين (عليه السّلام) في جملة كلامه أخبرني عن قول اللّه (عزّوجلّ) «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس» الخ فيمن نزلت فينا أم في غيرنا، قال: بل فيكم، فقال (عليه السّلام): فلو أنّ شاهدين شهدا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً، قال: أُقيم عليها الحدّ كما أُقيم على سائر المسلمين، قال (عليه السّلام): كنت إذاً عند اللّه من الكافرين لأنك رددت شهادة اللّه لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها كما رددت حكم اللّه ورسوله ان جعل لها فدكا وقبضته الخ (١).

وثالثة يوم الشورى على أصحابها لاحقيّته منهم بالبيعة، فقد روى الصدوق (رحمه اللّه) في خصاله[٢] بإسناده عن عامر بن واثلة، قال: كنت في البيت يوم الشورى، فسمعت عليّاً (عليه السّلام) وهو يقول فذكر دعوى الأحقيّة والأولويّة بأمر الخلافة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) والاحتجاج عليهم بكثير من خصائصه المعلومة، من جملتها أنّه

(١) رواه الشيخ الجليل علي بن إبراهيم القمّي (رحمه اللّه) في تفسيره عند قوله تعالى في سورة الروم «وآت ذا القربى حقه» بإسناده الصحيح عن الصادق (عليه السّلام) في كلام حكاه عن علي (عليه السّلام) في أمر فدك، ونحوه في احتجاج الطبرسي وكتاب العلل للشيخ الصدوق، ورواه في البحار عن هذه المصادر في المجلّد المذكور باب نزول الآيات في فدك.

(٢) في أبواب الاربعين وما فوقه.

قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد أنزل اللّه فيه آية التطهير: «إنّما يريد اللّه ليذهب» الخ. فأخذ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كساءاً خيبريّاً فضمّني فيه وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) ثمّ قال: يارب هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قالوا: اللهمّ لا.

وروى الحافظ الحنفي أبو المؤيّد الخوارزمي في مناقبه في الفصل التاسع عشر منه بإسناد آخر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت مع علي (عليه السّلام) في البيت[1] يوم الشورى وسمعته يقول لهم: لاحتجنّ عليكم بما لايستطيع عربيّكم ولاعجميّكم تغيير ذلك، الى أن قال: فأنشدكم باللّه هل فيكم أحد أنزل اللّه فيه آية التطهير، حيث قال: «إنّما يريد اللّه» الخ. غيري قالوا: اللهمّ لا.

وروى شيخنا الطوسي (رحمه اللّه) في أماليه ج٢ ص١٥٩ طبعة النجف حديث المناشدة في ذاك اليوم طويلاً بالإسناد يرفعه الى أبي ذرّ (رضي اللّه عنه) فممّا ذكر فيه أنّه قال (عليه السّلام): فهل فيكم أحد أنزل اللّه فيه آية التطهير حيث يقول اللّه تعالى: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس» الخ. غيري وزوجتي وابنيّ قالوا: لا، ثمّ قال (عليه السّلام) بعد عدة اُخرى من فضائله: فهل فيكم أحد طرح عليه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ثوبه وأنا تحت الثوب وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) وقال: اللهمّ أنا وأهل بيتي إليك لا إلى النار غيري، قالوا: لا. ونحوه في احتجاج الطبرسي عن الإمام الباقر (عليه السّلام) إلاّ أنّ لفظه في

(١) يعني على باب البيت، كما رواه الخوارزمي بعد ذلك. وفي الأمالي بعد حديث أبي ذر روى عن أبي الطفيل قال: فلمّا اجتمعوا أجلسوني على الباب أردّ عنهم الناس، وقد ورد أنّ عمر بن الخطّاب أمرهم أن يدخلوا بيتاً ويغلقوا عليهم بابه، ولايدخل عليهم أحد إلاّ ابنه عبداللّه حتّى تتمّ بيعتهم.

الجملة الأُولى قال: نشدتكم باللّه هل فيكم أحد أذهب اللّه عنه الرجس وطهّره تطهيراً غيري؟ قالوا: لا.

واعلم أنّ أصل حديث المناشدة من الإمام (عليه السّلام) في ذاك اليوم واحتجاجه لحقّه ببعض فضائله الموجبة لإختصاصه بالخلافة عن غيره من أهمّ الآثار وأثبتها في واقعة الشورى.

وقد رواه من غير المذكورين أبو رافع مولى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأبو الأسود الدؤلي، كما في أمالي الطوسي (١) (رحمه اللّه) وقد حكى فيه عن أبي الأسود أنّه قال: كنت على باب البيت الذي فيه جماعة الشورى أنا ونفر معي حاجتهم أن يسمعوا الحوار الذي يجري بين الجماعة. وذكر ابن أبي الحديد في شرح قوله (عليه السّلام) في الخطبة ٧٢ من النهج «لقد..علمتم أنّي أحقّ بها من غيري» أن مناشدته لهم بخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم في الجملة مستفيضة في الروايات، ولكن اختلف النقل في تعديدها قلّةً وكثرة وزيادة ونقيصة، فراجع المصادر المذكورة أو البحار باب الشورى من المجلّد المتقدّم ذكره آنفاً في التعليقة.

ومن المعلوم أنّ هذا الاختلاف إمّا لاختلاف الحاضرين في مقدار ما حفظوه، أو اختلاف الرواة عنهم في ضبطها أو نقلها، ولذا اختلفت الروايات في مقدار ما نقل عن أبي الطفيل، وعلى كلّ فما ورد في لسان الميزان لإبن حجر في ترجمة الحارث بن محمّد ج٢ ص١٥٦ من انكار أصل حديث المناشدة في ذاك اليوم ناش من قلّة المراجعة والتتبّع في الحديث، أو حسن الظنّ الشديد بأسلافهم، أعاذنا اللّه تعالى من العصبيّة.

ومن المواقف التي احتجّ فيه أمير المؤمنين (عليه السّلام) بآية التطهير أيّام خلافة عثمان، وقد اجتمع كثير من المهاجرين والأنصار في المسجد فتذاكروا فضلهم، فقال (عليه السّلام) في جملة من فضائله: أيّها الناس

أتعلمون أنّ اللّه (عزّوجلّ) أنزل في كتابه «إنّما يريد اللّه» الآية. فجمعني وفاطمة وابنيّ حسناً وحسيناً، ثمّ ألقى علينا كساءاً فدكيّاً[١] وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرحني ما يجرحهم فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة: وأنا يارسول اللّه، فقالت: أنت إلي خير إنّما أُنزلت فيّ وفي أخي وإبنتي فاطمة وإبنيّ وتسعة من ولد الحسين خاصة وليس معنا أحد غيرنا. رواه الطبرسي (رحمه اللّه) في احتجاجه مرسلاً عن سليم بن قيس الهلالي، والصدوق في كمال الدين بالإسناد عنه، وأورده في البحار باب إحتجاجه (عليه السّلام) على المهاجرين والأنصار من المجلّد المذكور.

ومن تلك المواقف أيّام صفّين، وقد أرسل معاوية بن أبي سفيان أبا هريرة وأبا الدرداء بكتاب الى الإمام (عليه السّلام) فقال لهما كلاماً طويلاً ليبلغاه معاوية، وكان عنده جمع من أصحابه، فممّا قال (عليه السّلام): أيّها الناس أتعلمون أنّ اللّه أنزل في كتابه، الى آخر ما في الخبر المتقدّم باختلاف يسير في بعض ألفاظه[٢]، وقد ورد في كليهما بعد ذلك أنّ الجماعة الحاضرين قالوا كلهم: نشهد أنّ أُمّ سلمة حدّثتنا بذلك، فسألنا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فحدّثنا به كما حدّثتنا به أُمّ سلمة.

وروى الثقفي في كتاب الغارات[٣] أنّ عليّاً (عليه السّلام) كتب الى

---

(١) في أكثر الأخبار وصف الكساء بالخيبري، وقد ذكرنا في أخبار أُمّ سلمة أنّه يمكن كون الإختلاف لتعدّد القضيّة، وهذه الكلمة غير مذكورة في كمال الدين ولافي البحار عن كتاب الإحتجاج.

(٢) رواه الشيخ الجليل النعماني في كتاب الغيبة في الباب الرابع بإسناده عن كتاب سليم بن قيس، وعن عمر بن أبي سلمة، ورواه في البحار في المجلّد المذكور باب كتبه (عليه السّلام) الى معاوية عن كتاب سليم وغيبة النعماني.

(٣) ج١ ص١٩٥ ورواه عنه في البحار في الباب المذكور آنفاً.

معاوية ونقل الكتاب بطوله وقد ذكر فيه: ونحن أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وروى السيّد ابن طاووس (رحمه اللّه تعالى) في كتاب اليقين الباب الثاني والعشرين بعد المأة بالاسناد أنّه قال ابن عبّاس: كتب الى أمير المؤمنين (عليه السّلام) بعض شيعته من الشام أنّ معاوية وعمرو بن العاص وأضرابهما اجتمعوا فذكروه وعابوه، قال: فدخلت عليه بالكوفة ليلاً فقال (عليه السّلام) كلاماً من جملته: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد قرنت برسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حيث يقول (عزّوجلّ): «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت».

وروى الصدوق (رحمه اللّه) في الخصال أبواب السبعين بالإسناد عن مكحول أنّه قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلاّ وقد شركته فيها وفضّلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم، الى أن قال: وأمّا السبعون فانّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) نام ونوّمني وزوجتي فاطمة وإبنيّ الحسن والحسين وألقى علينا عبائه قطوانيّة، فأنزل اللّه تبارك وتعالى فينا «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس» الآية، وقال جبرئيل (عليه السّلام): أنا منكم يا محمّد فكان سادسنا جبرئيل، هذا ما عثرنا عليه من كلام علي (عليه السّلام) في تأويل آية التطهير.

وأمّا الإمام الحسن (عليه السّلام) فقد خطب خطبة طويلة جليلة يوم اجتمع بمعاوية للاصطلاح وكان يوماً مشهوداً عظيماً بكثرة الناس والموقعيّة السياسيّة، فقال بعد الحمد والشهادة: إنّا أهل بيت أكرمنا اللّه بالإسلام واختارنا واصطفانا واجتبانا فأذهب عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً، والرجس هو الشكّ فلانشكّ في اللّه الحقّ ودينه أبداً، وطهّرنا من كلّ افن وعيبة

مخلصين الى آدم نعمة منه، ثمّ قال بعد عدّة كلمات في تفضيل أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السّلام): وقد قال اللّه تعالى «إنّما يريد اللّه» الخ. فلمّا نزلت آية التطهير جمعنا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنا وأخي وأُمّي وأبي، فجلّلنا ونفسه في كساء لأُمّ سلمة خيبريّ، وذلك في حجرتها ويومها، فقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أُمّ سلمة (رضى اللّه عنها): أدخل معهم يارسول اللّه، فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لها: يرحمك اللّه أنت على خير والى خير وما أرضاني عنك، ولكنّها خاصّة لي ولهم، ثمّ مكث رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بعد ذلك بقيّة عمره حتّى قبضه اللّه تعالى إليه، يأتينا كلّ يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة يرحمكم اللّه إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً، رواه شيخنا الطوسي (رحمه اللّه) في أماليه ج٢ ص١٧٧ طبعة النجف بإسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه (عليهم السّلام) ورواه قبل ذلك باختصار بإسناده عن أبي عمر زاذان عن الإمام الحسن (عليه السّلام) ونحوه في شواهد التنزيل بدون ذكر الخطبة.

وخطب (عليه السّلام) بالكوفة بعد شهادة أبيه، وهي أيضاً خطبة مهمّة في موقع عظيم، فقال بعد الحمد والثناء على اللّه تعالى وذكر أمير المؤمنين (عليه السّلام) ومدحه بما كان له من العظمة، أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن، الى أن قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي الى اللّه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي ارسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذي أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

رواه الشيخ الطوسي في الأمالي ج١ ص٢٧٦ بالإسناد عن أبي

الطفيل والحاكم النيشابوري في مستدركه بإسناده عن الإمام السجّاد (عليه السّلام)[١] ورواه شيخنا المفيد (رحمه اللّه) في إرشاده عن أبي مخنف بإسناده عن أبي اسحاق السبيعي وغيره، ورواه في البحار باب خطب الإمام الحسن (عليه السّلام) من الجزء٤٣ عن أبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين.

وخطب أيضاً لإهل الكوفة كما في شواهد التنزيل عند آية التطهير بإسناده عن أبي جميلة، قال: خرج الحسن (عليه السّلام) يصلّي بالناس وهو بالكوفة[٢] فطعن في فخذه بخنجر فمرض شهرين، ثمّ خرج فحمد اللّه، ثمّ قال: يا أهل العراق إتّقوا اللّه فينا فإنّا أُمرائكم وضيفانكم وأهل البيت الذين سمّى اللّه في كتابه «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس» الخ. ورواه أيضاً بإسناده عن هلال بن يساف قال: سمعت الحسن بن علي (عليهما السّلام) وهو يخطب ويقول: يا أهل الكوفة اتّقوا اللّه فينا فإنّا أُمرائكم وانا ضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال اللّه تعالى «إنّما يريد اللّه» الخ. قال يعني هلال: فما رأيت يوماً قطّ أكثر باكياً من يومئذ، وليس في هذا ذكر للطعن بالخنجر.

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٤ ص١٠ طبعة مصر عن المدائني أنّ عمرو بن العاص لقى الإمام الحسن (عليه السّلام) في الطواف فقال له: ياحسن زعمت أنّ الدين لايقوم إلاّ بك وبأبيك، فقد رأيت اللّه

---

(١) ورواه بهذا الاسناد في البحار ج٢٥ باب معنى آل محمّد (عليهم السّلام) عن كنز الفوائد للكراجكي بإختصار في بعض رجاله ولفظ الحديث في هذه الخطبة «أنا من أهل البيت» والظاهر أنّه بصيغة المتكلّم وحده.

(٢) قضيّة الطعن في فخذه (عليه السّلام) كانت بساباط مدائن وهي معروفة، فالمراد بالكوفة هنا كورتها المسمّاة بالعراق.

أقامه بمعاوية، فجعله راسياً بعد ميله الى آخر هذيانه، فأجابه الإمام (عليه السّلام) بما هو أهله، وذكر في آخر كلامه: إيّاك عنّي فانّك رجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب اللّه عنّا الرجس وطهّرنا تطهيراً، فأفحم عمرو وانصرف كئيباً.

وقد ورد نحو هذا الكلام عن الإمام الحسين (عليه السّلام) لمروان بن الحكم في المدينة بعد موت معاوية، فروى الخوارزمي في مقتله في فصله التاسع أنّه أشار مروان للإمام أن يبايع يزيد بن معاوية فاسترجع (عليه السّلام) وقال: على الإسلام السلام إذا بُليت الأمة براع مثل يزيد، ثم جرى بينهما الكلام الى أن غضب مروان وقال: لاتفارقني حتّى تبايع صاغراً فانّكم آل أبي تراب قد ملئتم شحناء واُشربتم بغض آل أبي سفيان، وحقيق عليهم أن يبغضوكم، فقال الحسين (عليه السّلام): إليك عنّي فانّك رجس وانّي من أهل بيت الطهارة قد أنزل اللّه تعالى فينا «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» فنكس مروان رأسه ولم ينطق.

أقول: ثم احتذت حذوه واقتفت أثره وأتمّت حجّته شقيقته الكبرى وشريكته في المصائب العظمى اُخته المكرّمة، وذلك بعد شهادته حينما أدخلها الطغاة من الأعداء مع أهلها من الصبيان والنساء على اللعين عبيداللّه بن زياد في قصر الامارة بالكوفة، والقصر غاصّ بأهله من أعيان العرب، فدخلت (سلام اللّه عليها) متنكّرة في أرذل الثياب لئلاّ تعرف، لكن جلال النبوّة وبهاء الامامة ومهابة العظمة والعفاف قد غشيها بحيث امتازت عمّن حولها من مجلّلات النساء في كيفيّة الورود والإنحياز الى مكانها حتّى استلفت نظرة ابن زياد في سلطانه الغاشم وفتحه الغرور، فسأل عنها فلم يجبه أحد، فأعاد السؤال ثانية بل وثالثة، كما في عدّة مصادر الحديث،

فقالت حينذاك بعض امائها ونقل قولها بعض الحاضرين من الرجال: انّها زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السّلام) فأراد اللعين أن يشمت بها بكلام يرضاه الناس لتبرير شناعته، فقال: الحمد للّه الذي فضحكم وقتلكم وأكذب احدوثتكم، فأجابتها سليلة النبوّة بحجّة بالغة وكلام حقّ الهيّ في رحابة الصدر واطمينان القلب مع ما كان فيه من الأشجان المحرقة، فقالت: الحمد للّه الذي أكرمنا بنبيّه محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا، فعرّضت بهذا الكلام الى فضيحة ابن زياد وفسقه وكذبه وفجوره، فلمّا أن رأى اللعين أنّ تدليسه لم يفده ولم يؤثر شيئاً بل انقلب عليه أعاد الحوار بصورة أُخرى، وقال: كيف رأيت صنع اللّه بأخيك وأهل بيتك، فأفحمته عقيلة بني هاشم بحجّة أُخرى أبلغ من الأول وقالت: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب اللّه عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم الى آخر القضيّة، وهي معروفة في كتب المقتل والتاريخ كإرشاد المفيد وتاريخ الطبري ومقتل الخوارزمي، وفي لفظ الأخير طهّرنا بكتابه تطهيراً، وللّه درّ العلامة المجيد السيّد محمّد جمال الدين الهاشمي (تغمّده اللّه تعالى برضوانه) في قصيدة عالية كما في الجزء الأول من ديوانه المطبوع جديداً:

فتسائل ابن زياد عنها شامتاً ... بكرائم فيها الكرامة تفخر
ورمى لزينب نظرة اموية ... كانت عن الحقد الدفين تعبّر
متسائلاً عنها ورب مسائل ... هو بالجواب من المعرّف أخبر
ومضى يخاطبها ويشمت وهي في ... حال لها حتى العدى تتأثّر
وهناك أدّت للجهاد رسالة ... علوية فيها الحقائق تظهر
فضحت امية وهي في جبروتها ... فاذا بها من كل خزي أقذر
وإذا يزيد وحكمه وجيوشه ... أُضحوكة منها العقيدة تسخر

هذا ما تيسّر لي استقصاؤه من رواية الصحابة لحديث الكساء ونزول آية التطهير في هؤلاء الخمسة، وقد كان البناء في نقل الأخبار على الإختصار دون الاطالة والإكثار، ولذا اقتصرت في كثير منها سيّما في أخبار أُمّ سلمة على مجرّد الإشارة، فعلى مريد التفصيل ومزيد التحقيق مراجعة المطوّلات[1] أو المصادر المذكورة في الاثناء.

وقد وضح ممّا أوردناه أنّ النصوص الواردة في ذلك لكثرتها واستفاضة طرقها في كلّ طبقة تكون من المتواترات المعنويّة المفيدة للقطع واليقين بها، وأنّ مفادها تخصيص الآية بهؤلاء المعصومين وتفضيلهم بها على جميع المسلمين لما صرّح بذلك في بعضها، ولوضوح أنّ الحكمة في حصر النبي (صلّى اللّه عليه وآله) ايّاهم مع نفسه الشريفة في كسائه ولفّه عليهم وقرائة الآية عليهم ودعائه لهم بقوله: اللهمّ هولاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ومنع زوجته أُمّ سلمة (رضي اللّه عنها) على جلالتها وكرامتها عنده عن الدخول معهم بل ردّها عن كونها منهم بعد التماسها ليست إلاّ ذلك.

مضافاً الى ما رواه الطبري في تفسيره والسيوطي في الدرّ المنثور عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قال: نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين. ورواه ابن حجر في الصواعق عن أحمد بن حنبل عن أبي سعيد موقوفاً، وعن الطبراني عنه مرفوعاً كما روى عنه بالوجهين في غيرهما من المصادر.

ويؤيّد ذلك ما ورد أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله) كان بعد نزول الآية

---

(١) ألّف صديقنا الفاضل المحترم السيّد علي الأبطحي الأصفهاني (سلّمه اللّه) كتاباً كبيراً في آية التطهير جمع فيه جملة ضافية من أحاديث الفريقين الواردة في شأنها، وقد طبع منه جزآن ضخمان، وننتظر جزؤه الثالث.

يأتيهم في أوقات الصلاة ويقول لهم: الصلاة رحمكم اللّه «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس....» الى أن قبضه اللّه تعالى، كما تقدّم في حديث الإمام الحسن (عليه السّلام) ونحوه في أمالي الطوسي ج١ ص٨٨ عن علي (عليه السّلام) حيث قال كان يأتينا كل غداة فيقول الصلوة الخ.

وعن أنس بن مالك(١) أنّه (صلّى اللّه عليه وآله) كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج الى صلوة الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت: «إنّما يريد اللّه...». وفي تفسير الطبري: ستة أشهر كلما خرج الى الصلوة.

وعن أبي الحمراء(٢) الصحابي قال: خدمت النبي (صلّى اللّه عليه وآله) نحواً من تسعة أشهر، فما مرّ يوم يخرج الى الصلاة إلاّ جاء الى باب علي وفاطمة، فأخذ بعضادتي الباب ثمّ يقول: السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، الصلاة رحمكم اللّه «إنّما يريد اللّه....».

ونحوه عن ابن عبّاس فيما رواه السيوطي في الدرّ المنثور عنه، وفيه التصريح بأنّا شهدنا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) تسعة أشهر يفعل ذلك كلّ يوم خمس مرّات عند وقت كلّ صلاة.

وفي الدرّ المنثور أيضاً عن أبي سعيد الخدري (رضي اللّه عنه) قال: لمّا دخل علي (عليه السّلام) بفاطمة جاء النبي (صلّى اللّه عليه وآله) أربعين

---

(١) كما في تفسير الطبري عند الآية ومسند ابن حنبل ج٣ ص٢٥٩ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٥٨ وجامع الترمذي باب تفسير سورة الأحزاب وشواهد التنزيل وغيرها.

(٢) اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر معدود في الصحابة من موالي النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ذكره في الإستيعاب والإصابة في باب الكنى وفي أُسد الغابة في باب الأسماء، وقال: انّه خادم النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وحديثه المذكور مروي عنه بأسانيد في تفسير الطبري وشواهد التنزيل والإصابة والإستيعاب، لكن ورد في بعضها ستّة أشهر وفي آخر مثل ذلك.

صباحاً الى بابها يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللّه وبركاته. الصلوة رحمكم اللّه انما يريد اللّه الآية ونحوه في مناقب الخوارزمي وشواهد التنزيل وفيهما ايضا عن أبي سعيد لما نزل قوله تعالى وامر أهلك بالصلوة كان (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يأتي باب فاطمة وعلي تسعة أشهر فيقول الصلوة يرحمكم اللّه انما يريد اللّه الآية ورواه الحافظ الگنجى في كفاية الطالب الباب المأة وفيه ثمانية أشهر وقال رواه محدّث الشام في مناقب علي (عليه السّلام) بطرق شتى.

قلت لعلّ الاختلاف بين هذه الأخبار في مدّة مروره (صلّى اللّه عليه وآله) لأجل اختلافهم فيما شهدوه، والمستفاد ممّا تقدّم عن أمير المؤمنين والإمام الحسن (عليهما السّلام) أنّه كان من يوم نزول الآية الى أن قبضه اللّه تعالى، فلعلّه كان ذلك نحو تسعة أشهر، كما في أخبار ابن عبّاس وأبي الحمراء وأبي سعيد الخدري.

وعلى كلّ حال يدلّ ذلك على اهتمام النبي (صلّى اللّه عليه وآله) ببلاغه المبين في تخصيص الآية بعترته المذكورين حتّى لايطمع أحد من أزواجه وأقربائه في المشاركة لهم في فضلها، كما أنّ تكريره لقضيّة الكساء حيث كانت مرّة في بيت فاطمة، واُخرى في بيت اُمّ سلمة، وثالثة في غيرهما كما تقدّم، كان أيضاً لهذه المهمّة ولذا لم تدّع أحد من أزواجه دخولها في هذه الآية مع كونها في سياق الآيات الواردة في شؤونهنّ، فلو لم يكن اختصاصها بأولئك الخمسة معلوماً مسلماً لكان لأمّ المؤمنين عائشة حيث ادّعت لنفسها فضائل عظيمة مثل أنّ الوحي ينزل على النبي (صلّى اللّه عليه وآله) في لحافها دون سائر أزواجه، وأنّها كانت تسابق النبي (صلّى اللّه عليه وآله) فتسبقه ونحو ذلك أن تذكر أيضاً من فضائلها هذه الآية

لكنها ذكرتها في فضائل هؤلاء الخمسة مع ما كان في نفسها منهم من الهنات والهفوات وقد تقدم حديثها في ذلك في محله.

إلاّ أنّه قد ابتدع بعض التابعين من المنحرفين عن أهل البيت (عليهم السّلام) فخصّوا الآية بنساء النبي (صلّى اللّه عليه وآله) منهم عكرمة مولى ابن عبّاس، كما في الطبري والدرّ المنثور وغيرهما، وحكي عنه أنّه كان ينادي بذلك في الأسواق، ومقاتل بن سليمان كما في تفسيري الثعلبي والخازن، وعروة بن الزبير كما في الدرّ المنثور، بل حكي عنه أنّ الآية نزلت في بيت خالته عائشة على خلاف جميع النصوص المتقدمة، وقد كان هذا الرجل من المنحرفين عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) كما في شرح ابن أبي الحديد عند قوله (عليه السّلام) سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم، وكان عكرمة من الخوارج.

وقد أورد المحقّق المتتبّع شرف الدين (قدّس سرّه) في رسالته الكلمة الغرّاء في شأنه وشأن مقاتل كلمات عن أهل التراجم دالّة على خبثهما ومعاداتهما لأهل البيت (عليهم السّلام) وحكى في الدرّ المنثور أنّه حكى عكرمة هذا الرأي عن ابن عبّاس أيضاً، وهذه نسبة باطلة لما تقدّم عن ابن عبّاس في عدّة أخبار من التصريح بخلاف ذلك، وقد ورد عن غير واحد منهم علي بن عبداللّه بن عباس أنّ عكرمة كان يكذب على ابن عبّاس. وعلى كلّ حال فهذا الرأي فاسد جدّاً، لمنافاته للنصوص الصحيحة الكثيرة، وعدم اختصاص لفظة «أهل البيت» في اللغة بالنساء وعدم نصّ خارجي آخر يدلّ على هذا الاختصاص ومنافاته لضمير المذكّر في عنكم ويطهّركم.

نعم هنا رأي آخر ذكره بعض مفسّري العامّة كالزمخشري والرازي، حيث اعرضوا عن مفاد النصوص المتقدّمة ونظروا الى نفس الآية من جهة

السياق واللغة، فذكروا أنّها عامّة لنسائه وسائر أقربائه الأقربين.

وتفصيل ذلك وتوضيحه: أنّ نظم الآيات يقتضي ارتباط هذه الجملة بما قبلها وبعدها من قوله تعالى: «وقرن في بيوتكنّ وقوله تعالى: «واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ» كما في سائر الآيات التي تكون من هذا القبيل ممّا ورد في القصص أو الأحكام، مضافاً الى ظهور لفظة «إنّما» في التعليل لما قبلها، وأهل البيت في اللغة وعرف العرب شامل للزوجة، كما قال اللّه تعالى في خطاب الملائكة لزوجة ابراهيم الخليل (عليه السّلام): «قالوا أتعجبين من أمر اللّه رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت».

وتذكير ضمير الجمع في عنكم ويطهّركم للتغليب إما باعتبار دخول النبي (صلّى اللّه عليه وآله) كما في آية ابراهيم، أو لكون المراد بأهل البيت جميع أقربائه من أولاده كالحسن والحسين (عليهما السّلام) وأعمامه وبني أعمامه، كما ورد أنّه لما استشهد ابن عمّه عبيدة بن الحارث يوم بدر قال له: أنت أوّل شهيد من أهل بيتي. وهذا الاحتمال أولى وأرجح فالآية ظاهرة الشمول لأزواجه وأقربائه الأقربين، لكن لاتدلّ على تفضيل مطلق لهم زائداً على ما في غيرها من الآيات الواردة في شأن نسائه، وإنّما تدلّ على فضيلة تعليقيّة، كقوله تعالى في آية التيمم: «ما يريد اللّه ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم» حيث أنّ معناه أنّ إيجاب الوضوء عليكم للصلاة عند وجدان الماء وتيمم الصعيد عند فقده ليس لمحض أن يكلّفكم بما يشقّ عليكم بل لمصلحة أن يطهّركم بالماء والصعيد للدخول في الصلاة التي هي أعظم القربات للّه تعالى، فالمراد انكم ان تحمّلتم ذلك وتكلّفتم له جعل اللّه لكم الطهارة بهما واتمّ عليكم نعمته للقرب بالعبادة.

فمعنى هذه الآية أيضاً أنّ تكليف نساء النبي (صلّى اللّه عليه وآله) بامور زائدة عن تكليف سائر النساء من الاعراض عن زينة الدنيا والقرار في

بيوتهنّ وأن يذكرن ما يتلى فيها من آيات اللّه والحكمة وغير ذلك ممّا ذكره اللّه في هذه الآيات وغيرها، كتحريم التزوّج عليهنّ بعد الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) ليس تكليفاً مجرّداً لمحض أنّهنّ صرن أزواج النبي وأردن اللّه ورسوله، بل لأجل أنّ ما نهين عنه رجس لهنّ، أو أنّه يمكن أن يستتبع أرجاساً في حقّهنّ، فأراد اللّه بذلك وبأمرهن بكثرة التقوى والإحسان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتلاوة الآيات أن يذهب عنهنّ تلك الأرجاس ويطهّرهن منها.

ولمّا كانت التكاليف العامّة كلّها من النهي عن المحرمات والأمر بالعبادات في سائر الناس أيضاً كذلك، إذ جميع المحرّمات من الفواحش والمنكرات أرجاس والعبادات كلّها تطهّر من الشرك والوساوس، كما قال اللّه تعالى: «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وقال في اليهود أو المنافقين: «اولئك الذين لم يرد اللّه أن يطهّر قلوبهم» يعني أن المؤمنين قد أراد اللّه تطهير قلوبهم بإيمانهم، فلامحالة كان المراد بهذه الآية تطهير نساء النبي (صلّى اللّه عليه وآله) أكثر من سائر النساء لإجل احترامه (صلّى اللّه عليه وآله) كما يدل على ذلك قول «تطهيراً» فانّه مفعول مطلق جيء به للمبالغة، وظاهره وان كان مفعولاً ليطهر ّكم، لكن لمّا كان التطهير عبارة عن اذهاب الرجس أو أعمّ منه كان في المعنى مفعولاً لكليهما.

وبالجملة فالمراد بالآية أنّ من تكلّف منهنّ وأتت بما كلّفها اللّه تعالى في هذه الآيات، فلامحالة تحصل لها الطهارة الكاملة التي وعدها اللّه زائداً على تطهير سائر النساء، فهذه الآية مثل قوله تعالى: «يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء إن اتّقيتنّ» وقوله تعالى: «ومن يقنت منكم للّه ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرّتين» وهذا ليس فيه تفضيل مطلق، وإنّما هو تفضيل معلّق على الإتيان بما كلّفه اللّه تعالى.

وأظنّ أنّ هذا المعنى للآية واضح، لكنّه مغاير لما هو المستفاد من النصوص المذكورة من إرادة اللّه تعالى تكويناً لتطهير أولئك الخمسة واذهاب الرجس عنهم مطلقاً، وإلاّ لم يكن وجه لحصر النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) نفسه الشريفة وإيّاهم في كسائه وقرائة الآية عليهم ودعائه لهم بالخصوص على وجه ظاهر في الاختصاص وحرص اُمّ سلمة على الدخول معهم ومنعها عنه وغير ذلك مما مر.

هذا مضافاً الى أن صريح تلك النصوص أنّ نزول هذه الآية كان منحازاً عن نزول سائر الآيات التي قبلها وبعدها، وأنّها بالخصوص نزلت في بيت اُمّ سلمة مع كون ما قبلها نزلت قبل ذلك لمشاجرة وقعت بين النبي (صلّى اللّه عليه وآله) وبين أزواجه فهجرهنّ شهراً، فلابدّ أن يكون لهذه الجملة من قوله: «إنّما يريد اللّه ـ الى قوله ـ تطهيراً» خصوصيّة عمّا قبلها وبعدها.

فالذي أراه أنّه لمّا نزلت هذه الجملة بيّن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) بسننه المقدّسة لأصحابه كراراً أنّ المراد بأهل البيت المذكور فيها نفسه وهؤلاء الأربعة، وأنّ المراد منها طهارتهم بعناية اللّه تعالى من الفواحش الظاهريّة والمعنويّة من الشكّ والشرك وغيرهما من الأرجاس، وأنّه تعالى فضّلهم بذلك على سائر الناس على نحو قوله تعالى: «انّ اللّه اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين» وغيره من الآيات الواردة في شؤون الأنبياء وتفضيلهم بها على سائر الخلق تكويناً بالهداية والاخلاص والاصلاح، فبذلك رشّحهم لخلافته الكبرى وزعامة الناس في اُمور الدنيا والدين، لكن أمر النبي (صلّى اللّه عليه وآله) بوضع الاية في سياق آيات النساء ليستفاد منها بسننه هذا المعنى الخاصّ، وبسياقها المعنى الأوّل الشامل للنساء، وإنّما فعل ذلك لما رأى من المصالح النبويّة في جمع الآيات الإلهيّة

وترتيبها، حيث أنّه أعرف بمغزاها ومواقعها.

ومن مصالح ذلك أنّه أبقى للآية بمعناها الخاص لاهل البيت، وأحفظ لها عن تناول أيدي الظالمين من بني اُميّة وأشياعهم، وذلك لأنّه كان النبي (صلّى اللّه عليه وآله) يعلم بتسلّطهم على جميع شؤون الإسلام والمسلمين، فيلعبون بالدين وكتابه الكريم، ويفتنون الناس عنهما لما أخبره اللّه تعالى عنهم بقوله: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الاّ فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن» فانّه لو أمر بوضعها في موضع خاصّ بأهل بيته بحيث يستفاد منها بوجه ظاهر تفضيلهم على سائر الناس على حد كثير لجهدوا بكل قواهم في تحريفها واسقاطها من الكتاب، كما جهدوا في معاداة وصيّه وأخيه أمير المؤمنين (عليه السّلام) فحملوا الناس كرهاً على البرائة منه وسبّه على منابر المسلمين في شرق أرض الإسلام وغربها، واسقاطه في أعين العامّة عن رتبته التي رتّبه اللّه عليها، وكما جهدوا في قتال عترته وسوق الناس الى قتلهم مع ما علم كلّ أحد من البرّ والفاجر بما ذكره النبي (صلّى اللّه عليه وآله) في الأمر بموالاتهم ومودتهم والتشديد في إيذائهم، ولم يكن هذا بأيسر من تحريف الكتاب، فكان وضع هذه الآية في هذا الموضع محقّقاً ومصداقاً لقوله تعالى: «إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون» حيث أنّ حفظه وان كان من اللّه تعالى لكن باسبابه العادية، كما أنّ حفظ النبي (صلّى اللّه عليه وآله) من اليهود والمنافقين والكفّار قبل مبعثه وبعده كان من اللّه تعالى لامحالة، لكن باسباب ظاهريّة من تحذّره (صلّى اللّه عليه وآله) وجهاده، وكذلك حفظ الإسلام بعده من معرّات المنافقين كان أيضاً من اللّه تعالى لكن بصبر أمير المؤمنين ومصالحة الحسن وجهاد الحسين (عليهم السّلام) وفي الحديث ابى اللّه أن يجري الاشياء الا باسباب[١].

---

(١) كما في الكافي باب معرفة الامام من كتاب الحجة عن الصادق (عليه السّلام).

فعلى ما ذكرنا يجوز أن يكون المراد بالآية كلا المعنيين ولاضير فيه إلاّ استعمال اللفظ الواحد فيهما وجوازه محلّ خلاف معروف في علم الاصول، والحق عندنا جوازه خصوصاً في هذا المقام، إذ ليس ارادة كلا المعنيين في استعمال واحد.

على أنّه يمكن أن يكون المعنى الأوّل العامّ صورياً، وليس بمراد من اللفظ حقيقة، حيث أنّ أصل هذا المعنى في نفسه حقّ مستفاد من سائر الآيات المتقدّمة الواردة في شأن نساء النبي (صلّى اللّه عليه وآله) فلو تخيّل الناس ارادته من هذه الآية لم يقدح في شيء.

ويؤيّد ذلك ما رواه العيّاشي في تفسيره في مقدّمته عن زرارة بن أعين عن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن أنّ الآية ينزل أوّلها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء، ثمّ قال: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» من ميلاد الجاهليّة يعني أنّ هذه الآية من هذا القبيل، وقوله «من ميلاد الجاهليّة» تفسير للتطهير وبيان لبعض مصاديقه، ويأتي التفصيل في ذلك قريبا.

هذا كلّه على القول بأن ترتيب الآيات ووضع كلّ ما نزل منها في مواضعها الموجودة بأيدينا كان بأمر الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) لكتّاب الوحي، كما هو المعروف بين العامّة، ويدل عليه ما رووه[1] في ذلك،

---

(١) مثل ما رووه عن ابن عبّاس، كما في تفسير الخازن والكشّاف عند قوله تعالى: «واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه» أنّها آخر آية نزلت على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال جبرئيل: ضعها على رأس مأتين وثمانين من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) أحداً وعشرين يوماً، وحكى السيوطي في الإتقان في مسألة جمع القرآن في الجزء الأوّل عن غير واحد الإجماع على أن ←

مضافاً الى أنّه الموافق لحكمته (صلّى اللّه عليه وآله) في المحافظة على وحي اللّه، وهذا هو المختار عندي وأمّا بناءاً على القول بأنّ هذا الترتيب الموجود كان ممّن ولي من الصحابة لجمع القرآن بعد الرسول (صلّى اللّه عليه وآله

← ترتيب الآيات توقيفي من النبي (صلّى اللّه عليه وآله) ثمّ روى جملة من أخبارهم الدالة على ذلك تصريحاً أو إشارة.

منها: ما رواه عن ابن حنبل وأبي داود وغيرهما عن ابن عبّاس قال قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم الى الانفال وهي من المثاني، والى برائة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينها سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموها في السبع الطوال، فقال عثمان: كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل مانزل بالمدينة، وكانت برائة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصّتها شبيهة بقصّتها، فظننت أنّها منها، فقبض (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ولم يبيّن لنا أنّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما «بسم اللّه الرحمن الرحيم».

أقول: ويدلّ على ذلك أيضاً ما هو المحسوس من النظم الخاصّ والربط اللطيف بين الآيات وكذابين جملات آية واحدة، مع أنه ربّما كان بعضها مستقلاً في النزول عن الجملة الأخرى، كما في قوله تعالى: «إنّ اللّه يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين» فانّه نزل في البراء بن معرور وقد استنجى بالماء، وقد وقع ذلك في ذيل قوله تعالى: «ويسئلونك عن المحيض...» وقوله تعالى: «فمن كان به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك» فإنّه نزل في كعب بن عجرة أيام الحديبيّة، وقد وقع في ذيل قوله تعالى:«وأتّموا الحجّ والعمرة للّه» وانما نزل هذا بالمدينةكمايظهر من نصين صحيحين عن أبي جعفر وأبي عبداللّه (عليهما السّلام) فراجع تفسير البرهان وقوله تعالى بعدهما فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى نزل في حجة الوداع بعد الحديبية بثلاث سنين الى غير ذلك،وهذا النحو من النظم والربط لايقدر عليه من تولّى جمع القرآن.

وسلّم) فالأمر أوضح وأسهل.

ومثل هذه الآية فيما ذكر قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» فانّه بمقتضى النصوص المستفيضة نزل يوم الغدير في ولاية أمير المؤمنين (عليه السّلام) ولكن وضع بين تحريم الميتة على الناس وتحليلها للمضطرّ، وكذا آية المودّة الآتي ذكرها هنا وآيات الأبرار في سورة هل أتى، فانّ مقتضى النصوص أنّها مدنيّة نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) ولكن وضعت في الآيات المكّية لحكم نبويّة مثل ما ذكرناه آنفا كما روى ذلك في احتجاج الطبرسي في حديث احتجاج أمير المؤمنين (عليه السّلام) على زنديق في آى متشابهة من القرآن بالنسبة الى قوله تعالى انما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا الخ.

بقي الكلام في أمرين: الأوّل ذكرنا أنّ المراد بالآية بمقتضى النصوص المتقدّمة انّما هو ارادة اللّه تعالى تكويناً لاذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم تفضّلاً منه تعالى عليهم، وتفضيلاً لهم على العالمين، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم، فعلى هذا نقول: ارادة اللّه تعالى على هذا الوجه واقعة لامحالة كما تقدّم في عدّة روايات أنّ اللّه تعالى أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ولاينافيه ما تقدّم من أنّ النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) دعا لهم بقوله: اللهمّ انّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، لاحتمال أنّه كان هذا الدعاء قبل نزول الآية، فأنزلها اللّه تعالى اجابةله كماهوالظاهرمن بعض النصوص،وذكره السيّدالمرتضى(رضي اللّه عنه) في كتاب الشافي[1] والشيخ الطوسي (رحمه اللّه) في تلخيصه.

---

(١) في ص ١٨١ من الشافي وص ٣٧٥ من تلخيصه، وهما مطبوعان معاً بطبعة ←

على أنّ دعائه على تقدير كونه بعد نزول الآية يمكن أن يكون شكراً للّه تعالى، حيث أنّه كاشف عن رغبته وشوقه الى الموعود أو كان دعائه شرطاً عند اللّه تعالى لوقوع ارادته عليهم بعد ذلك في المواقع التي يعرض لهم الخطاء فيعصمهم بدعائه، وقد كان مثل ذلك في قضيّة بدر حيث أنّ اللّه تعالى وعد المسلمين نصره على لسان النبي (صلّى اللّه عليه وآله) فقال: «وإذ يعدكم اللّه إحدى الطائفتين أنّها لكم» وقال: «ويريد اللّه أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين» وأخبر (صلّى اللّه عليه وآله) أصحابه بمصارع المشركين قبل ورودهم ببدر، وأراه اللّه المشركين في منامه قليلاً ليخبر به أصحابه فيجترؤوا على القتال، ومع ذلك لما عبّاهم للقتال فزع الى ربه يناشده ما وعده من النصر، كما في سيرة ابن هشام، وزاد عليه في مغازي الواقدي أنّه قال له عبداللّه بن رواحه: انّ اللّه أجلّ وأعظم من أن تنشده، فقال: يا ابن رواحه ألا أنشد اللّه وعده؟ انّ اللّه لايخلف الميعاد.

وروى في تفسير مجمع البيان عند قوله تعالى: «اذ تستغيثون ربّكم» في سورة الأنفال أنّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: اللهمّ أنجز لي ما وعدتني، فهذا يدلّ على رمز خاصّ في دعائه، فتكون آية التطهير أيضاً كذلك، كدعاء ملائكة اللّه المقرّبين للمؤمنين بقولهم في سورة المؤمن «ربّنا وأدخلهم جنّات عدن التي وعدتهم» الخ. والتعبير في الآية لهذه الإرادة بصيغة المضارع دون الماضي لاجل الاستمرار وشمول اذهاب الرجس عنهم لما يتّفق لهم في التالي من مواقع الزلل والعصيان، وذلك لأنّ المراد

← عجميّة قديمة، وطبع التلخيص بالنجف الأشرف أيضاً جديداً، وما ذكر موجود في ج٢ ص٢٥٢ منه، وهذان الكتابان من تراث الشيعة الإمامية ومآثرها المكنونة، وفيهما تحقيقات واسعة في مسائل الإمامة ينبغي الإمعان فيها.

بالرجس مطلق الأقذار المعنوية من الشكّ في المعارف والوساوس الشيطانيّة والفواحش الظاهريّة وما حرّمه اللّه تعالى من الذنوب، كما صرّح به في النصوص الاماميّة، وذكره المفسّرون من غيرهم، فقد تقدّم في حديث الإمام الحسن (عليه السّلام) أنّه قال: والرجس هو الشك، فلانشكّ في اللّه الحقّ ودينه أبداً، وطهّرنا من كل افن وعيبة مخلصين الى آدم نعمة منه.

وروى الكليني (رحمه اللّه) في الكافي بإسناده الصحيح عن الإمام الصادق (عليه السّلام) في حديث تقدّم صدره في أحاديث أُمّ سلمة (رضي اللّه عنها) أنّه ذكر نزول الآية بالنحو المتقدّم، ثم قال: والرجس هو الشك واللّه لانشك في ربّنا أبداً. ومثله في تفسير العيّاشي عن الإمام الباقر (عليه السّلام) ولفظه لانشك في ديننا أبداً. وفي الكافي أيضاً في باب المصافحة من كتاب الإيمان والكفر في حديث صحيح عن أبي جعفر الباقر (عليه السّلام) قال: وإنّا لانوصف وكيف يوصف قوم رفع اللّه عنهم الرجس وهو الشك. ولعلّه إنّما ذكر فيها الشك فقط لأنّه أصل كلّ عيب وعصيان وطهارة القلب منه مستلزمة لكلّ طاعة وعبادة للّه سبحانه، وقد توصل صاحبه الى درجة العصمة، فانّه ينظر حينئذ بنور اللّه تعالى وهو اليقين الحاصل في قلبه ولذا قال الامام (عليه السّلام) : انا لانوصف.

وروى في البحار باب معنى آل محمّد (عليهم السّلام) من الجزء٢٥ من الطبعة الجديدة عن كتاب كنز الفوائد عن جعفر بن محمّد عن علي (عليهم السّلام) قال: انّ اللّه فضّلنا أهل البيت وكيف لايكون كذلك واللّه (عزّوجلّ) يقول في كتابه: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» فقد طهّرنا من الفواحش ما ظهر منها ومابطن، فنحن على منهاج الحقّ.

وقال الطبري في تفسير الآية من كتابه جامع البيان: يقول اللّه تعالى

إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ويطهّركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي اللّه تطهيراً. وفي تفسير الرازي قال: ليذهب عنكم الرجس أي يزيل عنكم الذنوب ويطهّركم تطهيراً أي يلبسكم خلع الكرامة. الى غير ذلك من كلماتهم(١) ومرّ قريبا في خبر العياشي تطهيرهم من ميلاد الجاهليّة.

ولهذا كلّه تدلّ الآية على عصمة هؤلاء الخمسة الطاهرين، وسيأتي انشاء اللّه تعالى مزيد الكلام في ذلك في بحث عصمة الزهراء (سلام اللّه عليها).

الأمر الثاني: المستفاد من أحاديث الاماميّة المأثورة عن أئمّتهم (عليهم السّلام) أنّ الآية شاملة للأئمة الاثنا عشر، فعن الإمام السجّاد (عليه السّلام) كما في تفسير الطبري وغيره قال بالشام بعد مقتل أبيه لرجل شامي: أما قرأت في الأحزاب: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...» قال الشامي: ولانتم هم، قال: نعم.

وروى الكليني في الكافي(٢) بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال في قوله تعالى: «إنّما يريد اللّه...» الآية يعني الأئمّة وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وروي في البحار ج٣٦ ص٣٣٦ عن كفاية الأثر بإسناده عن الحسين بن علي عن أبيه (عليهم السّلام) قال: دخلت على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في بيت أُمّ سلمة وقد نزلت عليه: «إنّما يريد اللّه ليذهب...» الآية فقال: يا علي هذه الآية نزلت فيك وفي سبطيّ والأئمّة من ولدك. وتقدّم أيضاً في أحاديث

---

(١) راجع لها الى رسالة الكلمة الغرّاء للمحقّق شرف الدين (رحمه اللّه).

(٢) كتاب الحجّة باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

أمير المؤمنين (عليه السّلام) ما دلّ عليه وغير ذلك[١].

وظاهرها أنّ معنى الآية عام لهم وإن كان مورد نزولها في الخمسة، كما أنّ غالب الآيات القرآنيّة نزلت في شخص خاصّ ومعناها عام لغيره، ويمكن أن يكون معناها خاصّاً بهؤلاء الخمسة وحكمها شاملاً للبقيّة منهم على نحو الجرى والتأويل، كالآيات النازلة في بني اسرائيل الشامل حكمها لهذه الامّة كما يظهر ذلك من بعض ما رواه في تفسير البرهان واللّه العالم.

وعلى كلّ تقدير ليس المراد بالبيت في الآية بيت السكنى المصنوع بالطين واللبن وإلاّ لدخلت فيه أزواجه، ولابيت النسب عموماً وإلاّ دخل فيه أعمامه وأبنائهم، وكلاهما مخالف لصريح النصوص المذكورة الآن وفي السابق، بل المراد بيت الوحي والرسالة والمعارف الإلهيّة، كما ورد في بعض الأخبار على ما رواه في البحار في باب آية التطهير[٢] أنّ النبي (صلّى

---

(١) راجع تفسير البرهان وغاية المرام كلاهما للمحدّث الكبير السيد هاشم البحراني (قدّس سرّه) وحسبنا من ذلك ما في الزيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن الإمام الهادي (عليه السّلام) ففيه: عصمكم اللّه من الزلل وآمنكم من الفتن وطهّركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهّركم تطهيراً

(٢) من الجزء ٣٥ من الطبعة الجديدة، ومثله في الزيارة الجامعة الكبيرة: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، وغير ذلك ممّا ورد في نصوص الفضائل والزيارات وجملة القول فيه أنّ المراد بالبيت هنا بيت النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لكن اضافة الأهل إليه تختلف بإعتبار السكنى والقرابة والنبوّة، فباعتبار الأخير لاينسب إليه إلاّ من له حظّ كامل من آثار النبوّة من العلوم والمعارف الإلهيّة، كما لا يقال لولد عالم تقي انّه من أهل بيت العلم والتقى إلاّ إذا كان متّصفاً بهما دون الفاسق وان كان سكناه ونشوه في بيت أبيه، كما قيل شعر بالفارسية:

پسر نوح با بدان بنشست ... خاندان نبوّتش گم شد ←

اللّه عليه وآله) قال لهم: السّلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة الصلاة رحمكم اللّه: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» كما أنّ قول النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي أيضاً لايراد بهم إلاّ هؤلاء المذكورين، ولذا لم يدّع أحد من أزواجه وأقربائه دخوله في هذا الحديث، والحمد للّه على ما هدانا ووفّقنا لإكمال البحث في آيتي المباهلة والتطهير.

ومن الآيات النازلة في تفضيل الزهراء «سلام اللّه عليها» قوله تعالى في سورة الشورى: «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً انّ اللّه غفور شكور» فقد استفاضت النصوص عن أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام) أنّ المراد بالقربى قربى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) خاصّة. وعن جماعة من أهل السنّة، كأحمد والطبراني والحاكم والثعلبي والزمخشري، وأضرابهم من المحدّثين والمفسّرين بإسنادهم عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا نزلت الآية قالوا: يارسول اللّه من قرابتك هؤلاء الذين

← وبذلك يظهر المراد ممّارواه في الكافي باب نتف ونكت من التنزيل في الولاية بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) في قول اللّه (عزّوجلّ): «رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً» يعني الولاية من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء وقوله تعالى: «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» يعني الأئمّة وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وحكى الآلوسي في تفسيره عند الآية عن عبداللّه المشهدي مثل ما قلناه، فعليه لاينافي أن يكون سائر أقربائه (عليه الصلاة والسّلام) وكذا أزواجه بل وخدمه أيضاً يعدّون من أهل بيته لكن بإعتبار السكنى والمعيشة، كمامرّ في بعض الأخبار المتقدّمة كخبر واثلة بن الأسقع.

وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما. وقد ورد أيضاً في عدّة أحاديث من طرق الشيعة والسنّة أنّ الأنصار جاؤا الى النبي (صلّى اللّه عليه وآله) فقالوا هذه أموالنا خذها لنوائبك فنزلت الآية، فعلى هذا كان معنى الآية لا أسئلكم على تبليغ الرسالة والوحي الإلهي إليكم أجراً إلاّ أن تودّوا قرابتي، فكانت مودّتهم بمنزلة أجره على جهوده ومشاقّه التي تزول عنها الجبال في التبليغ، ومن ذلك يظهر أهميّة هذا الأجر وفرض أدائه على الناس، كما صرّح به في النصوص، وورد في الزيارة الجامعة الكبيرة ولكم المودّة الواجبة والدرجات الرفيعة...

هذا اجمال الكلام في الآية ولمّا طال الكلام في الآيتين المتقدّمتين أحببت الاكتفاء في هذه الآية بهذا الاجمال، فمن أراد التفصيل فليراجع الكشّاف ومجمع البيان وتفسير البرهان والبحار ج٢٣ باب أنّ مودّتهم أجر الرسالة، ولايفوتنّ باحثاً ما أورده شرف الدين (قدّس سرّه) في رسالته القيّمة الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (سلام اللّه عليها) حيث أوضح المرام بنصوص معتبرة وكلمات الأعلام، وردّ ما ذكره المخالفون في معنى الآية ودفع شبهاتهم ببيان متقن وتحقيق محكم، فجزاه اللّه عن أهل بيت نبيّه خير جزاء الناصحين فقد استفدنا منه في رسالتنا كثيرا.

تذييل: يظهر لكلّ من نظر وأمعن في هذه الآيات الثلاث وما ذكرناه وذكره غيرنا في تبيانها أنّ لهؤلاء الخمسة الأطيبين ارتباط معنوي خاصّ بينهم في المزايا الإلهيّة والخصائص الربّانيّة، لايشاركهم فيها أحد من العالمين، فهذا مؤيّد لما تقدّم في هذه الرسالة من اختصاصهم بفضائل في أصل الطينة وعالم الأرواح والذرّ والميثاق والجمد للّه، هذا كلّه في نصوص الكتاب وكفى بها حجة وفصلا للخطاب.

وأمّا نصوص السنّة على تفضيل الزهراء (سلام اللّه عليها) فهي كثيرة معروفة في الصحاح وكتب الفضائل.

والاطناب في سردها خارج عمّا قصدناه من الاختصار سيّما بعد ما تقدّم من محكمات الكتاب، فنكتفي بالإشارة الى بعضها.

فعن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: أفضل نساء أهل الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد (صلّى اللّه عليه وآله) وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران. رواه ابن حنبل في المسند ج١ ص٢٩٣ بإسناده عن ابن عبّاس ونحوه في الاستيعاب في ترجمة خديجة وفاطمة، وكذا في خصال الصدوق (عليه الرحمة) في أبواب الأربعة بإسناده عن ابن عبّاس، وفي خبر آخر قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وابنة، مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) رواه في الاستيعاب في ترجمة خديجة باسناده تارة عن أبي هريرة، وأُخرى عن أنس يعني ابن مالك، ورواه في ترجمة فاطمة أيضاً بإسناده عن أبي هريرة.

وفي خبر ثالث قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): حسبك من نساء العالمين مريم وخديجة وفاطمة وآسية، رواه الترمذي في جامعه باب فضل خديجة وصحّحه، ورواه في ذخائر العقبى عن أحمد يعني ابن حنبل ولعلّه من مناقبه.

ورواه المحقّق شرف الدين (رحمه اللّه) في الكلمة الغراء عن جمع من المحدّثين عن أنس وجابر قال: ولايسعنا استقصاء من أخرجه بطرقهم المختلفة إليهما.

وفي رابع قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): أربع نسوة سيّدات نساء

عالمهنّ: مريم، وآسية، و خديجة، وفاطمة، وأفضلهنّ عالماً فاطمة، رواه في ذخائر العقبى عن الحافظ الثقفي الأصفهاني (١) عن ابن عبّاس (رضي اللّه عنه).

وفي خامس قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاّ مريم وآسية وخديجة وفاطمة، كما في تفسير الطبري عند قوله تعالى: «وإذ قالت الملائكة يامريم» الآية بإسناده عن أبي موسى الأشعري.

وفي سادس قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): انّ اللّه تعالى اختار من النساء أربعاً مريم وآسية وخديجة وفاطمة، رواه شيخنا الصدوق أيضاً في خصاله في باب آخر من أبواب الأربعة بإسناده عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السّلام) عنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في حديث ورواه في البحار باب مناقب فاطمة عن الخصال، ثم روى فيه عنه أيضاً أنّ فيما أوصى به النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الى علي (عليه السّلام) أنّ اللّه (عزّوجلّ) أشرف على الدنيا فأختارني منها على رجال العالمين، ثمّ اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثمّ اطلع الثالثة فاختار الائمّة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثمّ اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين وروى الخوارزمي في مقتله نحو ذلك لفاطمة وأُمّها.

وقد ورد أيضاً عن جماعة من الصحابة أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قال: فاطمة سيّدة نساء العالمين، أو نساء أهل الجنّة، أو نساء أُمّتي. فعن

---

(١) الظاهر أنّه إبراهيم بن محمّد الثقفي صاحب كتاب الغارات المطبوع وغيره من مصنّفات كثيرة أصله كوفي ثمّ انتقل الى اصفهان وكان زيدياً ثمّ قال بالإمامة، ترجمه شيخنا الطوسي والنجاشي (رحمهما اللّه تعالى) في فهرستيهما.

عمران بن الحصين أنّه (صلّى اللّه عليه وآله) عاد فاطمة وهي مريضة، فقال لها: كيف تجدينك يا بنيّة؟ قالت: انّي لوجعة وانّه ليزيدني انّي مالي طعام آكله. قال: يا بنيّة أما ترضين أنّك سيّدة نساء العالمين، قالت: يا أبت فأين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيّدة نساء عالمها، وأنت سيّدة نساء عالمك، أما واللّه لقد زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة. أخرجه في الاستيعاب، ورواه في ذخائر العقبى عن الحافظ الدمشقي بزيادة في كيفيّة دخوله وتسترّها عن عمران بملائة وعبائة، ونحوه في مقتل الخوارزمي، والموجود في نسخته أنّه قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): تلك سيّدة نساء عالمها وأنت سيّدة نساء العالمين.

وعن حذيفة بن اليمان قال: تبعت النبي (صلّى اللّه عليه وآله) بعد صلاة العشاء، فعرض له عارض فناجاه، ثمّ ذهب فاتّبعته ثمّ قال: أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل؟ قلت: بلى. قال: فهو ملك من الملائكة لم يهبط الى الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربّه أن يسلّم عليّ ويبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة. رواه ابن حنبل في المسند ج٥ ص٣٩١ من أحاديث حذيفة، ونحوه في الصواعق عن الترمذي والنسائي وابن حبّان.

وعن أبي هريرة قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): انّ ملكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربّي في زيارتي، فبشّرني أنّ فاطمة سيّدة نساء أُمّتي، وأنّ حسناً وحسيناً سيّدا شباب أهل الجنّة. رواه في فضائل الخمسة عن خصائص النسائي وغيره.

وعن علي (عليه السّلام) أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قال لفاطمة: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنة وابنيك سيّدا شباب أهل الجنّة.

رواه في فضائل الخمسة عن كنزل العمّال.

وعن عائشة قالت: كنّا أزواج النبي (صلّى اللّه عليه وآله) عنده جميعاً لم نغادر منّا واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخفي مشيتها من مشية رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فلمّا رآها رحّب بها، ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثمّ سارّها، فبكت بكاءاً شديداً، فلمّا رأى حزنها سارّها الثانية إذا هي تضحك، قالت عائشة: فلمّا قام رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) سألتها عمّا سارك قالت: ما كنت لأفشى على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) سرّه، فلمّا توفّي قلت لها: عزمت عليك لما أخبرتني، قالت: أمّا الآن فنعم أمّا حين سارّني في الأمر الأول فانّه أخبرني أنّ جبرئيل كان يعارضه بالقرآن كلّ سنة مرّة، وأنّه قد عارضني به هذا العام مرّتين، ولا أرى الأجل الاّ قد اقترب فاتقي اللّه واصبري فانّي نعم السلف لك فبكيت، فلمّا رأى جزعي سارّني الثانية قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين، أو سيّدة نساء هذه الأمّة.

وهذا الحديث قد رواه المحدّثون أمثال البخاري ومسلم والترمذي في صحاحهم، وابن حنبل في مسنده، وابن حجر في اصابته وغيرهم، وألفاظه فيها مختلفة، وروى نحوه في ذخائر العقبى عن اُمّ سلمة وفاطمة أيضاً. قال في ذخائر العقبى: قد تضمّن حديث مسلم عن عائشة أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أخبرها أوّلاً بشيئين أخبرها بموته وبأنّها أوّل أهله لحوقاً به فبكت، ثمّ أخبرها بأنّها سيّدة نساء المؤمنين فضحكت. وتضمّن حديث الدولابي عن اُمّ سلمة أنّه (صلّى اللّه عليه وآله) أسّر إليها أوّلاً بموته فبكت، وفي الثانية بأنّها سيّدة نساء المؤمنين فضحكت. وتضمّن حديثه أي الدولابي عن فاطمة نفسها أنّه أسرّ إليها أوّلاً بموته فبكت، وثانياً بلحوقها به وأنّها سيدة نساء أهل الجنّة فضحكت. وتضمّن حديث الترمذي وأبي حاتم

عن عائشة أنّه أسرّ إليها أوّلاً بموته فبكت، وثانياً بأنّها أوّل لاحق به فضحكت. فيحمل ذلك على صدوره في مجالس متعدّدة توفيقاً بين الأحاديث الى آخر كلامه.

أقول: حديث الدولابي المذكور عن اُمّ سلمة رواه الترمذي أيضاً في باب فضل أزواج النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من جامعه، وقد تضمّن أنّه كان ذلك عامّ الفتح، وأنّه دعاها لذلك وبعض أحاديث عائشة مصرّح بأنّه كان في وجعه الذي توفّي فيه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كما في جامع الترمذي باب ما جاء في فضل فاطمة، فما ذكر من الحمل على تعدّد القضيّة صحيح في الجملة في غير حديثي عائشة المذكورين. وأمّا فيهما، فالظاهر أنّ الاختلاف المذكور فيهما في سبب بكائها وضحكها كان من قبل الرواة لعدم ضبطهم له صحيحا.

والذي يناسب ذاك المقام وشأن الزهراء (سلام اللّه عليها) هو ما رواه الدولابي عنها نفسها من أنّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أخبرها أولاً بموته فبكت جزعاً لفراقه، ثمّ أخبرها تسلية وتبشيراً لها بأنّها أوّل أهله لحوقاً به وأنّها سيدة نساء أهل الجنّة فضحكت بذلك لما دخل عليها من السرور بسرعة لحوقها به وقلّة مكثها في الدنيا بعده.

كما ورد ذلك لها في قضية اُخرى تشبه تلك القضيّة رواها في البحار باب وفاته (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) من الجزء٢٢ عن كتاب كفاية الأثر[١] بالإسناد الى عمّار قال: لمّا حضر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الوفاة دعا بعلي (عليه السّلام) فسارّه طويلاً، ثمّ قال: ياعلي أنت وصيّي ووارثي، قد أعطاك اللّه علمي وفهمي، فإذا متّ ظهرت لك

---

(١) مرّ التعريف بمصنفه مجملاً في بحث رواة حديث الكساء من آية التطهير.

ضغائن في صدور قوم وغصبت على حقك، فبكت فاطمة والحسنان (عليهم السّلام) فقال لفاطمة: ياسيّدة النسوان ممّ بكائك؟ قال: يا أبه أخشى الضيعة بعدك، قال: أبشري يا فاطمة فانّكِ أوّل من يلحقني من أهل بيتي لاتبكي ولاتحزني فانّكِ سيّدة نساء أهل الجنّة، وأباك سيّد الأنبياء، وابن عمّكِ خير الأوصياء، وابناكِ سيّدا شباب أهل الجنّة، ومن صلب الحسين يخرج اللّه الأئمّة التسعة مطهّرون معصومون ومنهم مهديّ هذه الأمّة.

وروى ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل ج٢ ص٣٢٣ أنّه لمّا اشتدّ برسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وجعه ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول: واكرباه، فتقول فاطمة (عليها السّلام): واكربي لكربك... فلمّا رأى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) شدّة جزعها استدناها وسارّها فبكت ثم سارّها الثانية فضحكت، فلمّا توفّى (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) سألتها عائشة عن ذلك، فقالت: أخبرني أنّه ميت فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت. وروى عنها أنّها قالت: ثمّ سارّني الثانية وأخبرني أنّي سيّدة نساء أهل الجنة فضحكت. وهذا أيضاً مؤيّداً لما ذكرناه فانّه مقتضى الجمع بين الروايتين هنا بعد وضوح عدم أيّ تناف بينهما.

وعلى كلّ تقدير فالمستفاد من مجموع هذه النصوص وأمثالها الكثيرة تفضيل الزهراء (سلام اللّه عليها) على جميع نساء المؤمنين من الأوّلين والآخرين حتى على أقرانها الثلاث المذكورات، ولكن وقع الكلام بين العامّة في أفضليّتها على مريم بنت عمران.

ومنشأ توهّم الخلاف في ذلك أمران: أحدهما قوله تعالى في شأن مريم «واصطفاك على نساء العالمين» بزعم عمومه لجميع العالمين. والثاني

وجود بعض الأخبار الظاهرة في ذلك، مثل ما رواه في الاستيعاب والاصابة عن أبي سعيد الخدري قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة إلاّ ما كان من مريم بنت عمران. ورواه في الصواعق عن الحاكم، وما رواه في الاستيعاب أيضاً كما في ذخائر العقبى عن ابن عبّاس قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أفضل نساء العالمين بعد مريم فاطمة وخديجة وآسية. ولكن يدفع الاستدلال بالآية ما صرّح به في النصوص المتقدّم بعضها من أنّ المراد بها عالم زمانها. وأمّا الخبران، فيعارضهما النصوص الاماميّة عن أئمّة العترة الطاهرة (عليهم السّلام)وهي أكثر عدداً وأصح سنداً وأصرح دلالة واتفقت عليها كلمتهم.

فقد روى الصدوق (عليه الرحمة) في معاني الأخبار باب معنى أنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين بإسناده عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السّلام): قول رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في فاطمة انّها سيدة نساء العالمين أهي سيّدة نساء عالمها، فقال: ذاك لمريم كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين.

وروى في أماليه[١] بإسناده عن ابن عبّاس عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) أنّه قيل: يا رسول اللّه أهي سيّدة نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم بنت عمران، فأمّا ابنتي فاطمة فهي سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين.

وفي كتاب العلل[٢] بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: إنّما سمّيت فاطمة محدّثة لأن الملائكة تهبط من السماء فتناديها كما تنادي

(١) المجلس ٧٣ ولهذا الخبر صدر تقدّم في هذه الرسالة في أوائل الباب السابع.

(٢) باب العلّة التي من أجلها صارت فاطمة محدّثة، وروى هذه الأخبار في البحار باب مناقبها ج٤٣.

مريم، فتقول: يا فاطمة «ان اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين» يا فاطمة «اقنتي لربّك واسجدي واركعيْ مع الراكعين فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم، فقالوا: انّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها وانّ اللّه جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها وسيّدة نساء الأوّلين والآخرين.

على أنّه قد تقدّم في الباب الأوّل والثاني من النصوص الواردة في منزلتها عند اللّه تعالى في بدو خلقها وفي الذرّ والميثاق وعالم الأرواح ما يزيل الريب عن ذلك، وكذا ما تقدّم في الباب السابع من قول النبي (صلّى اللّه عليه وآله): ان فاطمة بضعة منّي، وهي روحي التي بين جنبيّ وثمرة فؤادي. إذ لاريب في أن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) أفضل الأوّلين والآخرين، والمسلم لايعدل ببضعة نبيّه أحداً من العالمين، وقد وافق الاماميّة في ذلك جمع من محقّقي العامّة، كالتقيْ السبكي، والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقي المقريزي، كما حكاه عنهم العلاّمة شرف الدين في الكلمة الغرّاء، وحكاه أيضاً عن غيرهم في كتابه النصّ والإجتهاد في تعليقه على الاجتهاد في نحلة الزهراء (سلام اللّه عليها) ثمّ قال: وهذا هو الذي صرّح به أحمد زيني دحلان مفتي الشافعيّة، ونقله عن عدّة من أعلامهم في سيرته النبويّة.

الباب التاسع: في عصمتها

العصمة توفيق ولطف من اللّه تعالى للعبد يقتضي ابتعاده عن الخلاف في أمر الدين عمداً وخطأً قولاً وعملاً، وقد أجمعت الإماميّة على اشتراطها في امام المسلمين ومن يقوم مقام النبي (صلّى اللّه عليه وآله) في ولاية اُمورهم، واستدلّوا له في كتب الكلام بوجوه كثيرة، وأجمعوا أيضاً على وجودها في أئمّة أهل البيت (عليهم السّلام) لنصوص منها حديث الثقلين المتّفق عليه بين الفريقين، وهو قول النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): إنّي تارك فيكم الثقلين ما ان تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. فقد جعلهم بهذا النصّ الشريف اعدال الكتاب في أمن المتمسّك بهم من الضلال، وهذا لايصدق إلاّ بعصمتهم، وقد زيد على ذلك في بعض طرقه[1] فلاتقدموهم فتهلكوا، ولاتقصروا عنهم فتهلكوا، ولاتعلّموهم فإنّهم أعلم منكم. كما أجمعوا أيضاً على أنّ بضعة النبي (صلّى اللّه عليه وآله) فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) من سائر النساء كالائمّة الاثنى عشر في العصمة.

قال شيخنا المفيد (رحمه اللّه تعالى) وهو من أجلّ فقهاء الاماميّة فيما حكاه السيّد المرتضى في الفصول المختارة: قد ثبت عصمة فاطمة بإجماع الامّة على ذلك فتيا مطلقة، واجماعهم على أنّه لو شهد عليها شهود بما يوجب اقامة الحدّ من الفعل المنافي للعصمة لكان الشهود مبطلين في

---

(١) راجع له ولسائر طرقه وألفاظه وتحقيق الكلام فيه إلى كتاب المراجعات لشرف الدين في المراجعة ٨ وما بعدها.

شهادتهم، ووجب على الامّة تكذيبهم وعلى السلطان عقوبتهم، فانّ اللّه قد دلّ على ذلك بقوله «إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» ولاخلاف بين نقلة الآثار أنّ فاطمة (عليها السّلام) كانت من أهل هذه الآية. وقد بيّنا فيما سلف أنّ ذهاب الرجس عن أهل البيت الذين عنوا بالخطاب يوجب عصمتهم، ولاجماع الامّة أيضاً على قول النبي (صلّى اللّه عليه وآله): من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه. فلولا أنّ فاطمة كانت معصومة من الخطاء مبّرأة من الزلل لجاز منها وقوع ما يجب أذاها به بالأدب والعقوبة، ولو وقع ذلك لوجب أذاها ولو جاز وجوب أذاها لجاز أذى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) والأذى للّه (عزّوجلّ) فلمّا بطل ذلك دلّ على أنّها كانت معصومة حسب ما ذكرناه انتهى كلامه وتبعه السيّد المرتضى (رحمه اللّه) في الاستدلال بالآية والرواية في كتاب الشافي[1] والشيخ الطوسي في تلخيصه، وقد اقتفوا في استدلالهم بالآية ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) في احتجاجه على أبي بكر في أمر فدك، وقد تقدّم حديثه في ذلك في آية التطهير، وتقدم أيضاً في أواخر البحث عن معنى الآية ما يوضح أنّ المراد بالرجس مطلق الذنوب والاقذار المعنويّة، كما هو ظاهر اللفظ، وذكره غير واحد من المفسّرين، فبناءاً على ما مرّ من أنّ المراد بالآية بقرينة النصوص المستفيضة ارادة اللّه تكويناً لاذهاب الرجس عنهم تفضّلاً عليهم وتفضيلاً لهم على العالمين تتمّ دلالتها على عصمتهم، وهكذا تتمّ دلالة حديث من آذاها فقد آذاني على ذاك بالتوجيه الذي تقدّم عن الشيخ المفيد، وقد ذكرنا في الفائدة

---

(١) ص٢٣٥ من الشافي و٤٠٨ من تلخيصه كلاهما من الطبعة الحجرية القديمة وج٣ ص١٢٢ من التلخيص من طبعة النجف الجديدة.

الثالثة من الباب السابع مزيد توضيح لذلك فلانطيل بالاعادة.

واستدلّ أصحابنا أيضاً لعصمتها بقول النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): انّ اللّه ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها. وفي لفظ آخر قال لها: انّ اللّه ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك. وهذا من الأحاديث المشهورة في فضائلها، قد رواه جماعة من أصحابنا وغيرهم بأسانيد كثيرة، فقد رواه شيخنا الصدوق (عليه الرحمة) في كتابه العيون[١] بثلاثة أسانيد عن الإمام الرضا (عليه السّلام) عن آبائه عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) وفي أماليه[٢] بإسناد آخر عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السّلام) عنه (صلّى اللّه عليه وآله) وفي معاني الأخبار[٣] بإسناده عن ابن عبّاس عنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ورواه شيخنا المفيد (عليه الرحمة) في مجالسه[٤] بإسناده عن الإمام الباقر (عليه السّلام) عن آبائه عنه (صلّى اللّه عليه وآله) ورواه ابن شهرآشوب في مناقبه عن الإمام الصادق والباقر وأمير المؤمنين وابن عبّاس (رضي اللّه عنهم) عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بالارسال.

وحسبنا من أهل السنّة ما أخرجه الحاكم في مستدركه ج٣ ص١٥٤ باب مناقب فاطمة، وصحّحه على شرط الشيخين، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير[٥] وأورده المحبّ الطبري في الذخائر وابن الأثير في أُسد

---

(١) أورد فيه عدّة أخبار متسلسلة بأسانيد ثلاثة عنه (عليه السّلام) منها هذا الخبر.

(٢) في أوّل المجلس الحادي والستّين ص٢٣٠ طبعة أمين الضرب.

(٣) باب معنى الشجنة وذكر في أوّله أنّه (صلّى اللّه عليه وآله) قال: انّ فاطمة شجنة منّي يؤذيني ما آذاها ويسرّني ما يسرّها وأنّ اللّه ليغضب... وقد أوردنا صدره في الباب السابع مع التحقيق في معنى الشجنة.

(٤) في المجلس الحادي عشر بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عنه (عليه السّلام).

(٥) باب مسند الإمام وهو مخطوط، ورأيت مصوّره في مكتبة المرعشي بمدينة قم، ورواه عنه في مجمع الزوائد الجزء ٩ باب مناقب فاطمة.

الغابة في ترجمة فاطمة والعسقلاني في الإصابة والتهذيب والهيتمي في الصواعق في المقصد الثالث من آية المودّة، والخوارزمي في مقتله في فصله الخامس، كلّهم على وجه التسليم من دون أي مناقشة في سنده، أو إنكار في متنه، كما حكى كذلك عن غيرهم من الحفّاظ كابن النجار وأبي يعلي وابن المثنى في معاجمهم، وأبي نعيم في فضائل الصحابة.

لكن ذكر الذهبي في تلخيص المستدرك أنّ في سنده الحسين بن زيد، وهو منكر الحديث لايحلّ أن يحتجّ به، وحكى في ميزانه في ترجمة الحسين عن بعضهم أنّ فيه ضعفاً، وعن آخر أنّ حديثه يعرف وينكر، ثمّ أورد من حديثه هذا الخبر.

ويردّه أولاً أنّ الرجل من خيار أهل البيت وأهل العلم منهم وهو ابن زيد الشهيد بن الإمام السجّاد (عليه السّلام) وكان له من العمر بعد قتل أبيه أربع سنين فتبنّاه الإمام الصادق (عليه السّلام) ورباه في حجره، وكان يلقّب ذا الدمعة لكثرة بكائه وكان ورعاً، كما حكاه المامقاني (عليه الرحمة) في رجاله، ووثّقه الدارقطني كما في تهذيب التهذيب في ترجمته، وصاحب مجمع الزوائد مع كونه كثير التضعيف في أسانيد ما يورده في المجمع قد حسّن هذا الخبر حيث نقله عن الطبراني مع كون الرجل في سنده، والحاكم النيشابوري قد صحّحه في مستدركه على شرط الشيخين، وإنّما استنكره الذهبي لكون بناء العامّة غالباً على قدح التشيع في نفسه، وتضعيف كلّ من يسمّى شيعة، وإنكار ما ورد في خصائص أهل البيت وفضائلهم العظيمة، حيث لم يعرفوا أهل البيت إلاّ كغيرهم، كما يظهر منهم في تضعيفاتهم وإنكارهم للأخبار.

ولذا ترى الذهبي في تلخيصه اكتفى في الطعن على الخبر بأنّ الحسين منكر الحديث. وذكر أيضاً في ميزانه في عبدالله بن محمّد المفلوج، وهو

الراوي لهذا الخبر عن الحسين المذكور أنّه ما علمت به بأساً قد حدّث عنه أبو داود والحفّاظ إلاّ أنّه أتى بمالا يعرف، ثمّ أورد عنه هذا الخبر، فيظهر من الذهبي أنّه يطعن في هذا الرجل أيضاً بمحض أنّه يروي هذا الخبر مع اعترافه بأنّه ما علم به بأساً، وأنّه قد حدّث عنه الحفّاظ على وجه الاعتماد، مضافاً الى أنّ هذا الرجل أيضاً قد وثّقه أهل الرجال، كما حكاه ابن حجر في التهذيب والخزرجي في خلاصة التذهيب في عبدالله بن سالم.

وثانياً: أنّ السند للخبر غير منحصر بهذا، فقد رواه أصحابنا بأسانيد عديدة(١) كما أشرنا الى مواضعها من كتبهم، فان كان بناء الذهبي وأمثاله على عدم الاحتجاج بما رواه الإماميّة وان كان بطرق العامّة، فلاأقلّ من أنّه تأييد لما رووه وموجب لإستفاضته، وبالجملة فالخبر عندنا بحسب السند من الأحاديث المحكمة.

وأمّا معناه، فظاهره اختصاص الزهراء (سلام اللّه عليها) بهذه الفضيلة عن الناس، ومن المعلوم أنّ سائر الناس حتى المؤمن قد يكون غضبهم في حقّ كما إذا وقع على أحدهم ظلم محرم، فهذا يغضب اللّه له، لأنّه تعالى عدل محض لايجوزه ظلم ظالم ولو بمثقال ذرة حتى للحيوان أو الكافر المحترم نفسه وماله، وغضبه تعالى هو الانتقام للمظلوم من الظالم،

---

(١) الأسانيد التي أشرنا إليها للخبر ستّة، ويتّحد ما في أمالي الصدوق من وسطه مع ما في كتب العامّة، فانّ كليهما يتّصل الى عبداللّه بن محمّد بن سالم المفلوج عن الحسين بن زيد، لكنّ الموجود في الأمالي هكذا: عن الحسين بن زيد عن علي بن عمر بن علي عن جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) وفي غيره: عن الحسين بن زيد بن علي عن عمر بن علي عن جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) وكلاهما محتمل، فان عمر هذا ابن الإمام السجاد (عليه السّلام) فهو عمّ الحسين، وكان يلقّب بالأشرف، وهو وابنه علي من أصحاب الصادق (عليه السّلام).

وقد يكون غضبه في باطل أو هوى عمداً أو خطاءاً، وهذا لايغضب اللّه له قطعاً.

وأمّا فاطمة الزهراء (سلام اللّه عليها) فظاهر الحديث أنّ اللّه تعالى يغضب لغضبها دائماً، وإلاّ لم يكن لها اختصاص بذلك، ومقتضى ذلك أن لايكون غضبها إلاّ في حقّ، وهذا هو العصمة إذ من المحال أن يكون لها خصوصيّة في غضب اللّه لغضبها، ولو كان غضبها في معصية وبالتأمّل في ذلك يعلم أنّ دلالة هذا الحديث على عصمتها أقوى من دلالة حديث من آذاها فقد آذاني، لأنّ المقصود من هذا الحديث بالبيان المذكور هو العصمة، ومن ذاك أمر آخر يلازم العصمة.

نعم روى الصدوق (عليه الرحمة) في موضع[1] آخر من عيونه بأسانيده الثلاثة عن الإمام الرضا عن آبائه (عليهم السّلام) قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): تحضر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدم، فتعلق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدي، فيحكم اللّه لابنتي وربّ الكعبة، وأنّ اللّه (عزّوجلّ) يغضب بغضب فاطمة ويرضى لرضاها، فهذا قد يكون المراد منه أنّ اللّه تعالى في المحشر يغضب[2] لها عند المحاكمة لقاتلي ولدها فيعاقب كل من

---

(١) فانّه قد روى الحديث في العيون بهذه الأسانيد مرّتين، وقضيّة المحشر مذكورة في إحداهما.

(٢) كما روي في البحار باب تظلّم الزهراء (سلام اللّه عليها) عن مجالس المفيد بإسناد صحيح عن الإمام الصادق (عليه السّلام): إذا كان يوم القيامة جمع اللّه الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فينادي مناد غضّوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الصراط، فتغضّ الخلائق أبصارهم،فتأتي فاطمة على نجيب من نجب الجنّة يشيّعهاسبعون ألف ملك،فتقف ←

غضبت عليه منهم ومن أعوانهم ومن رضي بفعالهم، فلايغفر اللّه لأحد منهم ولو كان له عند اللّه حسنات، ويرضى عمّن رضيت عنه من هؤلاء، كما إذا شفعت في حقه لتوبته، أو كان له خدمة لذراريها، فيقبل اللّه فيه شفاعتها.

لكن لامنافاة بين ذلك وبين المعنى الأوّل من النصوص المتقدّمة، وليس هذا قرينة على تقييد ما تقدّم، فيكون للزهراء (سلام اللّه عليها) كلّ من الأمرين في الدنيا والآخرة.

ثمّ انّه ورد أيضاً في أخبارنا(١) أنّه لما نوّه الإمام الصادق (عليه السّلام) بالحديث الشريف وتحدّث به الناس أتاه بعض وقال: يا أبا عبداللّه انّ هؤلاء الشباب يجيؤونا عنك بأحاديث منكرة، وذكر هذا الحديث فقال الإمام (عليه السّلام):ألستم رويتم فيما تروون أنّ اللّه ليغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه؛ قال: بلى، قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة مؤمنة يغضب

← موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثمّ تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين (عليه السّلام) مضمّخاً بدمه، وتقول: ياربّ هذا قميص ولدي وقد علمت ما صنع به، فيأتيها النداء من قبل اللّه (عزّوجلّ) يا فاطمة لك عندي الرضا فتقول: ياربّ انتصر لي من قاتله، فيأمر اللّه تعالى عنقاً من نار فتخرج من جهنّم فتلتقط قتلة الحسين (عليه السّلام).

وروى في مقتل الخوارزمي عن سلمان (رضي اللّه عنه) عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حديثاً أظهر في هذا المعنى تركناه لطوله.

(١) كما في أمالي الصدوق عند نقل أصل الحديث فيما تقدّم عنه آنفاً، وكذا في إحتجاج الطبرسي، لكن ذكر في الأوّل أنّه أتاه صندل وهو محمّد بن ابراهيم بن دينار من فقهاء المدينة كما في تهذيب ابن حجر، وفي الثاني أتاه ابن جريج وهو عبدالملك بن جريج فقيه أهل مكّة، فكأنّه كان الاعتراض من كليهما، وكان جواب الإمام (عليه السّلام) لهما بنحو واحد، واللّه العالم.

اللّه لغضبها ويرضى لرضاها، فقال الرجل:اللّه أعلم حيث يجعل رسالته.

فربّما يتوهّم من هذا أنّ فاطمة كسائر المؤمنين، لكنّ الظاهر أن يكون جواب الإمام (عليه السّلام) اقناعيّاً ذكره لتسليم المنكر بما يعرفه ويرويه في غير فاطمة، أو كان المراد بالمؤمن في حديثهم هو الذي بلغ بإيمانه مرتبة اليقين باللّه والرضا بقضائه والتسليم لأمره، والتفويض إليه في جميع اُموره، وغير ذلك من أوصاف الأولياء والمخلصين الذين ذكرهم اللّه تعالى بقوله: «إنّ الذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة» وقال النبي[1] (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال اللّه تعالى: من أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما

(١) رواه في الكافي في كتاب الإيمان والكفر باب أذى المسلمين بإسناده عن الإمام الصادق (عليه السّلام) عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وروى فيه بإسناد آخر عن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: لمّا اُسري بالنبي (صلّى اللّه عليه وآله) قال: يارب ّما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمّد من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة الى آخره نحوما في المتن. ونحوهما في صحيح البخاري باب التواضع من كتاب الرقاق بإسناده عن أبي هريرة. وأورد ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم في شرح خمسين حديثاً أسانيد اُخر عن الحفاظ الى عائشة وأنس بن مالك وحذيفة وأبي أمامة وعلي (عليه السّلام) عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) بألفاظ مختلفة، فالخبر من الأحاديث المستفيضة المعتبرة عند الفريقين وقد اختلفت الأنظار في شرحه وقال شيخنا البهائي (قدّس سرّه) في شرح قوله «كنت سمعه الذي يسمع به» من كتاب الأربعين حديثاً: انّ لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سنيّة وإشارات سرّية وتلويحات ذوقية، تعطر مشام الأرواح وتحيي رميم الأشباح، لايهتدي الى معناها ولايطّلع على مغزاها إلاّ من أتعب بدنه بالرياضات، وعنّى نفسه بالمجاهدات حتى ذاق مشربهم وعرف مطلبهم الى آخر كلامه. ومن مشكلات الحديث قوله «ما ترددت عن شيء» وتحقيقه خارج عن المقصود هنا.

افترضت عليه وانّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله كتردّدي عن موت المؤمن يكره الموت وأكره مسائته. فقوله تعالى: «كنت سمعه الذي يسمع به» قريب من معنى العصمة التي هي ثابتة للأنبياء (عليهم السّلام).

وقد ورد في سائر الأيات والنصوص من كرامة المؤمن الكامل على اللّه وتأييده وتوفيقه ما يشبه ذلك، مثل قوله تعالى «اللّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور» وقوله تعالى «واللّه وليّ المتقين» وقوله تعالى «واتّقوا اللّه ويعلمكم اللّه» وقوله تعالى «ان تتّقوا اللّه يجعل لكم فرقاناً» وفي الحديث(١): اتّقوا فراسة المؤمن، فانّه ينظر بنور اللّه. وفيه أيضاً(٢) من أخلص للّه أربعين صباحاً أجرى اللّه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. فإذا كان هذا مقام المؤمن الخالص عند اللّه تعالى، فبضعة النبي المختار وكذا الأئمّة الطاهرين من أولادها، كانوا أكمل المؤمنين إيماناً، وأشدّهم إخلاصاً، وأكثرهم عبادة وحبّاً للّه وتبتّلاً إليه وجهاداً في سبيله، فلاينكر أن يكون تأييد اللّه وتوفيقه لهم بالعصمة من الذنوب والخطاء أكثر، مضافاً إلى كونهم حجج اللّه على خلقه، وأبوابه في أرضه (صلوات اللّه عليهم أجمعين) ورزقنا ولايتهم وجعلنا من المتمسكين بهم في الدنيا والآخرة، والحمد للّه ربّ العالمين.

---

(١) تفسير مجمع البيان عند قول اللّه تعالى في سورة الحجر «انّ في ذلك لآيات للمتوسّمين» وقال: صح عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ورواه في الكافي في كتاب الحجّة باب أنّ المتوسّمين هم الأئمّة بإسناده عن الإمام الباقر (عليه السّلام).

(٢) البحار باب الإخلاص من كتاب الإيمان في عدّة أحاديث عن الكافي وغيره.

الباب العاشر: حديث تزويجها

انّ حديث تزويجها من عليّ (عليه السّلام) ذو شجون، وفي أغصانها ثمرات يانعة نافعة للمسلم في دينه ودنياه، لكن ضاق بنا المجال عن ذكرها والبحث عن جوانبها وما ينبغي لها من التحقيق، وإنّما الذي أهمّني منها أنّ هذا الزواج لم يكن على وضع سائر الناس، وإنّما كان من اللّه تعالى في السماء لمناسبة في الخلقة النوريّة والمنزلة الروحيّة، حيث أنّه قد ظهر ممّا أوردنا في هذه الرسالة من أوّل بابها الى آخره أنّ للزهراء (سلام اللّه عليها) إختصاص من اللّه تعالى عن سائر الناس بكرامات معنويّة في بدو خلقها وفي خصالها إلى حدّ لايدانيها أحد ولايحاذيها بشر، فلم يكن لها في الناس من يسانخها ويكافيها إلاّ من كان بتلك الخصال.

فعن النبي[1] (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: إنّما أنا بشر مثلكم أتزوّج فيكم وأُزوّجكم إلاّ فاطمة فانّ تزويجها نزل من السماء.

وعنه[2] (صلّى اللّه عليه وآله): لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة، وقالوا: أخطبناها إليك فمنعتنا وزوّجت عليّاً، فقلت لهم: واللّه ما أنا منعتكم وزوّجته بل اللّه منعكم وزوّجه، فهبط عليّ جبرئيل فقال: يا

---

(١) رواه في الكافي باب النوادر آخر كتاب النكاح بإسناده عن الإمام الباقر (عليه السّلام) ورواه الصدوق في الفقيه مرسلاً عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله) في باب الإكفاء من النكاح، والخوارزمي في مقتله باب فضائل فاطمة بإسناده عن الإمام الباقر عن آبائه.

(٢) رواه الصدوق في عيون الأخبار ج١ ص٢٢٥ طبعة قم بإسنادين عن الإمام الرضا عن آبائه (عليهم السّلام) عنه (صلّى اللّه عليه وآله) ثمّ قال الصدوق (عليه الرحمة): وقد أخرجت ما رويته في هذا المعنى في كتاب مولد فاطمة وفضائلها.

محمّد انّ اللّه جلّ جلاله يقول: لو لم أخلق عليّاً لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه. وفي خبر(١) آخر عن الإمام الصادق (عليه السّلام): لولا أنّ اللّه خلق أمير المؤمنين لم يكن لفاطمة كفو على ظهر الأرض آدم فمن دونه.

وروى شيخنا الصدوق (رحمه اللّه) في أماليه(٢) بإسناده عن ابن عباس قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): انّ اللّه تعالى آخى بيني وبين علي بن أبي طالب، وزوّجه ابنتي من فوق سماواته، وأشهد على ذلك مقرّبي ملائكته وجعله لي وصيّاً وخليفة، فعليّ مني وأنا منه، محبّه محبّي ومبغضه مبغضي، وانّ الملائكة تتقرّب الى اللّه تعالى بمحبّته.

وروى في عيونه بالأسانيد الثلاثة عن الإمام الرضا (عليه السّلام) عن آبائه عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: أتاني ملك، فقال: يا محمّد انّ اللّه تعالى يقرؤك السّلام ويقول لك: قد زوّجت فاطمة من علي فزوجها منه، وقد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدرّ والياقوت والمرجان، وانّ أهل السماء قد فرحوا بذلك، وسيولد منهما ولدان سيّدا شباب أهل الجنّة، وبهما يتزيّن أهل الجنّة، فأبشر يامحمّد فإنّك خير الأوّلين والآخرين. ونحوه في مناقب الخوارزمي في فصل تزويج علي (عليه السّلام).

وروى الخاصّة والعامّة أنّه قد خطبها الى النبي (صلّى اللّه عليه وآله

(١) رواه في الكافي في باب مولد فاطمة من كتاب الحجّة بإسناده عن يونس بن ظبيان عنه (عليه السّلام) ورواه شيخنا الطوسي في أماليه عن الكُليني بهذا الاسناد، وفي التهذيب في باب الزيادات من كتاب النكاح بإسناد آخر عن المفضّل بن عمر عنه (عليه السّلام).

(٢) في المجلس السادس والعشرين وعنه في البحار ج٤٣ باب تزويجها (عليها السّلام).

وسلّم)[١] رجال من أشراف قريش ذوي السابقة والهجرة والفضل والمال، منهم أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف، فأعرض عنهم وقال لهم: أنتظر القضاء من اللّه تعالى، فأتوا عليّاً (عليه السّلام) وذكروا له أن يخطبها لنفسه، وأنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قد حبسها له، فجاء الى رسول اللّه وذكرها باستحياء، فأنعم جوابه وبشّره بأنّ ذلك من أمر اللّه، وأنّه تعالى قد زوّجها منه في السماء قبل أن يزوجه النبي في الأرض.

وروى الصدوق في الأمالي والعيون بأسانيد[٢] عن الإمام الصّادق والرضا عن آبائهما (عليهم السّلام) أنّ عليّاً (عليه السّلام) قال: لقد هممت بتزويج فاطمة، فلم أجترء أن أذكر ذلك لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حتى دخلت عليه، فقال: يا علي قلت: لبّيك يا رسول اللّه، قال: هل لك في التزويج؟ قلت: رسول اللّه أعلم، وظننت أنّه يريد أن يزوّجني بعض نساء قريش، وانّي لخائف على فوت فاطمة، فما شعرت بشيء[٣] إذ أتاني رسوله وقال لي: أجب النبي وأسرع فأتيته مسرعاً، فلمّا نظر إليّ تهلّل وجهه وتبسّم حتّى نظرت الى بياض أسنانه يبرق، فقال: أبشر يا علي، فإنّ

---

(١) النصوص في ذلك كثيرة في البحار وكشف الغمّة ومناقب الخوارزمي وذخائر العقبى والصواعق ص٨٤ وفضائل الخمسة ج٢ ودلائل الإمامة للشيخ الجليل محمّد بن جرير الطبري الإمامي (رحمه اللّه) وهو كتاب نافع فيه فوائد نادرة أوردت جملة منها في هذه الرسالة.

(٢) رواه في العيون ج١ ص٢٢٣ وما بعدها طبعة قم بإسنادين، ثمّ قال: وله طريق آخر أخرجته في كتاب مدينة العلم، ورواه في الأمالي كما في البحار بطريق ثالث، ورواه الطبري في دلائل الإمامة بطريق رابع، وكذا في البحار باب كيفيّة نشو الولد من أبواب النكاح عن كتاب مسند فاطمة، وهذه الروايات بينها إختلاف في بعض ألفاظها مع الزيادة والنقيصة، وما ذكرته في المتن تلخيص من جميعها.

(٣) أي بعد ما خرجت من عنده، كما صرّح بذلك في خبر البحار ودلائل الإمامة.

اللّه قد كفاني ما كان أهمني من أمر تزويجك، قلت: وكيف ذلك يا رسول اللّه؟ قال: أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنّة وقرنفلها وقال: انّ اللّه تعالى أمر سكّان الجنان من الملائكة ومن فيها أن يزيّنوا الجنان كلّها، ثمّ أمر منادياً فنادى يا ملائكتي وسكّان جنّتي اشهدوا أنّي قد زوّجت فاطمة بنت محمّد من علي بن أبي طالب رضى منّي بعضهما لبعض، ثمّ أمر اللّه تعالى ملكاً من ملائكة الجنّة يقال له: راحيل ليس في الملائكة أبلغ منه، فخطب بخطبة لم يسمع بمثلها أهل السماء ولا أهل الأرض، الى أن قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): فأبشر يا علي فانّي قد زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمن، فدونك أهلك فإنّك أحق بها منّي، ثمّ قال: فنعم الأخ أنت ونعم الختن ونعم الصاحب، فقال علي (عليه السّلام): ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ الحديث. وقد اختصرته للمقام.

وظاهره أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) هو الذي أظهر هذا الأمر لأمير المؤمنين ابتداءاً امتثالاً لأمر اللّه تعالى، لكن لابدّ من تأويل هذا وحمله على ما في سائر الأخبار، وحاصل الجميع أنّه (عليه السّلام) خطبها أولاً بعد جماعة الاشراف باستحياء شديد لمهابة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فأجابه النبي بكلمة مشعرة بالإنعام، فقال له كما في بعض الأخبار: مرحباً وأهلاً، فقال بعض الصحابة لعلي (عليه السّلام): أنكحك حيث أعطاك الأهل، ولعلّه لم يصرّح له بذلك لأجل انجاز ما وعد غيره من الانتظار لقضاء اللّه (عزّوجلّ) ولذلك كان أمير المؤمنين (عليه السّلام) خائفاً من عدم حصول الأمر له، فلمّا نزل القضاء به من اللّه تعالى استبشر النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وفرح شديداً ودعا عليّاً وبشّره بما مرّ، ثمّ قال له بعد ما زوّجه[1] يا علي أدخل بيتك وألطف بزوجتك وارفق بها،

(١) كما تقدّم ذلك في هذه الرسالة في الفائدة الثانية من الباب السابع.

فانّ فاطمة بضعة منّي يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها، قال علي (عليه السّلام): فواللّه ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتّى قبضها اللّه (عزّوجلّ) ولا أغضبتني ولاعصت لي أمراً، وقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان.

هذا وقد ورد في هذه الأخبار أنّ اللّه تعالى جعل صداقها في تزويج السماء خمس الأرض، كما في البحار عن مناقب ابن شهرآشوب، وروى في الكافي في كتاب النكاح أنّه خمس الدنيا ما دامت السماوات والأرض وفي خبر عن الإمام الباقر (عليه السّلام) اُضيف الى ذلك أربعة أنهار الدنيا منها نهر الفرات[1]. وأمّا صداقها من النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في الأرض، فكان بمقدار خمسمأة درهم أو دونها بيسير وذلك أيضاً بأمر اللّه ليكون سنّة لجميع اُمّته، واللّه العالم بمصالح عباده والمقدّر لهم اُمورهم لايسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

تذييل: النصوص الواردة في هذا الباب كثيرة أجملت عنها لأجل الاختصار، وهي من النصوص الواضحة المعتبرة أوردها الخاصّة والعامّة، وتدلّ على ما ذكرنا في أوّل هذا الباب من أنّ هذا الزواج كان بملاحظة المسانخة والمكافأة في الخصائص والكمالات العالية المعنوية في بدو الخلق والخصال، ويعرف منها أهل البصيرة كذب مارواه العامّة في صحاحهم من أنّ علياً (عليه السّلام) خطب ابنة أبي جهل عليها في حياة الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فسائها ذلك وشكت إلى أبيها، فمنعه النبي (صلّى اللّه عليه وآله) وعيّره على رؤوس الاشهاد، وقد فصّلنا الكلام في ذلك،

---

(١) قال الشاعر ابن العرندس الحلي في قصيدة تقدم بعضها في الباب الثاني:

أيقتل ظمآناً حسين بكربلا ... وفي كل عضو من أنامله بحر
ووالده الساقي على الحوض في غد ... وفاطمة ماء الفرات لها مهر

وأوضحنا تزويره بما لا مزيد عليه في الباب السابع من هذه الرسالة، كما أنّ ما روي أيضاً في بعض نوادر الأخبار من أنّه حصل بينهما اختلاف فاصلح النبي (صلّى اللّه عليه وآله) بينهما خال عن الصحّة والاعتبار، كما نبّه عليه شيخنا الصدوق (عليه الرحمة) في ذيل ما رواه[1] في ذلك، لكن الجهل بالحقيقة أو الأغراض الفاسدة من أهل الخلاف جعلت ذلك سبباً للإزراء بأمير المؤمنين (عليه السّلام) ورميه الى الاسائة ببضعة النبي (صلّى اللّه عليه وآله) كما حكيناه في الباب المذكور عن مروان بن أبي حفصة.

يقول مؤلف هذه الرسالة عبدالرسول الجهرمي: هذا ما وفّق اللّه تعالى لهذا التأليف في عشرة أبواب، وكان في ودّي أن ألحق بها أبواباً اُخر من فضائل الزهراء (سلام اللّه عليها) في تعبّدها للّه ومكارمها وسيرتها الجميلة مع أبيها وزوجها، وما صدر عنها من العلوم والمعارف، وبالأخير اُتمّمها بشرح خطبتيها الجليلتين البالغتين في تظلّمها، لكن عاقني عنها ضيق المجال عمّا اُريده لها من التحقيق، فلعلّ اللّه يحدث بعد ذلك أمراً، ولو من باب أنّ الميسور لايسقط بالمعسور، فنختم الكلام بقصيدتين: احداهما في مديحها للعلامة الجليل والشاعر النبيل السيّد محمّد الهاشمي النجفي المتوفى سنة ألف وثلاثمائة وسبع وتسعين قمريّة نجل آية اللّه المجتهد السيّد جمال الدين الگلپايگاني (تغمّدهما اللّه برضوانه) وهذه القصيدة في علوّ معناها كأنّها خلاصة ومعصورة من مفصّل ما أوردناه في هذه الرسالة من بابها الأوّل الى آخرها:

---

(١) البحار ج٤٣ باب كيفيّة معاشرتها مع علي (عليه السّلام) قال لأنّ علياً (عليه السّلام) سيّد الوصيّين وهي سيّدة نساء العالمين مقتديان بنبيّ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) في حسن الخلق.

شعّت فلاالشمس تحكيها ولاالقمر ... زهراء من نورها الأكوان تزدهر
بنت الخلود لها الأجيال خاشعة ... أُمّ الزمان إليها تنتمي العصر
روح الحياة فلولا لطف عنصرها ... لم تأتلف بيننا الأرواح والصور
سمت عن الأُفق لاروح ولاملك ... وفاقت الأرض لا جنّ ولا بشر
مجبولة من جلال اللّه طينتها ... يرفّ لطفاً عليها الصون والخفر
ما عاب مفخرها التأنيث ان بها ... على الرجال نساء الدهر تفتخر
خصالها الغرّ جلّت أن تلوك بها ... منّا المقاول أو تدنو لها الفكر
معنى النبوة سرّ الوحي قد نزلت ... في بيت عصمتها الآيات والسور
حوت خلال رسول اللّه أجمعها ... لولا الرسالة ساوى أصله الثمر
تدرّجت في مراقي الحقّ عارجة ... لمشرق النور حيث السرّ مستتر
ثم انثنت تملأ الدنيا معارفها ... تطوي القرون عياءاً وهي تنتشر
قل للذي راح يخفى فضلها حسداً ... وجه الحقيقة عنّا كيف ينستر
أتقرن النور بالظلماء من سفه ... ما أنت في القول إلاّ كاذب أشر
بنت النبي الذي لولا هدايته ... ما كان للحق لاعين ولاأثر
هي التي ورثت حقّاً مفاخره ... والعطر فيه الذي في الورد مدّخر
في عيد ميلادها الأملاك حافلة ... والحور في الجنّة العليا لها سمر
تزوّجت في السما بالمرتضى شرفاً ... والشمس يقرنها في الرتبة القمر
على النبوّة أضفت[1] في مراتبها ... فضل الولاية لاتبقي ولاتذر
أُم الأئمّة من طوعاً لرغبتهم ... يعلو القضاء بنا أو ينزل القدر
قف يايراعي عن مدح البتول ففي ... مديحها تهتف الألواح والزبر
وارجع لنستخبر التاريخ عن نباء ... قد فاجأتنا به الأنباء والسير

---

(١) كأنّه مخفف أضافت.

هل أسقط القوم ضرباحملهافهوت تأنّ ممّا بها والضلع منكسر
وهل كما قيل قادوا بعلها فعدت وراه نَادبة والدمع منهمر
ان كان حقّاً فانّ القوم قد مرقوا عن الهدى وبدين اللّه قد كفروا

الثانية: في رثائها وذكر ما ورد عليها من الظلم بعد أبيها لآية اللّه الفقيه المرجع السيّد صدرالدين الصدر العاملي نزيل الحوزة العلمية بقم المتوفّى بها في سنة ألف وثلاثمائة واثنين وسبعين الهجريّة القمريّة (تغمّده اللّه برضوانه):

يا خليليّ أحبسا الجرد المهارا وابكيا داراً عليها الدهر جارا
وربوعاً أقفرت من أهلها وغدت بعدهم قفراً برارا
حكم الدهر على تلك الربى فانمحت والدهر لايرعى ذمارا
كيف يرجى السلم من دهر على أهل بيت الوحي قد شنّ المغارا
لم يخلّف أحمد إلاّ ابنة ولكم أوصى بها القوم مرارا
كابدت بعد أبيها المصطفى غصصا لو مسّت الطود لمارا
هل تراهم أدركوا من أحمد بعده في آله الأطهار ثارا
غصبوها حقّها جهراً ومن عجب أن تغصب الزهرا جهارا
من لحاها إذ بكت والدها قائلاً فلتبك ليلاً أو نهارا
ويلهم ما ضرّهم لو بكيت بضعة المختار أيّاماً قصارا
من سعى في ظلمها من راعها من على فاطمة الزهراء جارا
من عدا ظلماً على الدار التي تخذتها الأنس والجن مزارا
طالما الأملاك فيها أصبحت تلثم الأعتاب فيها والجدارا
ومن النار بها ينجو الورى من على أعتابها أضرم نارا

والنبي المصطفى كم جائها يطلب الإذن من الزهرا كرارا
وعليها هجم القوم ولم تك لاثت لا وعلياها الخمارا
لست أنساها ويا لهفي لها إذ وراء الباب لاذت كي توارا
فتك الرجس على الباب ولا تسئلن عمّا جرى ثمّ وصارا
لاتسلني كيف رضّوا ضلعها واسئلنّ الباب عنها والجدارا
واسئلن أعتابها عن محسن كيف فيها دمه راح جبارا
واسئلن لؤلؤ قرطيها لما انتثرت والعين لِم تشكو احمرارا
وهل المسمار موتور لها فغدا في صدرها يدرك ثارا

ثمّ أقول: انّ الرسالة قد حوت أيضاً في متنها وتعليقها لمطالب أُخر خارجة عن موضوعها من تفضيل الصدّيقة (سلام اللّه عليها) وذلك لربطها به في الجملة، أو لمحض الاستطراد لتكون أتمّ للفائدة والمراد، وكان الهمّ والبناء فيها على التحقيق فيما قصدناه من معنى الآيات وإيراد الأحاديث المعتبرة سنداً أو استفاضة، أو كونها مرويّة في الكتب المعتمد عليها من الشيعة والسنّةمن دون الإكثارمن الرواية.

هذا وقد صدر التساهل من بعض السلف في أحاديث الفضائل، كما حكاه الفاضل المعاصر محمود أبو رية المصري في كتابه الأضواء عن جماعة من أئمّة أهل السنّة منهم أحمد بن حنبل في رأي، وفي رأيه الآخر عدم جواز التساهل فيها وفي أحاديث المستحبّات، وهو الحقّ كما هو واضح، فقد صار التساهل فيها موجباً لتسويلات وتمويهات كثيرة، حيث كثرت الكذّابة على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كما أخبر به وأنذر[1] فوضعوا أحاديث كثيرة في فضائل الصحابة وغيرهم حتى من

(١) راجع التعليقة للفائدة الرابعة من الباب السابع لهذه الرسالة.

عرف منهم بالظلم والطغيان أمثال بني أُميّة وعمرو بن العاص، فتسامح الناس السامعون في قبولها، فاغمضوا عمّا أحدثوه من الجرائم الفاحشة فصوّبوها لهم، أو جعلوها منهم اجتهاداً معذّراً كمحاربة أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقد قال له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): أنا حرب لمن حاربكم. وفي خبر آخر حرب لمن حاربتم. وفي ثالث: حربك حربي وسلمك سلمي[1]، ومع ذلك جعلوا محاربيه معذورين لمحض ما روي لهم

---

(١) تقدّم مصادر الأوّلين والإشارة الى أسانيدهما المستفيضة في الباب السابع. وأمّا الأخير، فحسبنا ما رواه شيخنا الطوسي (رحمه اللّه) في أماليه ج٢ ص١٠٠ طبعة النجف بإسناده عن عطية العوفي عن محدوج بن زيد الهذلي في حديث عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: ألا انّ علياً منّي وأنا منه، فمن حادّه فقد حادّني، ومن حادّني فقد أسخط اللّه (عزّوجلّ) ثمّ قال: يا علي حربك حربي وسلمك سلمي الحديث. وفيْ آخره: أنّ عطيّة ذكره لزيد بن أرقم فقال: أشهد لقد حدّثنا به رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ثمّ قال: لقد حادّه رجال سمعوا قوله هذا وقد ردّوا. وروى شيخنا الصدوق (عليه الرحمة) في آخر المجلس السادس والثلاثين من كتابه الأمالي بإسناده عن الإمام الباقر عن آبائه (عليهم السّلام) أنّه قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في حديث: انّ علياً خليفة اللّه وخليفتي وحجّة اللّه وحجّتي، الى أن قال: وحربه حربي وسلمه سلمي، وروى الحافظ الگنجى في كفايته الباب ٦٢ باسناده عن علي (عليه السّلام) قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يوم فتحت خيبر لولا ان يقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالا لاتمر على ملأ من المسلمين الا اخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك ليستشفوا به ولكن حسبك ان تكون مني وانا منك الى ان قال حربك حربي وسلمك سلمي.... ولحمك لحمي ودمك دمي.... والايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي... وذكر سيّدنا المحقّق المتتبّع شرف الدين الموسوي (قدّس سرّه) في كتابيه المراجعات والنصّ والإجتهاد أنّه قد استفاض قوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حرب عليّ حربي وسلمه سلمي.

عنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في فضائل الصحابة عموماً كحديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم[١] أو في آحادهم، خصوصاً على خلاف ماورد في الكتاب والسنن القطعيّة في عقاب الظالمين والباغين والتحذّر منهم، ولذلك قد عمدنا في هذه الرسالة عندما انجرّ الكلام الى نصّ في أمير المؤمنين (عليه السّلام) أن أذكر مصدره من الكتب المعتبرة أو أسانيده المستفيضة، فنسأل اللّه تعالى العصمة والهداية.

وقد وقع الفراغ من هذا التأليف في مدينة قم سنة ألف وثلاثمائة وتسع وتسعين من الهجرة القمريّة، ثمّ راجعته بعد طبعه فأضفت إليه فوائد مهمّة وأوضحت مواضعها المبهمة حسب ما يقتضيه المقام ويناسبه المجال، وكان الفراغ من ذلك في شهر شوّال سنة ألف وأربعمائة وثلاث عشر الهجريّة، والحمد للّه أولاً وآخراً، وصلّى اللّه على محمّد وآله الأطيبين.

عبدالرسول الشريعتمداري الجهرمي

---

(١) صرح أبو رية في الكتاب المذكور في بحث عدالة الصحابة بأنّ هذا الحديث باطل لا أصل له وحكى في شرح الاحوذى على جامع الترمذى في باب من مناقب علي (عليه السّلام) عن جماعة التصريح بضعفه أو كذبه وبطلانه.

فهرس الكتاب

المقدّمة ٣
الثناء على اللّه ٣
الصلاة على النبيّ وآله (ص) ٣
اسم المؤلّف ٣
سبب تأليف الكتاب ٣
أخبار في فضل التوسّل بفاطمة الزّهراء (ع) ٤
رواية الطوسي (ره) في التهذيب ٤
خبر آخر في فضل الصلاة عليها ٤
رواية الكليني (ره) في روضة الكافي ٤
كلام المؤلّف حول رواية الكافي ٤

الباب الأوّل: في بدء خلقها (ع) ٦
في أنّ اللّه تعالى خلقها من الطينة الطيّبة العالية ٦
خبر الامام الرضا (عليه السّلام) في أنّها خلقت من رطب الجنّة ٦
خبر الامام الصادق (ع) في أنّها خلقت من ثمار شجرة طوبى ٧
في أنّ نور فاطمة(ع) خلق قبل أن يخلق الأرض والسماء ٧
في أنّ بدء خلق الزهراء(ع) كان من نور اللّه (عزّوجلّ) ٧
كلام المؤلّف في ما يستفاد من الخبر ٨
في أنّ النّور الّذي خلق منه روح الزهراء(ع) أعلى من النّور الذي خلق منه جسمها ٨

رواية الحاكم في المستدرك بانّها (ع) خلقت من سفرجلة الجنّة أكلها النبيّ (ص) ليلة الاسراء ٩
رواية مجمع الزّوائد بانّها خلقت من ثمر شجرة الجنّة وانّها لاتعتلّ كما تعتلّ النساء ٩
رواية الطبري في ذخائر العقبى بانّها (ع) خلقت من تفّاحة الجنّة ١٠
في أنّها (ع) خلقت من ثمار الجنّة ١١
كلام المؤلّف في اثبات أصل الأحاديث الواردة في هذا الباب ودفع اختلافاتها ١١
تذييل: في أنّ خلق الأنبياء والائمة من المواد القدسية ١٣
في أنّ الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة اللّه ١٣
في أنّ اللّه خلق أجساد الائمة من عليّين وأرواحهم من فوق ذلك وخلق أرواح الشيعة من عليّين وأجسادهم من دون ذلك ١٣
في خلق الامام (ع) من ماء تحت العرش ١٤
كلام المؤلف في توضيح المراد بعلّيّين ١٥

الباب الثاني: في الأرواح والأشباح والميثاق ١٧
في أنّ الأرواح جنود مجنّدة ١٧
في أنّ العباد اذا ناموا خرجت أرواحهم الى السماء ١٨
في أنّ الأرواح خلقت قبل الأجساد ١٨
في كثرة الأخبار الواردة في هذا الباب وتواترها المعنوي ١٨
كلام الشيخ المفيد (رحمه اللّه) في انكار هذه الأخبار ٢٢
جواب المؤلّف عن كلام الشيخ المفيد ٢٤
اشارة الى كلام الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا وقصيدته المعروفة ٢٦

رواية الصدوق في علّة جَعل اللّه تعالى الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى ٢٦
بيان المؤلّف في تأييد رواية الصدوق ٢٧
عالم الذّر وأخذ الميثاق وكيفيّته ونبذ من كلام منكريه ٢٨
كلام المؤلّف في ثبوته وكثرة النصوص الواردة فيه ٢٩
رواية زرارة عن الباقر (ع) في تفسير آية «واذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم...» ٢٩
رواية السجستاني عن الباقر (ع) في أخذ الميثاق ٣٠
خبر أمير المؤمنين (ع) في تفسير آية الميثاق وشهادة الحجر الأسود بالموافاة لمن وافاه ٣١
اشارة المؤلّف الى مظانّ استقصاء هذه الأخبار من الكتب الخاصّة والعامّة ومبلغ كثرتها ٣٥
كلام المؤلّف في تمييز المعنى الظاهريّ لآية أخذ الميثاق عن تأويلها ٣٦
الاشكالات العقليّة على عالم الذّر وجواب المؤلّف عنها ٣٨
اشارة الى بدو خلق أنوار المعصومين (عليهم السّلام) وذكر بعض رواياتها ٤٠
رواية الصدوق في كتاب العلل عن معاذ بن جبل ٤٢
اشارة المؤلّف الى النصوص الدالّة على أنّ الموجود في صلب آدم أجزاء لطيفة عالية غير ما يحدث من الموادّ المائيّة الجسمانيّة ٤٣
رواية كتاب معاني الأخبار في خلق الأرواح قبل الأجساد ٤٤
رواية المعاني والعيون والاكمال عن الرضا (ع) في أنّ اللّه ما خلق خلقاً أفضل من النبيّ وآله (ص) ٤٥

رواية كتاب فضائل الشيعة عن النبي (ص) في تفسير قوله تعالى
«استكبرت أم كنت من العالين» ٤٥
رواية كتاب مقتضب الأثر في بدو خلق النبيّ والائمة (ع) ٤٧
رواية الثمالي عن الباقر (ع) في بدو خلق النبي والائمة(ع) ٤٨
خبر الامام الصادق (ع) في تفسير «وعلّم آدم الأسماء» ٥٠
رواية الكافي في خلق أنوار النبيّ والائمة (ع) ٥٢
كلام المجلسي توضيحاً للخبر المذكور ٥٢
رواية الكافي في خلق أشباح النبيّ وعترته (ع) ٥٢
كلام المؤلف في بيان المراد بأشباح نور ٥٣
رواية الكافي في الأظلّة ٥٥
كلام المجلسي في بيان الأظلّة ٥٥
رواية الكافي عن الامام الجواد (ع) في أنّ اللّه خلق محمّداً وعليّاً
وفاطمة (ع) قبل جميع الأشياء ٥٥
كلام المؤلّف في توضيح الرواية ٥٦
كلام المؤلّف حول التفويض ٥٦
رواية الكافي عن الباقر (ع) في أنّ اللّه خلق الأئمّة أظلةً عن يمين
عرشه ٥٩
اشارة المؤلف الى الأخبار الواردة في المقام وكثرتها ٦٠
اشارة المؤلّف الى بعض الأخبار الواردة من طرق أهل السنّة وذكر
رواية أنس بن مالك ٦١
اشارة الى رواية الناصبي في فضيلة عليّ (ع) ٦١

نبذ من كلام الشيخ المفيد في انكار عالم الأرواح والأظلّة والذّر والميثاق ٦١
كلام المؤلّف في تأييد عالم الأرواح والأظلّة ٦٢
نبذ من كلام المجلسي الاوّل في سبب قدح بعض المتقدّمين بعض ثقاة الرواة ٦٣
كلام المجلسي الثاني في نفي الغلوّ عن الرّواة الثقاة ٦٣
نبذ من كلام الوحيد البهبهاني في مقدّمة تعليقته على منهج المقال ٦٣
اشارة المؤلّف الى ما حكاه الشيخ الكشيّ في رجاله في ترجمة علي بن حماد الأزدي ٦٤
كلام المؤلّف في معنى الغلوّ المحرَّم ٦٥
اشارة المؤلف الى صعوبة الايمان باسرار الائمّة (ع) ٦٥
الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه ٦٧

الباب الثالث: تحديثها امّها في الرّحم وكيفيّة ولادتها (ع) ٦٨
خبر المفضّل عن الصادق (ع) في كيفية ولادة فاطمة (ع) ٦٩
ارجوزة العلامة الاصفهاني في ميلادها ٧١

الباب الرابع: تاريخ ولادتها ٧٢
سنة ولادتها عند أهل السنّة ٧٢
سنة ولادتها عند الامامية ٧٢
رواية الكافي في تاريخ ولادتها ٧٢
رواية دلائل الامامة في تاريخ ولادتها ٧٣

يوم ولادتها ٧٣

الباب الخامس: اسماؤها (ع) ٧٣

اشارة المؤلّف باستحباب تسمية المولود باسم حسن وتكنيته بكنية حسنى ٧٣

خبر الامام الكاظم (ع) في تسمية الرجل ولده باسم حسن ٧٣

خبر الامام الباقر (ع) في أدب الأئمّة في تكنية أولادهم في صغرهم ٧٤

في تفسير آية «وانّي سمّيتها مريم» ومعنى مريم ٧٤

اشارة المؤلّف بانّ رسول اللّه (ص) سمّى فاطمة بوحي من اللّه ٧٤

رواية الكافي عن الباقر (ع) بانّ تسمية فاطمة كانت بوحي من اللّه وانّ فطمها بالعلم وعن الطمث ٧٥

خبر الباقر (ع) بانّ فاطمة (ع) فطمت به من تولاّها وتولّى ذريّتها من النّار ٧٥

المستفاد من الخبرين ومعنى فَطمها بالعلم وعن الطمث ٧٥

وجوه اُخر لتسميتها (ع) بفاطمة واشارة الى روايات مستفيضة من طرق الخاصّة والعامّة بانّ اللّه فطمها وفطم من أحبّها من النّار ٧٦

كلام المؤلّف في أنّ محبّ أهل البيت (ع) محبّ اللّه ومبغضهم مبغض اللّه ٧٨

كلام المؤلّف حول معنى الفطم والفاطم ٧٨

ذكر أسماء اُخر حاكية عن فضلها وكرامتها (ع) ٧٩

خبر الامام (ع) بانّ لها (ع) تسعة أسماء عند اللّه (عزّوجلّ) ٧٩

رواية ابن شهرآشوب بانّ لها (ع) عشرين اسماً ٧٩

علّة تسميتها بالزهراء ٨٠
علّة تسميتها بالبتول ٨٠
علّة تسميتها بالطّاهرة ٨٠
في أنّ بنات الأنبياء لايطمثن ٨١
في أنّها (ع) خلقت حوريّة في صورة انسيّة ٨١
في أنّها (ع) ليست كنساء الآدميّين ولاتعتلّ كما يعتللن ٨٢
جواب المؤلّف عمّا يقال انّ الحيض في النساء من لوازم الخلقة البشريّة ٨٢
علّة تسميتها بالمحدّثة ٨٣
خبر مصحف فاطمة (عليها السّلام) وانّه ما حدّثها ملك أرسله تعالى إليها ليسلي غمّها ٨٤
كناها (ع) ومنها «امّ أسماء» ٨٥
ذكر كنيتها «بامّ الائمّة» ومعنى امومتها لهم (ع) ٨٥
ذكر كنيتها «بامّ أبيها» وجهت تكنيتها به ٨٥
كلام ابن الأثير في أُسد الغابة في ترجمة فاطمة (ع) ٨٦
نبذ من ترجمة عثمان بن عفّان ورقيّة وامّ كلثوم بنتي رسول اللّه(ص) من الاستيعاب والاصابة وأُسد الغابة ٨٧
نبذ ممّا حكاه بحار الأنوار في ازدواج عثمان بن عفّان مع امّ كلثوم ورقيّة ٨٧
كلام ابن الأثير في ترجمة أمامه بنت أبي العاص بن الرّبيع ٨٨
كلام بعض المؤلّفين في انّه لاعقب للنبيّ (ص) إلاّ من ولد فاطمة ٨٩
كلام الحسين بن روح (رحمه اللّه) في تفضيل فاطمة (ع) ٨٩

وجه آخر لتكنيتها بامّ أبيها ٩٠
اشارة المؤلف الى مجاهدات اولاد فاطمة (ع) ٩٠
نبذ من قصيدة السيّد جعفر الحلّي (ره) في رثاء أبي عبداللّه الحسين (ع) ٩١
اشارة المؤلف الى استحباب تسمية البنت بفاطمة ٩١
خبر الامام الصادق (ع) في حق الولد على والده ٩١

الباب السادس: النموّ والكفالة والتربية ٩٢
ذكر مريم (ع) وكرامات اللّه لها ٩٢
ما ورد في شأن ابراهيم (ع) ٩٢
في أنّ فاطمة (ع) كانت تنمي في اليوم كما ينمي الصبيّ في الشهر ٩٣
في أنّ مريم «كفّلها زكريّا»، وفاطمة (ع) كفّلها أشرف أنبياء اللّه (ص) ٩٣
في أنّ أُمّها خديجة (ع) وهي أفضل النساء في زمانها كانت تهتمّ بشؤون بنتها من التربية لها وتأديبها بالمحاسن ٩٣
رواية امّ سلمة في أنّ فاطمة (ع) كانت أأدب منها ٩٤
في أنّ فاطمة (ع) كانت ترزق من عند اللّه كما أنّ مريم كانت ترزق من عند اللّه ٩٤

الباب السابع: منزلتها عند النبي (ص) وحبّه لها ٩٦
خبر الامام الصادق (ع) في حبّ الرجل ولده ٩٦
خبر النبي في استحباب حبّ الصبيان والترحّم عليهم ٩٧

في أنّ رسول اللّه (ص) كان يحبّ أولاده وأحفاده ٩٧
قول رسول اللّه (ص) بانّ فاطمة بضعة منّي ٩٧
رواية الصدوق عن النبي بأنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين ٩٨
رواية ابن الصبّاغ المالكي عن النبي بأنّ فاطمة بضعة منّي ٩٨
في أنّ النبي (ص) كان لاينام حتّى يقبّل وجه فاطمة (ع) ٩٨
في أنّ النبي (ص) كان اذا رجع من سفر أتى المسجد ثم ثنّى بفاطمة (ع) ٩٩
رواية الصدوق عن النبي (ص) في كرامة علي وفاطمة والحسن والحسين وانّهم أهل بيت رسول اللّه ١٠٠
قول النبي لعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) بانّي سلم لمن سالمكم ١٠٠
اشارة المؤلّف الى ما ورد في ذلك من طرق الخاصّة والعامّة ١٠١
كلام المؤلّف في أنّ محاربةعلي(ع)في حكم محاربةالرّسول(ص) ١٠٢
كلام المؤلّف في أن حبّ النبي (ص) لفاطمة (ع) ليس منشأه محض الولادة والقرابة الظاهرية ١٠٣
تذييل: فيه فوائد مهمّة ١٠٣
الفائدة الاولى **١٠٣**
في أنّ حبّ النبي (ص) لفاطمة وأولادها كان للّه ومن اللّه تعالى ١٠٤
حديث مسكتين وقلادة وقرطين وستر الباب التي صنعتها فاطمة (ع) لقدوم أبيها وزوجها ١٠٤
حديث قلادة رآها النبي في عنق فاطمة ١٠٥
حديث سؤال فاطمة (ع) أباها جاريةً لتستعين بها لشؤونها ١٠٦

رواية جابر الانصاري في زهد فاطمة (ع) ونزول آية «ولسوف يعطيك ربّك فترضى» ١٠٧

كلام المؤلّف في أنّ النبي (ص) أراد أن تكون فاطمة (ع) مثالاً لشخصه في الزهد ١٠٧

كلام المؤلّف في أنّ النبي (ص) لمّا صار المسلمون في سعة وفضل وسّع على ابنته ووهبها خادمة اسمها فضّه ١٠٨

في انّ النبي (ص) نحل فاطمة (ع) فدكاً عوضاً عمّا كان عليه من مهر اُمّها خديجة ١٠٩

في أنّ من أخلاق النبي (ص) مكافاة كلّ من أحسن إليه ١١٠

الفائدة الثانية **١١٠**

في أنّ حديث «فاطمة بضعة منّي...» من الأحاديث المشهورة المستفيضة ١١٠

سؤال النبي (ص) عن أصحابه «أيّ شيء خير للنّساء» وجواب فاطمة عنه ١١١

احتجاب فاطمة (ع) عن رجل أعمى ١١١

سؤال النبي (ص) عن أصحابه «متى تكون المرأة أدنى من ربّها» وجواب فاطمة (ع) عنه ١١٢

ما قال النبي (ص) لعلي (ع) عند تزويجه بفاطمة (ع) ١١٢

رواية ابن عباس عن النبيّ (ص) في شأن فاطمة (ع) ١١٢

رواية سعد بن أبي وقّاص عن النبي في شأنها ١١٣

رواية جابر بن عبداللّه فيما قال النبي (ص) في سكرات الموت لفاطمة (ع) ١١٣

رواية عمرو بن حزم عن النبي في شأنها	١١٤
رواية ابن حجر في الصواعق عن عمر بن عبدالعزيز	١١٤
رواية ابن شهرآشوب في المناقب عن عمر بن عبدالعزيز	١١٥
ما قالت فاطمة (ع) لابي بكر وعمر لما دخلا عليها في مرضها	١١٦
رواية ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة في ذلك	١١٦
ذكر أسامي بعض الرواة الذين رووا أحاديث في ذلك	١١٧
تحقيق المؤلّف حول حديث المسوّر بن مخرمة وما تضمّن من الكذب على عليّ (ع)	١١٨
رواية الصدوق في الأمالي في تكذيب قول من زعم أنّ علياً أراد أن يتزوّج ابنة أبي جهل	١١٩
رواية الصدوق في العلل عن الصادق (ع) في ذلك	١١٩
كلام السيّد المرتضى في ردّ قول من زعم أنّ علياً أراد أن يتزوّج ابنة أبي جهل	١٢٠
ما حكاه ابن أبي الحديد في أنّ معاوية وضع قوماً لاختلاق أخبار قبيحة في عليّ (ع)	١٢٢
كلام المؤلّف في تأييد قول السيّد المرتضى	١٢٣
في ردّ تفضيل أبي العاص على عليٍّ (ع)	١٢٤
في نقض حديث المسوّر بن مخرمة	١٢٥
في قدح محمّد بن شهاب الزهري	١٢٦
كلام المؤلّف حول حديث المسوّر بن مخرمة برواية اخرى	١٢٧
كلام المؤلّف في ردّ حديث عبدالله بن الزبير	١٢٨
اشارة الى قصيدة مروان بن أبي حفصة اللعين	١٣٠

نبذ من قصيدة السيّد بحر العلوم (رضوان اللّه عليه) في مدح أمير المؤمنين والجواب عن مروان بن أبي حفصة ١٣١
بيان المؤلّف حول شعر السيّد ١٣١
تحقيق المؤلف في احتمال انحراف المسوّر بن مخرمة عن عليّ (ع) ١٣٢
الفائدة الثالثة ١٣٣
معنى «بضعة» وكلام المؤلّف في ما يستفاد من الحديث ١٣٣
في حرمة تزويج سائر النّساء لعلي (ع) ما دامت فاطمة (ع) حيّة ١٣٤
في تفضيل الزهراء (ع) على مريم وآسية وخديجة ١٣٥
الفائدة الرابعة ١٣٥
ما روته العامّة عن عمرو بن عاص وأنس بن مالك، وجواب المؤلّف عنه ١٣٥
وضع الأحاديث الكاذبة في أيّام بني أُميّة ١٣٥
اخبار النبي (ص) بكثرة الكذابة عليه في حياته وبعد مماته ١٣٥
كلام أمير المؤمنين (ع) في جواب من سأله عمّا في أيدي الناس من الأخبار المختلفة ١٣٦
كلام ابن أبي الحديد في وضع الحديث في أيّام معاوية ١٣٦
فيما ورد عن عائشة بانّ أحبّ الناس الى النبيّ (ص) عليّ وفاطمة (ع) ١٣٧
رواية جميع بن عمير التيمي عن عائشة ١٣٧
قول الذهبي في قدح جميع بن عمير وجواب المؤلّف عنه ١٣٨
رواية اسامة بن زيد وعمر بن الخطاب عن النبي (ص) ١٣٨
حديث وضعه عمرو بن عاص لمعاوية بالشام وجواب أمير المؤمنين (ع) عنه ١٣٩

كلام المؤلّف في قدح عمرو بن عاص وتقبيح من أخرج أحاديثه من روة العامّة ١٣٩
كلام المؤلّف في تضعيف أنس بن مالك وانحرافه عن أمير المؤمنين
كلام المؤلّف في قدح حميد الطويل والمعتمر بن سليمان ١٤٠
نبذ ممّا ورد في ذمّ عائشة وصاحبتها حفصة ١٤٣
في أنّ عائشة كانت تغضب النبي (ص) وتؤذيه ١٤٤
فرية عائشة على مارية القبطيّة جارية النبي (ص) ١٤٦
في أنّ عائشة ليست بأحبّ النساء إلى النبي (ص) ١٤٨
في أنّ ابا بكر ليس بأحب الرّجال الى النبي (ص) ١٥٠
في التعريض على كلام ابن حزم الاندلسي في تفضيل عائشة على جميع الامّة ١٥٠ ١٥٢
الباب الثامن: في فضلها وسيادتها على النساء ١٥٣
نبذ من فضائل مريم بنت عمران ١٥٣
ذكر فضائل فاطمة (ع) ١٥٦
ذكر مباهلة النبي (ص) مع نصارى نجران ١٥٦
كلام المؤلّف ذيل قصّة المباهلة وما يستفاد منها من فضائل الزهراء وأهل البيت (ع) ١٦١
في أنّ فضيلة المباهلة تختصّ بالخمسة الأطهار (ع) ١٦٣
في أنّ ما رواه الحلبي والدحلاني في قضيّة المباهلة مختلق ١٦٦
كلام صاحب تفسير «المنار» وجواب المؤلّف عنه ١٦٦
جواب المؤلّف عن كلام الزمخشري حول كلمة «أنفسنا» من آية التباهل ١٦٩

ذكر قضيّة بني وليعة وانّ عليّاً (ع) كنفس النبيّ (ص) ١٧١
اشارة الى قضيّة وفد ثقيف وانّ عليّاً مثل نفس النبيّ(ص) ١٧٣
اشارة الى قول النبي (ص): انّ عليّاً منّي وأنا منه ١٧٤
كلام سديد الدين محمود بن علي الحمّصي في أنّ عليّاً (ع) أفضل من جميع الأنبياء ١٧٧
ادّعاء الرّازي في تفسيره بأنّ الاجماع منعقد على أنّ كلّ نبيّ أفضل ممّن ليس بنبي ١٧٨
جواب المؤلّف عن كلام الرّازي ١٧٨
في أن آيةالتطهيرنزلت في النبيّ وعليّ وفاطمةوالحسن والحسين(ع) ١٧٨
في أنّ النبي (ص) منع أُمّ سلمة عن الدخول مع أصحاب الكساء ١٨١
حديث الكساء برواية واثلة بن الاسقع ١٨٦
كلام المؤلّف في أنّ واثلة ليس من أصحاب الكساء ١٨٨
حديث الكساء برواية عائشة ١٨٨
حديث الكساء ونزول آية التطهير برواية جابر بن عبداللّه ١٩٠
حديث الكساء ونزول آية التطهير برواية عمر بن أبي سلمة ١٩٠
حديث الكساء ونزول آية التطهير برواية عبداللّه بن جعفر ١٩١
حديث الكساء برواية ابن عباس ١٩٢
حديث الكساء برواية سعد بن أبي وقّاص ١٩٣
حديث الكساء برواية أبو سعيد الخدري ١٩٥
في أنّ حديث الكساء روي بصورة مبسوطةعن فاطمةالزهراء (ع) ١٩٥
في أنّ أمير المؤمنين (ع) روى حديث الكساء واحتجّ به على الصحابة في مواقف شتّى ١٩٧

نبذ من كلام الامام الحسن بن عليّ (ع) في نزول آية التطهير وأصحاب الكساء ٢٠٢
كلام المؤلّف في اختصاص الآية بالنبي وأهل بيته المعصومين (ع) ٢٠٧
في أنّ النبي (ص) كان يأتي أهل البيت (ع) في أوقات الصلاة ويسلّم عليهم ويقرأ آية التطهير ٢٠٨
كلام المؤلّف في قدح بعض المنحرفين عن أهل البيت (ع) ٢٠٩
نبذ من كلام بعض مفسّري العامّة في أنّ آية التطهير عامّة لنساء النبيّ (ص) وسائر أقربائه ٢١٠
جواب المؤلف عن كلامهم وتحقيق المراد من آية التطهير ٢١١
في أنّ آية التطهير شاملة للائمّة الاثنى عشر (ع) ٢١٩
في أنّ آية المودّة نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين(ع) وهم قربى النبي (ص) ٢٢٢
ذكر بعض الأخبار الواردة في فضيلة الزهراء (ع) ٢٢٣
خبر النبي (ص) بأنّ أفضل نساء أهل الجنّة أربع ٢٢٤
خبر النبي (ص) بأنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين ٢٢٥

الباب التاسع: في عصمتها (ع) ٢٣٢
استدلال المؤلّف بحديث الثقلين في اثبات العصمة لعترة النبيّ (ص) ٢٣٢
كلام الشيخ المفيد في اثبات العصمة لفاطمة (ع) ٢٣٢
خبر النبي (ص) بأنّ اللّه ليغضب لغضب فاطمة، وأسانيده ٢٣٤
كلام الذهبي في تضعيف الحسين بن زيد ٢٣٥
جواب المؤلّف عن كلام الذهبي ٢٣٥

استدلال المؤلّف بحديث «ان اللّه ليغضب لغضب فاطمة» على عصمتها ٢٣٦
ذكر بعض الآيات والأخبار الدالّة على مقام المؤمن الخالص عند اللّه تعالى ٢٣٩
في أنّ فاطمة والأئمّة من أولادها (ع) كانوا أكمل المؤمنين ٢٤٠

الباب العاشر: حديث تزويجها (ع) ٢٤١
في أنّ تزويجها نزل من السماء ٢٤١
حديث لولا عليٌّ لما كان لفاطمة كفو ٢٤٢
في أنّ اللّه تعالى زوّجها من عليّ (ع) ٢٤٢
خبر أمير المؤمنين بانّه ما أغضب فاطمة ولا أكرهها على أمر حتّى قبضها اللّه تعالى ٢٤٥
كلام المؤلّف في خاتمة الكتاب ٢٤٥
قصيدة السيّد محمّد الهاشمي النجفي في مديح الزهراء(ع) ٢٤٦
قصيدة السيّد صدرالدين الصدر في رثاء الزِهراء (ع) ٢٤٨
كلام المؤلّف في وقوع التساهل من بعض السلف في أحاديث الفضائل ٢٤٩
تاريخ الفراغ من تأليف الكتاب ٢٥١
فهرس الكتاب ٢٥٣